

الاصحاح

بزرج علوی



ترجمة: علاء منصور

مراجعة: إبراهيم شستا

المشروع القومي للترجمة

الأرضة

تأليف
بزرگ علوی

ترجمة
علاء منصور

مراجعة
إبراهيم الدسوقي شتا



٢٠٠٠

هذه ترجمة عن الفارسية لرواية :

موريانه

إهداء

إلى أستاذي المرحوم الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا
رائد دراسات الرواية الإيرانية في العالم العربي .

مقدمة المترجم

يعد بزرج علوى أحد كتاب الجيل الجديد الذين أظهروا مقدرة فائقة فى هضم (التكنيكات) الأوروبية وتطبيقها فى إبداع الأعمال الفنية التى حافظت كذلك على محتواها (الإيراني) . ولد سنة (١٩٠٧) ثم أوفد إلى ألمانيا للدراسة الجامعية عام (١٩٢٢) . وحين عاد إلى إيران انضم إلى حزب ماركسى غير معترف به فاعتقل عام (١٩٣٧) وظل بالسجن حتى احتلال الحلفاء لإيران فى (١٩٤١) حين أعلن العفو العام ، وأطلق سراح عدد كبير من السجناء السياسيين معه فكانت هذه المجموعة الماركسية نواة حزب (تودة) الشيوعى بإيران . ويرتبط نشاط علوى الاجتماعى والأدبى منذ بدايته بسياسة هذا الحزب أشد الارتباط . وبعد سقوط (مصدق) هاجر علوى إلى أوروبا وعمل أستاذاً زائراً بجامعة هامبولدت بألمانيا الشرقية ، وظل بألمانيا حتى وفاته عام (١٩٩٧) .

وتتكون أعمال علوى الأدبية الأساسية من ثلاث مجموعات من القصص القصيرة تدور فى الأغلب حول آرائه السياسية وتقصى تجربته وتجربة زملائه فى السجن . واسم المجموعة الأولى (جملدان) أو حقية السفر - ١٩٣٤) و (ورق پاره هاى زندان - ١٩٤١) أى (جذائات أوراق السجن) وهى حكايات عن المساجين مسجلة على صناديق السكر الفارغة وعلب السجائر أو أى جذاة ورق وصلت إلى المؤلف أثناء وجوده فى السجن . ثم (نامه ها) أو الخطابات عام ١٩٥٢ وتعد أحسن القصص

القصيرة التي ألفها إيراني إن لم تكن أحسنها قاطبة وتشبه بعض أعمال الكتاب الغربيين العظام وبخاصة همينجواي في الأسلوب والاختصار في الألفاظ وحسن الحبكة واللاتزان والأصالة وفوق كل ذلك في أسلوب الإثارة والتشويق . وللمؤلف أيضاً (سه وينجاه نفر) أي (ثلاثة وخمسون شخصاً) صدرت عام ١٩٤٢ ورواية تسمى (جشمهايش - ١٩٥٢) أي (عيناها) وغيرهما . ويقص في العمل الأول ما حدث له ولرفاقه من أول يوم سجنوا فيه حتى العفو العام والمعاملة القاسية التي لقوها من الحراس وكفاحهم من أجل أن يبقوا أحياء . ويدور العمل الثالث حول نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة بإيران وترجمت إلى الألمانية عام (١٩٥٩) وصدر للمؤلف بالألمانية مجموعة تحوى خمس عشرة قصة عام (١٩٦٠) تحت عنوان (الجدار الأبيض) : (للتفصيل راجع الشر الفني في الأدب الفارسي المعاصر تأليف حسن كمشاد وترجمة د. إبراهيم الدسوقي شتا . مصر ١٩٩٢ - ص (١٧٣ - ١٩٠) أما روايته (الأرضة) فهي أقرب إلى أشهر رواياته (عيناها) في المبنى والمعنى إذ أنها في الحقيقة تاريخ لحركة المعارضة الدينية بقيادة الخميني على نظام الشاه من خلال نقده لجهاز مخابراته الرهيب (السافاك) الذي يعد سبباً مهماً في القضاء على هذا النظام . ويصور المؤلف في الرواية الفساد السياسي والإداري والاقتصادي للشاه وحاشيته ورجال حكومته من خلال اعترافات رجل بدأ بسيطاً في جهاز المخابرات وانتهى إلى أعلى مناصبه قبيل سقوط الشاه وفرار البطل نفسه إلى أوروبا للاختفاء بعد أن أصابه الثوار بطلقات نارية في قدمه . لكن ما يعاب في تعبير علوى في هذه الرواية تعمده إلى استخدام

المصطلحات العامة والتركيبات والألفاظ غير الفصيحة على نحو ملفت .
وقد تزرع في بداية روايته على لسان البطل أو الراوى بأنه رجل عامى
لا يحسن التنميق في التعبير بل إنه لم يكتب قبل اضطراره لكتابة مذكراته
هذه غير قلة من الخطابات . لكن علوى فوق تأريخه لهذه الحقبة الهامة من
تاريخ إيران المعاصر والتي انتهت بحدث الثورة الإسلامية الجلل يبدى مقدرة
فائقة في حسن الحبكة والاتزان والإثارة والتشويق بما يوى روايته هذه
(الأرضة) مكاناً سامياً بين مؤلفاته والروايات الإيرانية المعاصرة الأخرى .

السافاك لماذا ؟

كان الشاه يدرك أنه زائل لا محالة لفساده وفساد أسرته وتزايد حركات
المعارضة ضده ، تيقن هذا بعد هروبه إثر ثورة الشعب مع مصدق رئيس
الوزراء في معركة تأميم النفط إلى ايطاليا وعودتهم بحماية أمريكا إلى إيران
واسقاط مصدق بمؤامرة أمريكية إنجليزية عام ١٩٥٣ ، بدأ مع فترة حكمه
الثانية ما يسمى بالحكم الأسود ، وأسس لإرهاب شعبه جهازه الأمنى
المسمى بالسافاك . كان هدف الشاه من إنشاء هذا الجهاز يغاير أهداف
أجهزة الأمن العالمية من الحفاظ على أمن الشعب الداخلى ومواجهة
الاختراقات الخارجية مثل ال سى آى إيه الأمريكى وال كى جى بى
السوفيتى . كان يهدف به إلى حمايته هو ضد الشعب والمعارضة . ومع ان
السافاك كان يخضع إسمياً لسلطة رئيس الوزراء مباشرة ورئيسه فى درجة
نائب رئيس الوزراء إلا أنه فى الحقيقة كان يأخذ أوامره من الشاه مباشرة
ويعمل أفراد مستقلين ، بل كان رؤساؤه يتجاوزون سلطة الشاه وأوامره
فى كثير من الأحيان .

اسمه :

السافاك أو ساواك كل حرف منه يدل على كلمة فارسية ، فالسين ملخص كلمة سارفان بمعنى جهاز والآف الأولى يدل (امنيت) أى الأمن ، والواو وار العطف ، والآف الثانية بداية كلمة (اطلاعات) أى استخبارات والكاف بداية كلمة (كشور) أى البلاد . فمعناه جهاز أمن البلاد واستخباراتها .

تاريخ تأسيسه :

فى عام ١٩٥٣ عقب حوادث ثورة مصلىق لتأميم النفط الايرانى وموته وقيام حزب « توده » الشيوعى بدور اساسى لقلب نظام الشاه بتأييد من الاتحاد السوفيتى الذى كان ينتظر العودة إلى ايران تأكد للشاه أن عدوه الاساسى هم الشيوعيون والروس فأسس جهازه لقمع كل حركات المعارضة وأعلن عدم شرعية حزب توده وعين الجنرال تيمور بختيار كأول رئيس له من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٧ .

وأسس الشاه فى عام ١٩٥٨ جهازا آخر باسم جهاز التفتيش الشاهنشاهى ومكتب المعلومات الخاص واوكل رئاسته للجنرال حسين فردوست ، وكانت مهمته البحث فى مصادر الفساد بين المسئولين فى الدولة ورفع تقارير التحقيقات مباشرة إلى الشاه ولكن هذا الجهاز لم يقم بدور مؤثر فى اجتثاث الفساد من البلاد بسبب تغاضى الشاه عن المفسدين .

مهمة السافاك :

كانت مهمة جهاز السافاك الحفاظ على النظام الشاهنشاهى بكافة الوسائل ، ولكن الشاه يرى أن مهمة جهازه الأمين ملاحقة الخونة

والجواسيس ومثيرى الفتن ، كما كان له دور فى مراقبة القادة العسكريين .
ولما كان من الضرورى أن يخضع جهاز السافاك لقضاة المحاكم باعتباره
جهاز للمعلومات ومكافحة التجسس إلا أن هذا الامر لم يكن يتغل بل
يوكل به لرجال الشرطة .

ولما كانت الأساليب التى تتبعها السافاك غير مشروعة فى مجملها لهذا
كان الشاء يدعى أن السافاك لا يخضع لقوانين العدالة فى إيران لأنهم
يطبقون قواعد غريبة .

تاريخ السافاك :

مر السافاك بأربع مراحل من بداية تأسيسه إلى سقوطه وحل هياكله و
إحلال جهاز (ساواما) محله ، وهو الجهاز الأمنى الجديد للثورة
الإسلامية الإيرانية .

المرحلة الأولى :

وهى مرحلة التأسيس والتى كان فيها تحت رعاية المستشارين
الأمريكيين والإسرائيليين ، وكان هؤلاء المستشارون يتدخلون فى مجريات
تحقيق المحققين الإيرانيين عن طريق جهاز اتصال سرى ، فيجرمون
المشتبه فيه أو يبرءونه . وكان عدد أعضاء السافاك فى هذه المرحلة
لا يتجاوز أول الامر ١٥٠ فردا ، والمهمة الموكولة هى ترسيخ نظام الشاء
وضرب المعارضين بشدة ، ولما كان بختيار يرتبط بالأمريكيين بعلاقة حميمة
فقد ظل على رئاسة الجهاز حتى ١٩٥٧ حيث أقاله الشاء بأمر من
الأمريكيين أنفسهم .

المرحلة الثانية :

بدأت بتولى حسين باكروان رئاسته وكان هدف الشاه تطهير الجهاز من أتباع بختيار وإحلال أوفياء له محلهم وتنظيم السافاك بحيث يعمل على الحفاظ على العرش والنظام . ولكن باكروان لم يستطع أن يقوم بالمهمة خير قيام لضعف شخصيته ، فأقاله الشاه ، وأحل محله نصيرى الضابط الوفى للشاه وخلال هذه المرحلة التى استمرت إحدى عشرة سنة وصل عدد السافاك إلى خمسة آلاف عنصر بارز فضلا عن آلاف الجواسيس .

المرحلة الثالثة :

وهى مرحلة تسلط الجهاز واتساع نطاقه وتحكمه فى كثير من شؤون البلاد ، وقد شاعت السمعة السيئة للجهاز خلال هذه المرحلة .

المرحلة الرابعة :

وهى مرحلة السقوط والتى بدأت بعزل نصيرى ومعتضد ورئاسة مقدم ، وانتهت بثورة ٢٢ بهمنى ١٣٥٧ أو فبراير ١٩٧٩ أو الثورة الإسلامية . وقد بلغ عدد العاملين بالجهاز فى هذه الفترة الأخيرة نحو خمسين ألف موظف وثلاثة ملايين جاسوس فى الداخل وفى الخارج .

وسائل التعذيب لانتزاع الاعترافات

تمادى السافاك فى استعمال وسائل تعذيب تخطت الحدود الإنسانية ضد المشتبه فيهم ، فقد استخدم ألوان تعذيب أشد وأنكى من القتل ، تناولت الجسد والروح فدمرت أجساد الأبرياء والمعارضين وذواتهم وحطمتهم من الداخل . وأسهب المصادر فى ذكر ألوان التعذيب التى

جرت على الشعب الإيراني ، واعترف بها الشاه نفسه فقال إن « لدينا من وسائل الضغط النفسى ما يفوق وسائل التعذيب فى العصور الوسطى » . وقد تنافس السافاك والشرطة فى أعمال التعذيب لانتزاع الاعترافات فى أبكر وقت قبل أن يقضى المتهم نحبه . ومن آلات التعذيب البدنى : السوط الكهربائى والعصا الكهربائية والكماشة الحديدية والمخراز والكرسى الكهربى وغيرها ، وكانت تستورد من إسرائيل فى عهد بهختيار .

القضاء على ثورة سياهكل فى فبراير ١٩٧١

هاجمت جماعة مسلحة أقسام الشرطة والبنوك فى سياهكل قرب بحر الخزر وقتل عدد من الجنائين وفر المهاجمون إلى الغابات ، وقبض السافاك على كثير من المهاجمين وأتباعهم ، وأعدموا خمسة عشر . وكان الثوار الفدائيون يرفعون شعارات دينية ولما لم يجدوا سوقا لهم وسط الفلاحين اتجهوا إلى القيام بالنشاط داخل المدن .

مذبحة طهران عام ١٩٦٢

لما أعلن الشاه قوانين الإصلاح الزراعى أو ما سماه بالثورة البيضاء . وسيطرت الدولة بها سيطرة تامة على الإنتاج الزراعى واستولت على كثير من الأراضى الخاصة وأمتت المراعى والغابات فتشرد آلاف الزراع والرعاة ، بدأت المعارضة الدينية فى المدرسة الفيضية « بقم » ثانى أيام عيد الاضحى (١٣٨٣ هـ) فارتدى جنود الجهاز الثياب المدنية تحت قيادة رئيسه الذى كان يتولى رئاسة سافاك طهران أيضا . وهجموا على الطلاب وقتلوا عدداً من المشايخ . هدأت الأمور ظاهرياً لمدة شهرين حتى حل يوم تاسوعاء وعاشوراء عام ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٣ حين اشترك الآلاف فى الاحتفالات

الدينية وتحول بالتدريج العزاء إلى ثورة للفلاحين تهتف بالموت للشاه وسب أمريكا وبريطانيا وبحرية الانتخابات وتوزيع الأراضي على الفلاحين الفقراء . ثم تقدم من قرية ورامين جماعة تلبس أكفانها إلى طهران ، فأصدر الشاه أوامره إلى الجهاز بإطلاق النار بهدف إخافة الشعب والفصل بين جموع المتظاهرين ورؤسائهم من المشايخ ، لكن الأمر تحول إلى مذبحة جماعية بتدخل من رئيس الجهاز وكان يجمع قيادة قوات الجيش والشرطة والسافاك ، وقتل أكثر من عشرة آلاف وقبض على عدد كبير ، وجرت أعمال ابتزاز الاغنياء منهم ، وتجمع عدد من العلماء في ضريح الشاه عبد العظيم بجنوب طهران ونادوا بآية الله الخميني إماما لهم فاعتقل الجهاز كثيراً منهم ، وتحرك الخميني وآية الله شر يعتمدلاري لمهاجمة الشاه في ذكرى مولد فاطمة الزهراء ، ودعيا إلى الإضراب ليوم واحد فأصدر رئيس الوزراء قرارا بنفى الخميني إلى تركيا بتهمة التحريض ضد مصالح الأمة وانهيار استقلالها وأعلنت حالة الطوارئ في الجهاز والجيش . تجمع الناس في المساجد للاعتراض على قرار نفى الخميني وإلغاء قانون الحصانة السياسية للعسكريين الأمريكيين . وأطلق النار على رئيس الوزراء وكانت الضربة مصوبة إلى قطب الجهاز لأنه هو الذي أوصله لهذا المنصب .

اختيال بختيار

بلغ الجهاز في عهد بختيار قوة فاقت الشاه نفسه ، وكانت أحكامه أكثر نفاذاً من أحكام الشاه وكانت جميع إدارات الدولة والوزارات والشركات التجارية والبنوك تحت إمرة بختيار ، وكان يعمل لديه ألف وخمسمائة مدني ، ولم يقل عدد الجواسيس عن خمسين ألف يتشرون في سائر بلاد إيران فضلا عن الغرب . وكان مكتب السفير المتقل في جنيف

يضم على الأقل ألف جاسوس . ولما أقبل بختيار وكان ذا أطماع واسعة يرنو إلى رئاسة الوزارة نفى إلى أوروبا وبدأ حملة علنية ضد الشاه وجند المعارضين من الدارسين بأوروبا ثم توجه من أوروبا إلى بيروت وبغداد وواصل الهجوم على الشاه بدعم حزب البعث العراقي ونسب إليه اغتيال رئيس الوزراء السابق الذكر وإطلاق النار على الشاه وقتل حراسه وإثارته الطلاب في أوروبا وسدّهم الطريق أمام الشاه أثناء زيارته لألمانيا الغربية ، فدبر السافاك خطة اغتياله ببغداد خلال عام (١٩٧٠) . أعلن عن اختطافه في طائرة إيرانية إلى بغداد وعدّ بختيار ذلك من انتصاراته على الشاه واصطفى المختطفين حراساً شخصيين له وفي إحدى رحلاته للصيد أوداه أحدهم قتيلاً ، وكان حادث اختطاف الطائرة مدبراً من قبل الجهاز .

مذابح الجهاز للثوار عام ١٩٧٨

عجل الجهاز بنهاية الشاه المتوقعة بإيقاع المذابح بمؤيدي الخميني الذي لم يكف في منقاه عن مهاجمة الشاه بشأن احتفالات البذخ على مرور ٢٥٠٠ سنة على الملكية فأمر الشاه بنشر مقاله شائنة بحقه فاندلعت ثورة في «قم» تؤيد شيخها ، وقتل الجهاز عدداً منهم في (٩ / ١ / ١٩٧٨) وبعد هذه الواقعة في (١٨ / ٢) تظاهر عدة آلاف من أهالي تبريز في ذكرى الأربعين لضحايا حادثة «قم» فهبت الثورة وهاجم المتظاهرون مباني حزب الشاه (البعث) والبنوك ودور العرض ، فأطلق السافاك النار على المتظاهرين ، فقامت في آخر مارس ١٩٧٩ مظاهرات في طهران وأصفهان استجابة للمشايخ في ذكرى أربعين قتلى تبريز فقتل السافاك والشرطة أعداداً منهم . وعلى هذا الأساس كان يتوالى انعقاد مراسم الأربعين في ذكرى قتلى الثوار بالمدن ويتوالى قتلهم بيد الجهاز . وتصاعد التوتر بين الشعب

والشاه وسافاكه حين اعتدى رجال الأمن في ١٠ / ٥ / ٧٨ في «قم» على بيوت رجال الدين ومنهم آية الله شريعتمداري وقتلوا منهم عددا ثم قامت مظاهرات في طهران في ذكرى ضحايا «قم» هؤلاء ، وتوالى الثورات في أصفهان وقم وشيراز وطهران في الشهور التالية ، واشعلت النار في سينما ركس بعبدان يوم ١٩ / ٨ / ١٩٧٨ وأحرق فيها أكثر من ستمائة شخص وتفحمت أجسادهم وسرت شائعات بين الأهالي أن السافاك هو الذي دبر مسبقا لهذه الحادثة لأن أبواب السينما كانت موصدة من الخارج ولم تبلغ قوات الأمن إدارة الأطفاء متعمدة إلا بعد نصف ساعة من الحريق ومنع المسؤولون مساعدة الأهالي لإنقاذ المحبوسين بداخل السينما وكان قصد السافاك إلقاء التهمة على المشايخ . ولفت ظلال الغموض الحادثة تماما ، ودعا الخميني لقلب نظام الشاه ، وبدأت مسيرات الشوارع واعتصم الناس بالمساجد والمنازل وطالبت الجرائد بحل السافاك ومعاقبة من قاموا بأعمال التعذيب وإطلاق سراح السجناء السياسيين وعودة المطرودين إلى إيران .

و حين قام أكثر من مليون متظاهر إيراني بمظاهرة عظيمة في ميدان جالة بطهران ظن نائب رئيس السافاك ان هذه فرصته لكي يقفز إلى الرئاسة العامة للجهاز فأمر بإطلاق النار على المتظاهرين فسقط نحو أربعة آلاف من القتلى في يوم الجمعة الأسود ٨ سبتمبر ١٩٧٨ وكانوا تجمعوا لتأبين قتلى أول سبتمبر الذين حصدتهم قوات الأمن بعد خروجهم من مسجد الزهراء متظاهرين ، وتناقل الناس أن ثلاث طائرات مملوءة بالكوماندور الإسرائيليين وصلت طهران يوم ٧ سبتمبر ليقوموا مع السافاك بهذه المهمة . ولم يكف نائب الجهاز بما فعل فسلط بعض الأوياش لإشعال النار في دور السينما والبنوك والمؤسسات الاقتصادية حتى يلقي تبعة ذلك على الثوار ليعجل بنهاية الشاه والملكية في ثورة فبراير ١٩٧٩ .

الأرضة

بندج علوي

أنا أحد رجال السافاك . لست خجولاً من أنني اخترت مثل هذا العمل
ولست فخوراً بذلك . إنه أيضاً عمل كسائر الأعمال الأخرى . أياكون
موظفو وزارة المالية كلهم لصوصاً أو أولئك الذين يرسلون من محاكمهم
الناس إلى السجون جماعات بذنوب أو بدون ذنب أو إلى المشتقة أهم
جميعها سفاكو دماء . إن العمل في إدارة حكومية واحدة ليس في حد ذاته
جريمة . وهل يحدث أن تعيش في بلد خال من الحراسة ؟ ألا يوجد في
أمريكا الحرة جهاز الاستخبارات الأمريكية ؟ ألا توجد المخابرات البريطانية
في بريطانيا ؟ وفي فرنسا (الركن الثاني) وفي روسيا (كى . جى . بى) ؟
لأبد أن هذه الأجهزة توجد في كل مكان آخر . وأنا على استعداد اليوم
أيضاً إذا تيسر لي أن أعمل لحساب أى شخص مهما كان . كون العمل
شريفاً أو غير شريف إنما يتعلق بما يرتبط به من ظروف . نعم أنا تقاضيت
الرشوة . أليس تقاضى الرشوة رائجاً في إدارات الشرطة والقضاء ؟
إن الرشوة موجودة في المحاكم وفي الجيش أيضاً ، فلماذا لاتزوج بدورها
في جهاز أمن البلاد واستخباراتها (السافاك) ؟ لكنى لم أعذب أحداً ،
لم أقتل أحداً . وسبب ذلك أنى افترقت الكفاءة لفعل ذلك . لكنى رأيتهم
يؤذون المخربين . دعنا من هذا .. أنا رأيت أشياء كثيرة . وأعرف أشياء
كثيرة . حتى الأمس لم يكن بمقدورى أن أحكى عنها واكتبها . لم أكن
أستطيع أن أبرز للآخرين مايعتمل في فكري وشعورى . لكنى اليوم أتمتع
بالحرية . زالت عن فمى الكمامة . لدى في البلد الذي أحيا فيه الآن هذه
الحرية على الأقل وهى أن أسطر على الورق ما أضمرته سنوات . لا أحس
بأدنى خجل وأنا أفصح عما أرتكبته من أعمال الشر . قصدى أن يتقبل
القراء ما أكتبه ويتصل بالآخرين . والآن وأنا أحطم نفسى لماذا لا أفصح
الآخرين . كنت أعمل في الصفوف العليا للسافاك .

بدأت من القاعدة . لم أكن من أولئك الذين يرمون بالفتات إلى من هم دونهم . فى السنوات الأولى فقط كان يصلنى حيناً جزء من العظم الذى كان يأكل لحمه السمين الرقيق أولئك الرؤساء ولا يصل أمثالى إلا فضلاتهم . لم يكن منه ما يقيم الأود . فقلت لا تصبح الأمور بهذا الشكل . لابد أن أنال بدورى نصيباً . كافحت لكى أصعد الدرجات . كان حظى لفترات لا يتجاوز أن املاً معدة امرأتى وولدى واشترى سيارة وأسافر . مضت هذه المرحلة . لم يبق لى شئ آخر فقد ضاع كل ما كنت ادخرته . الآن لا أملك حتى الأسماك البالية . أنا تعيس مهزوم ، بائس ، مشلول ، أصيبت قلمي برصاصة وأوشكت هذه الرصاصة أن تصيب قلبي أو رأسى . لم يعد لدى القدرة على السعى . يدي هي التي تعمل فقط . عقلى أجوف . مع أن لدى شهادة جامعية فأنا مثلاً حاصل على الليسانس إلا أنى ليس لدى علم يُعتمد به . . لاكتب كل ما يصل إلى فهنى . لا أعرف التمييز فى اللفظ ولم أتعلم توشية العبارة . لم أكتب طوال عمري عشر رسائل . لم يكن لدى أحد أكتب له رسالة ، لأصديق ولا واحد من المعارف . كتبت بدلاً منها التقارير . الكتابة غدت الآن وسيلة لكسب لقمة العيش . لا تلزمى الفصاحة والبلاغة . يكفينى وحسب قليلون يقرأون ويدركون أن عليهم أن يدفعوا لى .

إن أردتم الحقيقة فأنا أسود هذه الوريقات لأجمع بعض المال وأصل بسفينة عمري المحطمة إلى الساحل الذى لا يبعد كثيراً . لا يتصورن أحد أنى أتوقع فائدة جزيلة . ثم إننى وحيد مقطوع . ماتت زوجتى رحمها الله قبل الثورة بسنوات . كانت واهنة مريضة . كان يسيطر عليها الخوف دائماً من أن تتغير الأوضاع فيقبضوا على ويقتلوننى . ابنى وابنتى أستقل كل منهما بنفسه . ابنى يقيم فى أمريكا وتزوجت ابنتى وأنجبت وحياتها مأمونة

ولا يحب واحد منهما أن يكون له قرابة أو صلة مع واحد من السافاك .
وأنا أيضاً أخرجتهم من حياتى . إذا لم تكن مشكلة (رقية) لما عشت فى ر
هم قط . كانت رقية يوماً عدوى اللدود والآن هى نصيرى وملجأى .
أحبها الآن وأحبها كثيراً لم أحب أحداً بعد والدتى رحمها الله أكثر منها ،
لا زوجتى ولا ابنى أو ابنتى . لا يستطيع واحد منهما أن يسدى إلى عوناً .
لكن قدرتها لاتسعدى أن ترسل إلى أحيانا رسالة وتستفسر عن أحوالى .
عليّ أن أهتم أنا بنفسى . كان كل منا منذ أن كنا صغاراً يراعى جيداً
خاطر الآخر ، فكنت أشاطرها البكاء حين كانت تبكى . كانت تصغرنى
بأربع سنوات وتسمع كلامى . إلى أن أقول لها : ماذا تفعلين الآن ؟
فكانت تجرى إلى وتدلّل . (رقى ، أى خيط تنسجين ؟) .

فرق القدر ما بيتنا . أحاول اليوم وأنا وحيد ومنفرد أن أجمع قليلاً من
المال بكتابة هذه المذكرات وألا أمد يد الاستجداء إلى من يستحق ومن
لا يستحق قلت من يستحق ومن لا يستحق . أنا لا أمد يدى ، عليهم هم
أنفسهم أن يأتوا إلى ويسددوا حسابهم .

حسناً ، قلت إننى حر ، ولكن ليس بقدر الحرية التى تجعلنى أكتب
على الورق كل ما أحب أن يبدو بوضوح وصراحة (ما إن ترفع العصا
حتى يحسب القبط السارق حسابه) لن أذكر واحداً باسمه ، فليس من وراء
ذلك فائدة . فأنا أعلم تفصيلات حياة المحيطين بى ، أعرفهم كلهم .
أعرف أين كانوا وماذا فعلوا وإلام وصلوا وأين وفى أى ظروف يعيشون
الآن وأى شركة أو مصنع أو محل بيع كان لهم به علاقة واتصال وكم
أسهمهم وبأسماء من هى أملاكهم فى إيران وأوروبا وأمريكا وكم يبلغ دخل
كل منهم . أقول هذا لكى تفهموا من أى مصدر جمعت معلوماتى .

كان لى نفوذ وسلطة فترة فى جهاز السافاك فى أوروبا . كانوا يهابوننى

ويداهنوني وكنت أعلم إلى حد ما أين يستثمر الأمراء ورجال البلاط والحكومة والأعيان ورجال السافاك أموالهم . كانوا يستشيرونني أي سهم يشترون وفي أي بنوك يودعون أرصدتهم أو من الرأسمالي الذي يشاركونه وأعرف الدقات التي كانوا يخفونها عن أقرب الناس إليهم حتى عن زوجاتهم وأولادهم . أنتقيهم واحداً واحداً وأعلن مآربهم وأفشي أسرارهم وأثبت أخطاءهم وخياناتهم وشرورهم وجرائمهم إلى الحد الذي لا يمكنهم التفتوه بكلمة . قلت طبعاً إنني لن أذكر أسماءهم . هم أنفسهم جميعاً يعلمون من الذي أقصده وما الذي أرمى إليه . وليس بالضرورة أن أمد يد التطاول عليهم لأنهم سوف يبحثون عني وينيلوني جزائى ويحتفظون بكرامتهم . وهذه هي طريقتى نفسها وفنى فإذا توقع بعضهم ولم يرد أن يركع لى لنشرت جانباً من أسرارهم تحت أسماء محرفة فى إحدى الصحف التى تنبت اليوم لحسن الحظ كالقطر من الأرض فى أوروبا وأمريكا ، فإن كان اسم الواحد منهم مثلاً (باخترى) ذكرته (بخترى) . ولا أعتقد أن أحداً منهم مطلق العنان بحيث لا يرضخ . هذه هى تجربتى التى خرجت بها بعد أكثر من اختبار حتى اليوم ونلت منها شيئاً .

كان أول من لفت نظرى إلى أن هناك عالماً آخر يخالف المحيط بى واحداً من الأقارب البعيدين لوالدتى واسمة موسى وكنت أدعوه (موسى جون) كنا نختلف كثيراً من حيث الثروة والمكانة . كنت أنادى أمى بـ (النينة) وكان ينادى أمه بـ (الهاتم) . نشأنا سوياً . كان منزلنا فى (كزركلاتر) ويبعد منزلنا عن منزله بزقاقين أو ثلاثة . كنا فى مدرسة واحدة . كان يسبقنى بثلاث سنوات دراسية . كنا نلعب سوياً . كان موسى جون يتيم الأب وأمّه ثرية . كان لهم حديقة واسعة تمتلئ بأشجار

الرمان والتفاح والكمثرى والخوخ وفيها حوض ماء كبير يمكن السباحة فيه . وكان منزلهم الرحيب يحوى حجرات متنوعة تمتلئ بالمرايا الكبيرة والنجف والخدم والحشم والبساتين . وكنا نحن فقراء مساكين . فأبى أصلاً لا أتذكره . وكان لنا فناء صغير فيه حوض مستدير تتحرك فيه بضع سمكات وكنت أنا وأختي رقية نحاذر كثيراً من أن تنشب قطط الجيران أظفارها فيها . كانت لنا حجرة حقيرة وبجانبها دورة المياه ثم المطبخ وكان الحوض على طرف منها وحجرة أكبر على طرفها الآخر كنا ننام فيها وقمت أنا بصنع سرير لى مستخدماً المنشار والقدوم وبعض الخشب . وكنت أكرس الباب والصناديق لى أصنعه . لم يكن بمقدورنا اللعب إلا فى منزل موسى جون . لم يكن فى كوخنا الضيق الحقيق موضع نلعب فيه . كان موسى جون أول من أضلنى عن الطريق . كنا نعود معاً فى أغلب الأوقات من المدرسة إلى المنزل .

فى أحد الأيام توقف فى منعطف الزقاق وتحدث مع امرأة بضع كلمات . وكنت واقفاً بجانب وأرى أنها من تلك النساء اللاتى تأكلنى أنا أيضاً بعينيهما أثناء ملاعبته لهن . سألته : من كانت هذه ياموسى جون ؟

- ماذا تريد أن تفعل ١٩

- لا شئ قط .

- سنرى هل نحب أن نتعرف إلى أختها ؟

وحيث إننا ركبنا الاتوبيس يوماً من المدرسة وذهبنا إلى بيت دعارة فقد ذقت ولأول مرة طعم حياة الأغنياء وتمنيت أن أصبح غنيا مثل موسى جون وآلهو . وما أن تلقيت بعض التعليم حتى أوجدت أمى لى عملاً . فعملت كاتباً بسيطاً عند تاجر فى سوقة (حاجب الدولة) وكنت أجلب للزيائن الشاى والنارجيلة وأحمل الجرار إلى المخابز وكنت أعطى

والدتي ما أدخله من أجر . وأفلس حاجي نبي صاحب العمل ومات .
وكان ابنه (ميرزا علي خان) موظفا في المالية فأخذني معه إلى إدارة المالية
ووظفت في المحفوظات . وكنت أحجل كيفما اتفق . والتحق موسى جون
بـ (مدرسة ثروت) وحصل على دبلوم . كان جميل المنظر أسود العينين
والحاجب وحسن الكلام والهندام ومتعجرفا أيضاً حيناً وكثير الادعاء لكنه
ظل معي كما كان . ورافقت ميرزا علي خان إلى ميناء (لنجة) في أحد
الأسفار للتفتيش على ضرائب الصيادين ومكثنا بها ستة شهور فلم نر
سمكاً ولا صيادين . وجدنا بدلاً منهم مهريين بقدر ما يتقدر . وهؤلاء
لايجوز أن يؤخذ منهم ضرائب فرجعنا بدل الضرائب بقدر من الأقمشة
الحريرية والساعات والأساور والذهب وما إليها من البضائع الرخيصة ،
أتيت بسوار ذهبي لأمي دخل ضمن جهاز رقية عند زواجها . وكنت نحيلاً
جداً حين عدت من لنجة لايلدو مني غير الجلد والعظم . قبض علي ميرزا
علي خان وأودع السجن . ثم عمل جاسوساً للسافاك ولا يزال يعيش في
ناحية من إيران . طردوني من العمل وصرت شريدك .

وحين عدت كان موسى جون قد صار إنساناً محترماً . صار صاحب
منصب و ثراء وصاحب أمر ونهي . لكنه ظل معي كعهده القديم . كان
يتسم حين يرى ما في يدي من ذهب . قال مرة : لم يكن غير الفتات
نصيياً لك فتغاضيت ، ولم يتابع أيضاً تعليقه .

واستمرت بطالتي فترة . وجاء عام (١٣٣٧ هـ / ١٩٥٨ م) حيث كان
السافاك يستقر . أتى موسى جون يوماً في الأصل لزيارة أمي . كنت أنا
ورقية جالسين على الحوض ، كنت أغسل قدمي وأتفرج على الأسماك
الحمراء ، لم أكن أحب أن أكون ممتاً له ولا أن يتصور أنني عاجز .
مهما يكن من أمر فأنا إنسان ذو نخوة . سمعته يسأل أمي :

- ماذا يعمل ؟

لا شيء ، عاطل . ساءت أحواله وهو فى لنجة . اتركه حتى يفيق ثم أجد أنا له عملاً . اننا لم نمت حتى الآن من الجوع . مازالت أيدينا تصل إلى أفواهنا . .

كانت أمي باعت قرطين ذهبيين كنت أتيت بهما من لنجة وكانت أمورنا مذبذبة . وحين أراد موسى جون مغادرة البيت توقف قليلاً عند الحوض وقال : يارو « يعني يا صديقى العزيز » لن أذكر ، أسمى وأسباب ذلك كثيرة . يارو ، هل يحى كنف قدميك بالماء البارد ؟

فأجبتة : أنت تغسل قدميك بصابون « بالموليف » وتدهنها بعد ذلك بعطر « كوتى » . لكننا فقراء مساكين نغسل بهذا الماء العطن وليس أمامنا غيره . .

لم يطق سماع السخرية . قال : انظر ما أقوله لك . أنت سمعت أننى منذ أيام عديدة أصبحت موظفاً فى البنك الوطنى . وسوف أسافر إلى أردبيل بعد بضعة أسابيع لأعمل فى فرعها .

- صرت صاحب وجهة ومكانة ؟ بهذه السرعة ؟

- مامعنى بهذه السرعة ؟ لقد خدمت ستين فى وزارة المالية وانتقلت الآن إلى البنك الوطنى وأصبحت موظفاً فى البنك الوطنى فى أردبيل وهو ليس منصباً رفيعاً . سوف نتحدث فى هذا الموضوع سوياً . واتفقنا أن أذهب إلى منزله بعد بضعة أيام .

تحدث كثيراً عن أن على الإنسان أن يكون له معين فى هذه الأيام الصعبة حين لا ينفع أحد قط أحداً . يتلمس الإنسان من يأخذ بيده بحيث

ينهض بمفرده حين يقع . كل الناس لديهم جعبة مليئة بالسهام ويقصدون الناس بهدف أن يجندلوا كل حى « لما كنت أنت وميرزا على خان فى لنجة لم يقف أحد معكما ولم يهتم بكما إنسان » . وقال وكرر فسأله :
- وأنت ياموسى جون هل لديك الآن معين ووجدت ظهراً لك ؟

- نعم كما ذكرت . وأنت عليك أن تلمس نفس الطريق وتجد ما تستند عليه . أمك لا يمكنها أن تكون عصاك التى تتوكأ عليها ولم أفهم جيداً ماذا يريد أن يقول حرّت وشردت هل يريد أن يوبخنى ؟ أو أنه حقاً يعطف على ؟ . هل يقصد أن يكسب قلب أمى ، عندما كنا نسهر معاً هو لم يكن بعد موسى جون الذى ذهبنا معاً إلى بيت الدعارة . كآنة الآن رئيس بنك يوجه نصحه إلى عميل وضع كان يده مسبحة ذات حبات غليظة ويقلد دون قصدية منه العظماء . ولم أكن حتى ذاك الوقت سمعت بالسافاك ولم يكن بإمكانى أن أصدق أن عملاً ما يأتى من هذه الإدارة الحكومية . كنت أفكر فى أن أفتح دكاناً بما بقى مما جلبته من لنجة . بل إن فكرى وصل إلى أن اعود إلى لنجة واتابع ما انقطع من أعمال الشهور الستة الماضية . بل أننى ذهبت يوماً لملاقاة ميرزا على خان . كان يمتلىء بالعافية بعد أن قضى ثلاثة أشهر ونصف الشهر فى السجن . لم يعط لما حدث له أهمية . ويداً سعيداً حين رأتى .

- ماذا تعمل ؟

لأزلت عاطلاً أريد أن أذهب إلى ميناء لنجة . أتيت إليك لاستفسر منك عن بعض أولئك الذين كانوا يتعاونون معك . كان زعشير وشييرته يتعاملان معنا جيداً . كانا متوافقين معنا وميزراً كعنى أيضاً الذى كان قليل التعليم ومع عماء لم يكن يصنع معنا شراً مع شرايته .

- أصبر فبعد بضعة أيام أخرى سىتهى أمرى فقد وجدت منفلاً نلج منه وبمجرد أن أخرج من هذه الورطة نكون معاً مره أخرى . وأنت لم يضق

بك الحال حتى الآن . لا أعرف إن كان يصدق أو يكذب . صممت على أن أسافر إلى ميناء لنجة لكن القدر كان قد رسم لى دوراً آخر . جاء موسى جون إلى منزلنا ليودع والدتى .

- تعال غداً فى العاشرة تماماً إلى منزلى لأننى أريدك فى أمر .
أركبنى سيارة أجرة وقادنى إلى عمارة ذات طوابق عديدة . وقفت لحظة على الباب ودق هو الجرس ودخل . ظللت منتظراً هناك نصف الساعة .
أتى شخص بعد ذلك وسألنى :

- هل أنت الذى كنت برفقة موسى خان ؟
فتح الباب وقادنى إلى داخل المبنى . عصب عيني وصعدنا بالمصعد بضعة أدوار . أتى شخص آخر واقتادنى إلى غرفة وأهمل على بابها . ومضت نصف ساعة . لا ، لا أدري ، هذه الفترة كانت عمراً فى طولها وكان بنفس تلك الغرفة باب آخر وحاولت أن أفتحه . سمعت صوت قدم . أخذ قلبى يرق . كنت على وشك أن أصرخ صبيت على موسى وأبىة وأجداده كل ما أعرف من السباب . كان شئ بداخلى يصرخ فى ، يكمن فى هذه الغرفة كل شئ يتصورة العقل . أزيلت العصابة عن عيني . انفتح الباب ودخل رجل يلبس نظارة سوداء . رأيت الغرفة منضدة وكمرسين سألنى : ما اسمك ؟ أنا الدكتور بيجن .

- فلم أحر جواباً .

- قال : اجلس .

كان على المنضدة ورق وبضعة أقلام ودواة حبر . داهمنى الخوف ، بان لى ما كان خافياً ، هنا السافاك . هنا يستجوبون الناس ويستخرجون منهم خبايا الأمور ، على أن أرد شئت أم أيت كل ما أتيت به من لنجة . هذا هو الحل ! ربما أخرج من هنا حياً ، سألت نفسى : إذن ميرزا على خان انتهى أمره بدوره إلى هنا . لم يكن يتظر من سيما جليسى أى غيظ أو غضب . قال :

- أنا الدكتور ييجن . سوف أتركك ساعة لكتيب تقريراً عن حياتك .
لكن لاتنس التفاصيل . نحن نعلم عمومياتك . من هم أصدقاءك . من
الذين اختلطت بهم . اكتب أيضاً أسماء معارفك . اسم أمك وأبيك
وأختك . فيم تعملون ؟ من أين تعيشون . حتى تلك الأمور التي لاتبدو
هامة في نظرك عليك أن تكتبها بدقة ومحميص .

- قلت : - سيدى الدكتور أنا لم أفعل شيئاً . ولم أدخل أى جماعة
أو حزباً سياسياً قال : أعرف هذا ، بل أعرف أفضل منك . تريد أن أرين
لك مالا تعرفه أنت عن نفسك ؟ أعرف أنك لم تفعل شيئاً ولم تحتل على
أحد . ألم تأت إلى هنا حتى لاتخرج خالى الوفاض بل قاضياً حاجتك ؟ .
قال ونهض ولم يقفل الباب وكرر :

سأتى أذن بعد ساعة وأخذ الورق . وذهب وأمسكت بالقلم وخططت
بضعة أسطر على الورقة الأولى وقلت لنفسى : ماذا أكتب وماذا لا أكتب ؟
حملت روى على كفى وشرحت حياتى بالتفصيل فعين بلغت السادسة
أسلمتلى أمى إلى مدرسة حكومية ولما كنت قصير القامة جلست على
المقعد الأول . لم أكن طفلاً غيباً كنت اتعلم كل ما أقرأه فى المدرسة .
وتعلمت حتى الصف الحادى عشر ثم رمت فى الامتحان ولم أذهب من
بعدها إلى المدرسة وتشردت أياماً . ومضى على أمى ستة أشهر وهى لم
تعرف أننى أهرب من المدرسة وألعب مع المشردين لعبة الطاب . وأوجدت
أمى عملاً لى . فكنت أعمل أولاً فى سويقة (حاجب الدولة) عند
حاجى بنى ثم وزارة المالية . اسم اختى هو رقية وصديقى هو موسى جون
وقد تعلمت فى المالية على يد ميرزا على خان شغلى . تعلمت كل دقائق
الشغل كيف أعطل أعمال العملاء وكم أتقاضى منهم كرشوة وأي مبلغ
أعطية لميرزا على خان وكان نصيب ميرزا على خان ضعف نصيبى . كان

يقول إن عليه أن يعطى نصف نصيبه لرئيسه . كنت أسترى إليه النظر فأراه يأخذ مبلغاً ضخماً من بعض دافعى الضرائب ويودعه فى حساب رئيسه أو على الأقل كان يظهر لى أنه يفعل هذا . كانت كل الناس ترجع إليه من لابسى الملابس الإفرنجية والقلاتى والمعلمين والباعة المتجولين والتجار المفلسين وتجار التجزئة . . كان التفتيش على الدخول يتم كيفما اتفق وبدون قواعد (فى غيابه) بئر لا قاع له ويلفون السبع لفات . كان الافتديات هم سادة الباعة الجائلين . ، وكانت السياسة المتبعة أننا (نوزعهم) بحثاً عما لا يوجد نتعلل ونماطل ونجعلهم يدورون حتى تهد قواهم ويرسلون وساطاتهم . ثم يسامون ثم نتفق ونفصل الأمر . لم آخذ قرشاً واحداً حتى شهر قبل سفرى من ميناء لنجه قال : يجب أن يعطى كل شئ لرئيسه ، إنه يرتب لنا عملاً مجزياً به سوف يعود علينا دخل وفير . وحدثت الأمور على هذا النحو . سافرنا . والى هنا لم تكن كتابة قصة حياتى عملاً صعباً . لم نحصل على دخل كبير يسترعى الانتباه لكتنا أحدثنا ثورة فى لنجه . كان ميرزا على نمان يعرف ألف طريقة استعصى من ذكرها . أحياناً كنت أحاول أن أحول دون مبالغاته فى تقديراته فكان يتسم ويعلننى طفلاً ويقول : حين تكبر سوف تعقل - لو كتبت كل هذه الحوادث لضبطت متلبساً . كنت أتصور حتى ذاك اليوم أن رئيس هؤلاء (السافاكين) يخلق مثل الشرطة الاحتيال وينجز أعماله بدقة بنفسه . النهاية ، ملأت ثلاث أوراق وجلست أنتظر مترقباً نهضت من وراء المنضدة وكانت عيناى بدون عصاه وتمكنت من الوصول إلى النافذة وإلقاء نظرة على خارجها . لم أر شيئاً ملفتاً للنظر . فمشيت حتى سمعت صوت فتح أكرة الباب ثانية .

دخل الغرفة - هذه المرة - رجل كان يقدم نفسه على أنه الدكتور (جهالنجير) بيده حقيبة ، بهيئة هادئة تبلو منه ضحكة ضعيفة كاذبة تثير الاشتزاز وبين شففيه سيجارة . كان يمسك حقيبة جلدية صفراء ولا يمكن تحديد هيئته من النظارة السوداء على عينيه . كان يظهر لى أنه يقصد استمالتى . لم احترام هذا الرجل كثيراً . أكان يريد خداعى ويستخرج منى الكلام ؟ هل وجهه مقبض أم بشوش الطلعة ؟ كان يمكنه فى كل الأحوال أن يكون ممثلاً بارعاً . أخافنى .

- اجلس ياسيد .

كان يبحث فى حقيته عن شئ ما . أخرج منها مجموعة من الأوراق ووضعها على المنضدة . كان يريد أن يظهر لى أنه أخرجها بطريق الخطأ . فطنت للأمر . كانت الأوراق أوراقي . وضعها فوراً بلاخل حقيته رفع الأوراق الثلاثة التى ملأتها . ألقى عليها نظرة . توقف بضع ثوان على الورقة الثانية ولم ينظر أصلاً إلى الورقة الثالثة .

- كتبت كل شئ ؟

- قلت : (أجل) لكن حواسى كانت فى مكان آخر . تلك الأوراق هى نفس الأوراق التى سبق أن أبديتها وأفرغت بها جيوب (الشيخ غضنفر) الذى تعالت صرخاته إلى السماء . أثار جلبه ورعيقا ، هلدته ما مقدار السمك الذى صدته ؟ أين إيصال دفع ضرائبك ؟ أذيتك كثيراً . لم ينطق بكلمة . والآن يواجهنى بها السيد الدكتور .

- إذن الشيخ غضنفر هنا لماذا اشتكاك إلى الشرطة ؟

- سيدى هؤلاء مهربون وأنا كنت أضبطهم متلبسين وكانوا يلفقون لى التهم .

كنت أتحدث وكان ينصت مرة ولا ينصت أخرى ويقرأ ما كتبت ، لكنه لم يلدن شيئا . كان قلبي يخفق ، كنت أخشى أن يمك الاستجواب بخناقى .

- أشخاص آخرون شكوك أيضا مثل كعبى وشير وعاصم .

- كلهم ياسيدى الدكتور كانوا مهريين .

رأيت أنه لايهتم بأعمالى تلك . كان يسألنى وكنت أجيب وكان يخرج الأوراق من حقيته ويقلب فيها . وفجأة قاطعنى قائلا .

- وماذا تعمل الآن يابنى .

- عاطل . وشرحت له أن أمى تبيع سجاجيد المنزل وأثاث وأن حياتنا تمر بأى شكل .

ويعجرو أن قلت (وأفكر فى أن أذهب إلى ميناء لنجة) حد سمعه :

- ماذا تفعل هناك ؟ .

- اكتسب مالا .

- تريد أن تصير مهربا ؟ .

- لا لكنى أقبض على المهرين وأسلمهم للشرطة .

- السيد ميرزا على خان . . وصى عليك (وإلا) موقفك .

- هذا من لطفكم .

- يمكنك أن تذهب حيثما تشاء . ميناء لنجة ليس مكانا سيئا لكن

بشرط . عليك أن تخبرنى (بأى) شئ تراه مخالفاً للمصلحة العليا للوطن .

إذن كانوا يطلبون منى التجسس . فهمت ما يرمى اليه ، لكنى

اصطنعت الجهل . عجيب ، إذا كان هو داهية فأنا أكثر منه دهاء .

قلت : سيدى مامعنى المصلحة العليا للوطن ؟ .

ففضل القول فى موضوعات نعرفها جميعا . لو أن أحدا شتم الشاه أو

لو أن آخر جاء بورقة أو شيء من الكويت والسعودية وباكستان وخاصة لو أن واحداً كان معه كتاب وقراه ثم أعطاه لغيره . لو أن شيخاً أراد أن يعلم أولاد الناس دروساً غير القرآن وجزء (عم) ، لو أن شخصاً قدم إلى لنجة من المدن الأخرى وأراد أن يتصل بغيره من الناس وحدثت مؤامرة ، لو أن واحداً لا قدر الله أتى بمسلمات وخناجر وسكاكين وياعها للشباب . لو أن بضعة أشخاص اجتمعوا تحت خيمة عدة ليال وتحدثوا معاً . ظل يتحدث وأنا لم أفهم بعد ماهي الجاسوسية وأيقنت أن مثل هذه الأعمال تنأتى منى . إذا هذا الشغل هو ما كان موسى جون يسمية المعين والحامى . قوى ظهري النشاط ولم أذكر لأمى نوعية شغلى وأعطيتها من الأربعمئة تومان التى أقرضنيها الدكتور ييجين مائة وصممت على أن أصحح العزم وأتجه إلى لنجة بقصد أن أعاقب ميرزا كعبى . كان هذا هو الظاهر ، أما فى الباطن فكنت أشعر بالرعب . أحسست حين هبطت من هذا المبنى ذى الأدوار المتعددة أن الجميع ساخطون علىّ ينظرون إلىّ بغیظ فكنت أشجع نفسى (لا يمكن إمساك الهواء) . ينبغى التفاهم والبقاء سالماً . كنت اعتبر نفسى إذ ذاك موظفاً بالسافاك . كل من يصطدم بى وجهت إلى عظام صدره ضربة لا يتنفس بعدها . إنهم يجمعون بلا فعل وفكرت لمدة أيام عديدة هل أذهب إلى لنجة أم أبقى . هل لا يمكن التجسس هنا فى طهران . وفى النهاية حسمت أمرى (وصممت) على السفر حين تقدم زوج لاختى الصغيرة . أمرت أمى أن أبقى حتى يتم خير البر هذا . لم أكن رأيت حتى ذاك الوقت العريس . كنت سمعت أن رقية لها علاقة مع رجل يكبرها بضع سنوات وأن هناك كلاماً حول الزواج . حين أتى العريس إلى منزلنا بقصد الخطبة الرسمية واستقبلته أمى فى حجرتى تراجعمت مأخوذاً . على حين غرة . غلبنى تصور أخذ يلمع كشرارة ثم يخمد بأننى رأيت هذا الرجل فى مكان ما .

لكنى لم أدرك من هو رغم سعي الحثيث . حينها عرفت أنه هو من كان اشترى منى بضاعة مهربة فى ثلاجة . لكن بلا مختلفا . أيقنت أننى صادفته مراراً أثناء بضعة شهور بطالتى بدون أن نتلاقى وجهاً لوجه . ثمة خاطر بلا لى كلمح (البصر) مصيبة لو كان راقبى قبل لقائى بالدكتور بيجن ، والآن يريد أن يتفحص أحوالى ، يريد اختراق منزلنا . لكن هذا الوهم زال من تلقاء نفسه بعد الترحيب العادى . توأم أحلنا مع الآخر وصرنا أصدقاء كنا نقضى ليالى بصحبة أختى رقية ونشرب منفردين البيرة فى المقاهى وكنت أفشى له كل ما بقلبى .

الشئ الوحيد الذى أخفيته عنه معرفتى بالدكتور بيجن ومهمتى فى (لنجه) . أمضينا حوالى أسبوعين سويا الليل مع النهار وكان كلما أردت أن اعتذر له بالتأهب إلى السفر يمنعنى من مفارقتة . وتأخر زواج رقية . وفى صباح اليوم الذى قررت أن أحمل فيه أمتعتى إلى محطة أتوبيسات خط الجنوب ، حين عدت إلى المنزل مساءً وجدت رسالة ملقاة داخل دهليز المنزل من عقب الباب . كان الدكتور بيجن يستدعنى فيها لملاقاته بنفس المبنى الذى ذهبت إليه برفقة موسى جون فى الساعة العاشرة تماماً . ولم أدق الجرس حين فتح الباب رجل . بالغفلتى لقد كان هو خطيب رقية . تمزقت نياط قلبى . انعقد لسانى . ضحكك ولم أنبس بينت شفة . صعدت المصعد وسرت هذه المرة إلى حجرة الدكتور بيجن . انفتح الباب المغلق وتلاقينا منفردين بدون خطيب رقية .

لم تتزوج أختى لكنها حملت . أخفت ذلك عنى أمى . عولج الأمر وأسقط الجنين حين ذهبت لزيارتها بالمستشفى سمعت اتفاقاً من الممرضات أن حادثاً وقع لها . عرفنى بالتفصيل الدكتور بيجن أن الذنب كان ذنب رقية وليس ذنب الخطيب . طبعاً لم أصدق كلامه لكن ماذا أفعل ؟ إما أن أقتل نفسى أو هذا الخطيب أو رقية .

ولم يكن لدى الجراءة على فعل أحد هذه الاختيارات . بدأت مهمتى من ذاك اليوم . لا أستطيع أن أفضل شرحها ولن أشرحها وإلا لن يكفينى ورق (لكتابتها) .

الخلاصة هى أن واجبى كان التسلل داخل صفوف الطلاب اليساريين . كان الطلاب يقومون بالجلبة فى الجامعة بلا داع كانوا لا يحضرون المحاضرات . بل إنهم أهانوا أحد أساتذة كلية الطب . لم يدعوه يدخل محاضراته لأنه كان بمجد الشاهنشاه . قالوا إنه يحاول بهذه الطريقة أن يتبوأ منصب رئاسة الجامعة . كان واجبى أن اكتشف من هم زعماء مشرى الفتنة . نبهونى إلى أن هناك خلافاً فى مأمورين آخرين يراقبان الوضع أيضاً ومن الممكن أن أقع فى دائرة الشبهة بسبب تشجيعى وتحريضى للطلاب على تمردهم فيعتقلنى ضباط الشرطة . لم أكن أخشى من أن أضع روحى على كفى . لا أضن عن بذل ما لدى من شجاعة . الهدف هو أن الجهاز - ولأول مرة سمعت هذه الكلمة من فم الدكتور بيجن - يعرف من المحرك الأساسى لهذه الاضطرابات وما هو التنظيم أو الحزب أو التجمع أو الجهات الأجنبية التى هم على اتصال بهم . الأمر الدقيق فى هذه المهمة هو أن أحاذر وأتحوط فى تنفيذها . لأنه لا يستبعد أن يكون المحرضون أنفسهم من موظفى جهاز السافاك وهم الذين يلعبون نفس الدور الذى أنيط بالدكتور . وتقرر أن لا أتصل قط بهذا المقر السرى وإنما أوصل تقاريرى عن طريق خطيب رقية - والذى كان اسمه الثانى (عريس) أختى - وآلا أتصل إلا عند الضرورة ليلاً بالتليفون رقم فآقرع جرسه ثلاث مرات وأحدد الميعاد . وآلا أبلغ تقريراً عن طريق التليفون مهما كان عاجلاً أو مصيرياً .

رئيت متطلبات المهمة من كل جوانبها . صرت أنا العبد لله الذي
اسمى في هذه المذكرات (يارو) طالباً وأدرس في شعبة الاقتصاد ، ولم
يكن هذا أمر سهلاً فأنا الذي لم أخطط السنة الخامسة من المرحلة الثانوية
ولم أتل أصلاً شهادة الثانوية . منحت بناء على توصية أحد الأساتذة وكان
هو نفسه من قوى النفوذ - السماح بحضور محاضرات الاقتصاد والتاريخ
والآداب بسبب أنى طالب ذكى علامة ومكافح ونشط وأتعهد أن اجتاز فيما
بعد امتحان الثانوية وأنال دبلومها هذا التعهد الذي لم أف به مطلقاً . حقا
دفعونى إلى العمل كآى طالب فاضطرت إلى تعلم ألفاظ لم أسمع بها
حتى ذلك الوقت . كان الأولاد يقرعون بعضهم بعضاً فى مناقشاتهم
باصطلاحات كانت جديدة علىّ وكان لابد أن أحفظها أنا الذي كنت أريد
أن أتلخّل فى كل مناقشة . اصطلاحات مثل : الأيديولوجية ، الماركسية ،
المجتمعات البشرية بالقوة . بالفعل ، ظاهرة ، شعار ، ليبرالية ورجعى
وتقدمى كان سهل تعلمها أما الصعوبة الأساسية إدراك موضوعاتها هذه
المثيرة للجدل . كنت أقرأ بتدقيق الجرائد وإعلانات دعاية لطلاب وملازمهم
السياسية وحينما كنت أتصفح كتبهم . دفعة واحدة وجلت نفسى التحول
إلى طالب ولم يعد يشتبه فى أنى طالب مزيف كنت أشاركهم مناقشاتهم
على نفس هذا الأساس وكنت أهاجم بشكل أشد من الجميع النظام خاصة
الجيش والبلاط وبعض من نواب مجلس الشورى . ولم أتورع أن أذكر
اسم الشاه وحاشيته فى كلامى النارى وبعد بضعة شهور صرت أحسب من
بين رؤساء الطلاب الشوار وكان يتبعنى جماعة من الطلاب . كان كل ما
يجرى على لسانى يتلونه (شعاراً) وكنت اسمع أنهم يذكرون اسم (يارو)
فى مناقشاتهم السياسية على أنه يفهم الدقائق ويعرف جيداً أين مربوط
الفرس . وهكذا أخذ رؤساء الجماعات السياسية يعرفوننى بأنفسهم .
أتى واحد منهم وقال (يارو ، أنت بغير مبرر غير منضم إلى حزبنا .
نقدمك إليهم إذا أردت) وانتهى بى آخر جانباً وقال :

- أصدقائي يودون التعرف إليك .

وأخذ ثالث يمدح لى وحسب (اتحاد العمال) ورابع يمجّد (القوة الثالثة)
دونت أسماءهم جميعاً وأبلغتها للدكتور ييجن عن طريق
(العريس) . إن أهمهم شاب حسن الهيئة قصير القامة أسمة (أهارى)
كان يجلس بالقرب منى ويشجعنى . كنت كل يوم أمدحهم بشعار أكثر
حدة وشدة ، وهكذا ألجأت العمل الذى رتبته القدر لى على خير وجه ،
وبعد عامين كنت أنا شعلة ثورية .

ظلت اعتصامات الطلبة تزيد يوماً بعد يوم . وكان الأساتذة يقومون
بالدفاع عن الطلاب أو يمتنعون عن إلقاء المحاضرات . أصبح رئيس الجامعة
محل مسخريتهم ولم تحل الأمور بالهدوء والسياسة وأخذ النظام بالجامعة
يختل . ويوما بعد يوم انتهى الأمر الى (التعارك) بين المجموعات المختلفة
شجروا رأس أحد الطلاب إلى حد أنهم اضطروا إلى نقلة إلى المستشفى .
اقترح فى مثل هذه الأوضاع رئيس الجامعة على وزارة التعليم أن تستقبل
وفد يعرض مطالب الطلاب . وكان من بين الممثلين (أهارى) الذى كان
يعد المتحدث باسم الوفد ، استقبل الوزير الوفد ووعدهم بأنه سوف يتخذ
سلسلة من الخطوات لتحقيق رضا الطلاب . كان من بين الطلاب الخمسة
أربعة رضوا وابتوا يعتبرون أنفسهم متصيرين . كان الساخط الوحيد هو
أهارى الذى كان يبدو عليه أنه عاّد من عند الوزير مهزوما . أتى أهارى
إلى وقال إن الوزير خدع الأولاد وسوف يمضى وقت طويل حتى يتحمس
الطلاب ويعارضوا . فلا بد من القيام بفعل يجعل هذه الشعلة لا تنطفئ
رأيت شابا يتحدث عن الشهرة . حين خطرت فكرة جديدة فى بالى كان
الوزير قد أمر بأن ينعقد مجلس الجامعة خلال أسبوع ويبحث مطالب
الطلاب ويجد بل يراعى رأى الحكومة ومصلحة الطلاب معا .

كان موعد مقابلة وفد تمثيل الطلاب يوم أربعاء وتقرر أن يبحث المجلس
طلباتهم ويوم السبت يقترح الحلول . صممت على أن أمنع هذا الصلح

جمعت بضعة طلاب من أولئك الذين يطيعوننى وخذعتهم واقترحت عليهم القيام بفعل خطير يقوِّض الصلح من أساسه بدون أن أذكر لهم ما لدى من خطة . كانت الركيزة الأساسية لها أن أهاري معه الحق ولا يجب الانخداع بقول الوزير . عليهم أن (يوافقوا) فى الجلسة الأولى لمجلس الجامعة على مطالب الطلاب وهى إعداد وجبات الغذاء بثمن رخيص وتجهيز أماكن نوم أكثر للطلاب غير الطهرانيين وإلغاء الرسوم الدراسية وإطلاق حرية الدعايات السياسية فى محيط الجامعة وطرده بضعة من الأساتذة أهانوا الطلاب أثناء فترة الاعتصام . وطُرحَت المطالب ووافق عليها أكثر المعارضين وتقرر أن تطرح قرارات الطلاب على مجلس الجامعة حتى يوم الأحد وإذا لم يوافق عليها حتى يوم الثلاثاء فسوف تقوم سائر الجامعة باعتصام وقدم المقترحات عميد كلية الحقوق وكان من المدافعين عن هذه (المقترحات) وشبت ثورة عظيمة . كان الجميع يتوقع حادثاً خطيراً لذلك روعيت مصالح كل الطلاب خاصة الطهرانيين وكانوا هم الأغلبية التى تعجز عن تدبير المسكن والمبيت والمال الضرورى .

وخصت الجرائد المؤيدة مقالاتها الرئيسية لحوادث الجامعة . وتأهبت الحكومة لأى حادث يطرأ . سألتى الخطيب ليلة الثلاثاء عما يريدون فعله ؟ كان يود أن يتهز الفرصة ويبلغ الخبر لأصحاب الأخبار بالجهاز لكنى لن أرو غليلة وقلت (لا ادرى) .

قدحت زناد فكرى جيداً فيما احتاله من حيلة لاثورط بها فى المعركة . طالعت تلك الليلة الجرائد ، كانت صحف اليسار تحرض الطلاب على الاعتصام . وكان اليمينيون يوصون الحكومة بالحسم الشديد . وامتلكت زمام المبادرة .

حتى صباح الثلاثاء لم يجد جديد . ولما ذهبت إلى الكلية وجدت الشرطة قد أحاطت بالجامعة وكانت عربات الجيش تمتلئ بالجنود . ولكي يظهر رئيس الجامعة أنه لم يحدث أمر سيئ في مجال عمله نزل من سيارته واتجه إلى مكتبه واصطففت جماعة من الطلاب المعتدلين كانوا واقفين على جانبي الشارع وصفقت له ، وهتفت ترحيباً له ، وهتفت ضده أيضاً جماعة أخرى وبعد مناقشة قصيرة مع عمداء الكليات توجه رئيس الجامعة إلى المجلس . أمسك أهارى يدي وسألني والآن ما الذي ينبغي أن نفعله؟ قلت : لاشأن لك بشئ فانا الآن من يصدر الأوامر . فقال : وما شأنك أنت لكي تلقى الأوامر . فقلت : وما شأنك ؟ ذهبت إلى الوزير وخارت قواك .

- لم يحدث شئ من هذا .

- اسكت الجميع يعلم أنك الكفاءة لا بد أن تنفذ ما أقوله لك الآن هذا لمصلحتك وإلا قلت لجميع الطلاب إنك تلعب على أكثر من جهة تعتلي المنصة وتتكلم وتصدر الأمر . على مجلس الجامعة أن يتخذ قرارات بشأن مطالبنا حتى عصر اليوم .

ولفته تفاصيل خطبته ونبهته : إذا غفلت عن كلمة واحدة أعتلى أنا المنصة وأكمل باقي الكلام . هكنا حرصته بإثارة غرورة وانخدع هذا الأبله ونم يكذ يتم النقطة الأساسية من كلامه وهي (سنقفل باب قاعة المجلس ولن نسمح بخروج الأساتذة منها حتى تتحقق مطالبنا) حتى قمت أنا وأتباعي لخلق أبواب القاعة ووضع الأقفال عليها ونزع أسلاك التليفون وصار جميع كبار الأساتذة وعمداء الكليات حتى الأساتذة المرافعون عن الطلاب سجناء وأسرى لدينا .

انتشر في المدينة هذا الخبر كالبرق ، وكان أول من لاذ بالفرار من حرم الجامعة هو أهارى ، لم أعرف إلى أين ذهب ، لأنه لم يرجع أصلاً إلى

الجامعة المهم أن هذه الحادثة شاعت في طهران في صورة تصريحات مبالغ فيها ، وأخلت أشكالا عجيبة وغريبة وهي أن صداماً وقع بين الأساتذة والطلاب وأن سقف قاعة المجلس سقط على رؤوس الأساتذة وأصيب عدد منهم . ولم تمر ساعات قليلة حتى أتاني (العريس) كالصيد المضروب برصاصة لكي أخرج من الجامعة بأقصى سرعة . في الساعة الرابعة قامت الناقلات المشحونة بالجنود بمحاصرة الشوارع المحيطة بالجامعة وألقت رمجرة الدبابات العسكرية الفزع في قلوب الجميع . وأخذ الجنود يلتقطون صوراً لكل من كان يخرج من باب الجامعة ولم يدعوا أحداً يدخل الجامعة . وقبضوا على بضعة أشخاص لجأوا إلى مقاومتهم وأودعهم السجن . وفي الساعة السادسة انهال الجنود داخل حديقة الجامعة وحطموا باب المجلس وأطلقوا سراح الأساتذة . وكان هذا الإنجاز أضخم أعمالى حتى ذلك الوقت في حياتى السياسية فى السافاك . ولحسن الحظ لم يرق دم أحد وانفتح طريق الجامعة أمام الجنود والحرس وحقت أنا النجاح .

وتم لقاء فى تلك الليلة بينى وبين الدكتور بيجن داخل إحدى السيارات ، كان علي وشك أن يأخذنى فى أحضانه . كان جالساً خلف عجلة القيادة وجلبنى إلى داخل السيارة وضغط على مساعدى .

- يالك من داهية فوجئنا به .

- أنا فى خدمتكم .

- حسناً فعلت . عليك أن تتوارى بضعة أيام . اترك طهران إن استطعت . فاردت أن أفضى اليه بتقرير عن المشاغبين كانوا جميعاً من الشيوعيين فى نظر الجهاز ولاسميا أهارى . . وقطع على كلامى قائلاً :

- وصلنا صباح اليوم تقريراً مفصلاً ونحن واقفون على تفاصيل الموضوع . فلا تهتم بهذه الأمور . انتظرنا حتى نطلبك . يجب أن تلقى ما تستحق من تقرير .

وربت على ظهري وأتزلنى من السيارة ، وعدت إلى منزلى فرحاً
متشياً . واشترت قدراً من النقل والحلوى والشيكولاتة لأختى التى كانت
غاضبة منى بعد فشل زواجها (بالعريس) وتوجهت الى المنزل . صالحت
رقية ، لكن ما بينى وبينها لم يعد قط كما كان قبل الخطبة . كان كل منا
يحب الآخر حبا جماً . لا أعرف سبباً لتشاجرى معها منذ الطفولة . ربما
كان اللئب ذنبى . كنت أكبرها بأربعة أعوام وكنت أظنك أعتبر نفسى كبير
الأسرة وفضلاً عن ذلك كنت الرجل العائل لها وأتوقع أن تسمع أختى
الصغيرة كلامى . أو على الأقل تستشيرنى فى أمورها . حين سمعت أنها
حملت وأجهضت جنينها تجاهلت الأمر تماماً . كانت رقية على علم بأننى
أعرف الأمر برمته وأتني انسان بارد الشعور الى حد أننى غصضت النظر
عن خطئها هذا . كنا إذا تواجها وتعاركنا ووصل الأمر إلى الضرب . كانت
محبة الأخوين بيتنا تعود إلى سابق عهدنا . لا أعلم ربما شعرت بما أقوم
به من أعمال . أما أمى التى كانت مصرة - لفترة طويلة - أن أتزوج كانت
على العكس منها . تفاءلت بسعادتى وبالحلوى والشيكولاتة تصورت اننى
راض وقتها ويامكانها أن تشجع وتزوجنى . كانت ابنة الجيران بيبة فى
فكرها والتى كنت أراها حيناً أمام منزليها أو فى مرمى من زقاقهم وأرى
كيف يظهر دلالتها ودلها لى . وكان ممكناً - لولا جدت حادثة جديدة أن
وأرى أتزوج فى الخامسة والعشرين من عمرى .

وذا ليلة حوالى الساعة العاشرة حين كنت فى العادة بالمنزل ، اذاكر
دروسى وطلبنى رجل فدخلت رقية ، ولم يرد الرجل الذى لم تتضح
ملامحه فى الظلام عن قوله :

- السيد الدكتور. ييجن يطلبك .

غلبنى الفزع من أن هذه المهمات لا بد لها من مثل هذه الأمور الخفية .
أزال هذا فخارى أخرجنى رجل من المدينة بسيارته واقتادنى إلى أحد أحياء
شميران وهناك حيث انفتح باب مبنى حديث لبناء ، سلمنى لشخص آخر
فأرشدنى إلى صالة فخمة .

كانت الحجرة باهرة النور . استقرت بواجهة الحجرة منضدة كبيرة .
لفت نظري بضعة من المقاعد . فوق المنضدة وضعت زهرية تحلق حولها
جالسين ضابطان عاليا الرتبة كانا يتحدثان بالانجليزية . انفتح الباب ودخل
رجل نشيط ، متعجل فنهض الضابطان . لحق بهم ثلاثة آخرون بدوا لى
أجانب . تقدم الضابط الأول إلى وصافحني وحياني . قال : هذا . . هو
يارو . هؤلاء السادة يهنؤونك ويأملون أن تظل تؤدي الخدمة والولاء للشاه .
اننا نمتدح أعمالك الوطنية ولهذا فانا أحب أن أوكل إليك مهمة أفضل ؛
تشجيعاً لك . ربما بجراتك ومعونتك تتمكن من خدمة الوطن أكثر مما
سبق . وسوف يتحدث معك فى هذا الشأن الدكتور ييجن .

كان الضابطان الكبيران والباقيون المصاحبون لهذا المتحدث قد وقفوا
جميعاً يهزون رؤسهم . ثم أستاذف محدثى كلامه : أنت محق فى
شجاعتك وحسمك . لكن يجب أن تتدرب وتكتسب مزيداً من التعلم
وتتعرف على مراحل العمل المختلفة وربما تكون المصلحة فى أن تسافر فترة
للخارج لكسب خبرات وتعود إلى وطنك أكثر استعداداً .
ومد يده ليصافحني . قلت :

- أنا على أهبة الاستعداد لتنفيذ أى أمر . صافحني الآخرون - ومن
بينهم الشخصان اللذان أتيا برفقته بشعرهما الأشقر وسحتهما الأجنبية ثم
ربت على ظهري الضابطان الكبيران وأذنا لى بالانصراف . ولم أتمكن حتى
الآن من أن أعرف - بناء على علامات اكتافهم - ماهى درجاتهم
العسكرية . اعتقد أن ذاك الضابط كان (بختيار) .

كان الرجل الذى أتى بى من بين ظلمات الزقاق إلى هذا المبنى يقف
خلف الباب فأركبنى السيارة وأوصلنى إلى المنزل .

تعلقت عيون أمى وأختى رقية بالطريق وهما بالمتزل يركبهما الفرع .
كذبت عليهم بأنه كان زفاف أحد أصحابى وكانوا دعونى وافتقدونى اقتنعت
أمى التى تحسن تصديقى . لكن سوء ظن رقية زاد عن ذى قبل واتسعت
الهوة بيننا .

كانت هذه أسعد ساعات حياتى ولم تتكرر هذه اللحظة للأسف مطلقا .
حدثت أحداث مختلفة ووقائع أدت بى إلى أن أرقى من هذه الدرجة ،
طبقاً للإقدام على الأمور بدون تقدير العواقب . ولكن الحظ كان حليفى .
لم أكن مخلصاً لهم من أعماق قلبى . وكلما توغلت فى العمل أرى أنى
لست معهم بقلبى وروحى . فالدكتور ييجين كان شديد الخداع . كنت
أحب الشاء وأعدده قبله العالم . أخذت أشعر تدريجاً أن الناس يتحاشوننى .
كانوا ينفضون من حولى فى أى مجتمع أوجد فيه . ، فى المقاهى
والطرقات وفى أحاديثى مع البقال والباعة ، ولا يميلون إلى محادثتى . كان
جيرانى يحسدوننى لأنى أن الذى لم أكن معروفاً لديهم حصلت فجاء على
وظيفة فى الجهاز الإدارى وها أنا أسد رزقهم . وكان البعض يناقضى .
(رجب بى قبا) الجاحظ العين وكان شغله النقل فى الأطباق الكبيرة حينما
كان يرانى يأخذ فى علقى .

كان قد سمع أن أمورى تحسنت وأننى فى سبيلى الى نقل أمتعتى وتوقع
منى أيضاً أن أساعده (سيدى لحم كفى من خيرك لن نقصر عن أى خدمة
تطلبها) .

وكان مشهدى رازى صاحب البقالة على الناصية حين أمر على دكانه
يقول لى : (متى نحتفل بزواجك ؟) كانت ابته فى الرابعة عشر ويتظر
أن يزوجها لى . كان الناس على اختلافهم يظهرون ودعم لى . وكان يفهم
من هيئاتهم وسلوكهم أنهم يحسدوننى أو يعقدون على آمالاً تخصهم .

حكفت شهورا عديدة على دراسة الملفات بالمحفوظات قسم طلاب الجامعة . وبلاشك كنت قطعت على نفسى العهود لهم بأن أكون أعمى وأبكم وأصم . والأ ياخذنى التعجب من أى معلومة وآلا أفشى سرا ، ولاقدر الله ، أمام أحد . وكان الهدف هو أن أتعرف ضمن دراستى للملفات المحفوظة على أسلوب عمل المشتبه فيهم وأسلوب التحقيق والتهديد والترغيب والتأديب والعقاب . رأيت أشياء لم يكن يصدقها قط عقلى . استطعت من خلال التقارير والأقوال المنسوبة إلى الطلاب والتى كنت أنا نفسى سمعتها بأذننى منهم أن أحدد وأعرف الأشخاص برغم أسمائهم المزورة أو الحركية فى ملفاتهم . شعرت بالخوف حين تيقنت من أن أناسا مثلى كانوا يترددون على الجامعة وكتبوا بدقة متناهية عن نشاطى فيها . وحين قرأت نفس كلماتى على لسان انسان له اسم حركى (إذا غفلت عن كلمة واحدة أعتلى أنا المنصة وأكمل أنا باقى الكلام) لم يخالجنى شك من أن أهارى الثائر من الجواسيس وأن المؤامرة التى كان من المقرر أن يغلقها قمت أنا بتفيلها . لم أر أهارى من بعد ذلك . نقلوه إلى جامعة شيراز وتقرر أن يقوم بتحريض الطلاب والإيقاع بهم . لم أره حتى بضع سنوات تالية حين تقابلنا فى الحزب وطبعا لم أذكر له ماذا يعمل أو بأى اسم ورقم كان يتغذ تكليفاته فى الجهاز وانكشف لى أن على أن أتحرى الأمور جيدا وأئننى لست الوحيد وأن آخرين يراقبوننى . واجهت الكثير من هذه العجائب وحصلت منها الخبرات وردت حنكة بالعمل .

أما ما أفزعنى كثيرا وأثار حرصى وكان يهز أعماقى إلى حد أنى كنت أود الهرب إلى الخلاء منهم وأضحى يعطايهم حتى لا ألقاهم فقد كان حين تصفحت ملفات الحى الذى أقيم به . كان عقلى يقفز من رأسى . أحدهم صرخ متألما أن الخبار باع خبزه الفاسد فاعتبر جواسيس الحى أثينه عداوة

للشاه . وآخر اشترك ابنه فى مسابقة دخول الجامعة ولم ينجح فقال فى موضع ما (كل شئ يأخذه الأغنياء ولا يصل الفقراء والمساكين شئ) . وكتب ثالث فى رسالة إلى صديقه أنه لن يشتري من جيلان شراتق الحرير لارتفاع ثمنها ويصل جنوب رجال الدولة ما زاد على ثمنها . ترجم كتاب التقارير كلمة رجال الدولة : بالشاه والبلاط وأقارب الشاه . وأمراء رابعة طلبت أن تسافر إلى أوروبا عن طريق السياحة الروسية الداخلية فاستدعيت المسكينة إلى الجهاز وسألوها من الذى تريدن زيارته فى موسكو ومنذ متى وأنت شيوعية . وهذه المرأة المسكينة التى لا تعرف أى شئ مطلقاً تنازلت عن فوائد السفر ولم تسافر إلى أى مكان فى الدنيا غير كريلاء والنجف . لو أردت أن أورد نماذج لهذا لسودت مئات من الصفحات وما عادت على باى فائدة . ولا بد أن أعمل حساباً لهؤلاء الخطيرين الدواهى . ارتعدت فرائصى حين قرأت من بين المشتبه فيهم اسم رقية أختى . كانت رقية تعمل إذ ذاك فى (سوق الفردوسى) لم تكن بائعة لكنها تولت بسبب تلقيها بعض التعليم الإشراف على مجموعة من البائعات . جريمتها هى أنها شوهدت فى دور السينما والمسرح خلاف أمها وأقاربها الآخرين بدل أن تذهب للمسجد وأماكن قراءة الروضة وضريحى شاه عبد العظيم (ابن بابويه) ، خاصة أنها صودفت مع إحدى البائعات فى مقر حزى .

كان اسم هذا الشاب (فرزان) وأشير فى ملفه إلى وجوب وضعه تحت المراقبة المشددة . ولم أجرؤ على الخوض فى هذا الموضوع مع أختى . كنت متنبهاً إلى أن هذه البنية مستقلة بنفسها وتلبس مثل الفتيات المتطورات وتهتم بمظهرها إلى أقصى درجة ممكنة .

و ذات ليلة سألت رقية فى المنزل فى حضور أمى : رأيتك برفقة فرزان فى الشارع . هل تعرفينه جيداً ؟

- وما شأنك ؟ لا تدس أنفك فيما لا يعنك من شؤونى ؟
فصرخت أمى : ماذا ، أخوك الأكبر فى مكان والدك ، أليس من حقه أن يسألك من الذى تمشين معه ؟ ، فأجابت أختى برفق ولكن بعناد : -
- هلا سألته يا أمى عن الشغل الذى يعمل فيه ومن أين يتفق ثلاثمائة تومان شهرياً على البيت . يقول إنه يعمل فى التجارة فلماذا لم تر بضاعته مطلقاً ؟

فرايت وجوب السكوت ، لأن الموضوع سوف يطول .
لكننى صممت على أن أتحرى عن فرزان . لم أجد فى الملفات ما يستلقت الانتباه . فكرت أن أتبع فرزان داخل الحزب ، بل أمسك عليه غلطة . لكن ملفات الأحزاب التى تملأ رفاً كاملاً لم تكن تحت تصرفى . فكرت أن آخذ إذناً من رئيسى للدراستها . كان رئيسى المباشر هو الدكتور بيجن . طبعاً سرعان ما أدركت أن اسمه هذا مزيف . هو نفسه مزيف وكذلك شهادته للدكتوراه . كان يحببى وحينما كان يرى أنى أتجاوز الحد كان يوجه إلى نصحه (لا تفعل ما يجعلهم يسيئون الظن بك) . فالتحته فى هذه الفكرة . قلت (ذكرت أختى رقية فى الملفات وأحب أن أعرف إلى أين يوصل هذا الخيط) فأجاب :
- لا تتزعج فقد تم التحرى بالحد الكافى عن رقية وهى لم تدخل أى تنظيم .

قلت : تعرفت إلى شاب اسمه فرزان يعمل معها فى المعرض ويقال انه ينتمى إلى حزب .

فأجاب : كان فى حزب ولكنه لا ينهب إليه . اشترك مرة أو اثنتين فى مقر حزبى ولم يقصده مرة أخرى .
- وماذا تراه صالحاً ؟ .

- انتظر بضعة أسابيع أخرى حتى نرى ما يمكن عمله .
وبعد بضعة أسابيع رف إلى الدكتور ييجن بشرى ساره .
- ذهب بنفسك وادخل الحزب . وسوف أضع تحت تصرفك الملفات
بعدها بفترة .

لقد كنت طالباً وكنت أجداً في الاستذكار وأقوم بمطالعة المصادر التي
كان يوحى بها الأساتذة ومع أنى كنت لا أفهم كثيراً من الموضوعات لكننى
كنت على وشك أن أتعلم . لم يكن الالتحاق بتجمع الطلاب الحزبيين
يشكل مشكلة . ومضت بضعة أسابيع وانفتح الطريق أمامى لمتدى الحزب
وصرت نائب رئيس الحزب وارتفع شأنى وكانت السيطرة على هذا وذاك
سهلة كشرب الماء . وفى أحد الأعوام قمت بجولة داخل مقرات الحزب
ومجلس المدينة . ولجنة التفتيش ولم أجداً ما يستدعى الاهتمام . فلم يكن
لديهم ما يشفى غلى . وأرسلت مرة فى مأمورية لشيراز فتقابلت مع
أهارى الذى اكتسب نفوذاً هناك وأصبح موضع ثقة . ولم يبدو على
وجهى قط أنى أعرفه . تيقنت هناك أنه من صغار العاملين بالجهاز ولم يته
بعد دورة اختباره حتى ينال رتبة أعلى ثم أنه صار معلوماً أنى تفوقت عليه
فبعد حادثة الجامعة وحبس الأساتذة وأنا الذى تخلصت منه تصرفت مع
أهارى بمودة وقدمت نفسى له على أننى متطرف مائة فى المائة ، فباح لى
بمكنون قلبه وافصح لى عن أنه لا يوجد فى شيراز ما يفى بتطلعاته وأنه
يتمنى أن يعمل فى العاصمة لأن بها ألف طريقة للترقية لكن فى شيراز
يوجد كثير من أمثاله لا يقومون بأمرذى بال . فوعده لى استغفله جيداً أن
أرتب طريقة فى طهران له يجعلهم يطلبونه فى عمل أكثر أهمية فى إدارة
جريدة أو فى المجلس النيابى وخدع فعلاً . كان أهارى طالباً فى شيراز
وموظفاً فى الحسابات فى مجلس المدينة ويتمتع عند أصدقائه ورفاقه

الموجودين داخل أكثر من حزب بسمعة طيبة وصدق . ولم يكن أحد منهم يذهب به الظن إلى أنه مخادع غشاش . ظهر لى خلعاؤه وانكشف حينما اطلعت على تقريراته التى أرسلها من شيراز وخدع بها زملاءه المخلصين أولئك .

وبعد بضعة شهور استدعى الحزب أهارى إلى طهران بسبب إخلاصه وأمانته وعهدوا إليه بإدارة إحدى الصحف النصف حزبية وصار فى نفس الوقت عضوا فى اللجنة المالية . وكانت أمور حياته مقضية بالرائتين اللذين كان يتقاضاهما من الحزب ، لكن هذا لم يكن يفى بتطلعاته . وما دونه الآن وأكتبه انما هو من واقع ملفات الجهاز وسجلاته . حين عدت من شيراز كان أول سؤال للدكتور ييجن هو (ماهو تقييمك لأهارى ؟) قلت (خدع الجميع) . فأخرج ملفه من درج مكتبه وأعطاه لى .

لم أره بعد ذلك حتى قرأت مسره فى الصحف أنه موجود فى باريس وبعد فيها رسالته للدكتوراه . ما الحيلة التى بها استطاع أن يفلت بنفسه داخل باريس ؟ مرت مرارا على مكتب الجهاز فى (جنيف) حيث تتجمع كافة الوثائق المتعلقة بماضى للطلاب .

طرق أهارى كل باب حتى ارتفع أمره . كان كل الكلام فى اللجنة المالية للحزب عن ضائقته المالية . لم تكن الأقاليم تساعد العاصمة بأى مال وكان أغلب الرصيد مخصصاً للإدارة والإنفاق على طبع أوراق الدعاية . أجرى محاولات أكثر من مرة وطلب مالا من البنوك ، لكن رؤساء الحزب عارضوا هذا العمل ولم يجدوا الطرف مناسباً له . ثم طرح اقتراحاً مالياً فى جلسة سرية حضرها بضعة أعضاء من اللجنة المالية وهو أن يتبرع كل المشتركين فى الحزب بأجر يوم من دخولهم ، بهدف القضاء على الضائقة المالية . وتدخل هذه التبرعات صندوق الحزب . فوضعت فى كل مكان فى فناء مقر الحزب فى طهران وفى كل غرفة منه علب من الكارتون

ليضع فيها كل مشترك ما يحب وما تصل إليه قدرته من مال . استمر جمع الإعانات هذا ثلاثة أيام وقيل إنهم جمعوا عشرة آلاف تومان . أدخل في اليوم الأول الرؤساء والكبار أوراقهم النقدية بالصناديق وأخذ يتدافع الأفراد للتبرع على أنه انتصار للحزب . كلف اثنان من جانب اللجنة المالية من بينهما أهاري لحراسة الأموال المحصلة . كانت تودع في خزانة الحزب وكان مفتاحها تحت تصرف مفتش اللجنة المالية الموفد من قبل الإدارة المركزية . إلى أن سقط مفتاح الخزانة في يد أهاري وزميله ولم يعرف في النهاية كيف سقط في يديهما فسرقا كل المبلغ ولم يرهما أحد قط في الحزب .

لم يكشف هذا الأمر السرى قط إلا في ملفات الجهاز ، أشير في الملف إلي أنه بعد هذه السرقة أخذ تصريحاً بالسفر إلى أوربا . وقرأت في جريدة أن أهاري سرق - حد قوله هو - هذه الأموال من الحزب بهدف السفر إلى أوربا والدراسة والحصول على الدكتوراه . وسوف أقص باقي سيرته في موضع آخر ؛ إذ إنني أراه الآن بعد الثورة بدأ يثرثر ويتحدث عن حب الشاء وحب الوطن .

كان أغلب معاني الأساس في الحزب مقصوداً به أن أضع حداً لمصيبة رقية . لم أجد أي أثر لفرزان في الحزب قيل إنه التحق بمدرسة عسكرية ولم يعمل قط بالسياسة وأثناء التحري عن فرزان وتعقبى له لفت نظري أعجوبة اسمها (شيخك) أعنى (مهتر نسيم العيار) بخداعه ومكره وكان يظهر بصورة مختلفة في كل وقت . جعل هذا الرجل رؤساء الجهاز موضع السخرية . كان يرى مرة معمماً وأخرى أفندياً . كان يحمل تحت عباءته كتاب ماركس (رأس المال) المكتوب بالعربية ومرة يحمل نسخة صغيرة للقرآن الكريم مطبوعة في تشيكوسلوفاكيا . هو مصلى ومهرب في نفس الوقت . كان كلما أتى الحزب يلبس قلنسوة ليلية قبيحة الشكل ويلف نفسه بعباءة ويقبع في ركن . لم يكن في أي وقت عضواً في الحزب ولكنه كان يتظاهر بأن له حلاً وعقداً مع رؤساء الحزب وكذلك مع الكبار والعظماء .

كان لا يعرف إلا بلحيته المستدلية من فكه الأسفل كلحية التيس سواء كان مرتدياً لبس المشايخ أو الجاكيت والسرwal المكوى .

إليه صلتة بفرزان . كنت أود أن اعرف هل هناك علاقة بين رقية وفرزان وشيخك هذا أم لا . كم لحفار تعزف ياترى .

سألتنى رقية فى حضور أمى : دخلت أيضا الحزب ؟ تعزف أكثر من لحن ؟ سؤالها أنها تفكر فى شئ متمية إلى مكان ما . .

- أى حزب ؟ أصبحت آدمية وتناقشين الموضوعات العقلية ؟ !!

- ذكى أنت جدا . تقلد القطا . تدفن رأسك فى الرمال حتى لا ترى شيئا وتظن أن لا يوجد شئ .

- مامعنى هذا ؟

- نفس ما قلته

- هل لقنك فرزان هذا الكلام ؟

- لا تدخل فرزان فى الكلام دون سبب . كان بينكم بضعة أيام ولما رأى أن على الجميع يمينين كانوا أو يساريين العمل لمصلحة الروس ترك الحزب ومضى

- إذن شيخك هو الذى لقنك هذا الكلام ؟

- من شيخك هذا ؟

أدركت أنها لا تعرف شيخك ولم تسمع أيضا باسمه . لكن دفاعها عن فرزان يظهر أنه إذا لم يكن بينهما علاقة خفية فإن بينهما تعلقا على الأقل . قالت أمى التى كانت جالسة إذاك بجوار السماء وتتلو أدعيتها وتقشر اللوبيا وتظاھر بأنها لا تتبه إلى مناقشتنا .

- رقية تريد أن تدعو فرزان لتناول الغداء هذه الأيام حين تكون بالمنزل . فوجدت الفرصة وأجبت إجابة لينة هادئة

- فى أى يوم يحب فقط أبلغونى قبلها بيومين أو ثلاثة حتى أرتب نفسى .

استخدمت رقية عبارة (عزف أكثر من لحن) وألقى بى هذا فى الظنون
لعلها تعلم هذه الإشاعة التي شاعت عنى . أفصحت بما دار بيننا من
حوار للدكتور بيجن قال يجب أن نحرص بصورة أشد على ألا يصاب
عملك بلطمة . أترك الحزب ومن فيه ، فهم لم يعرفوا شيئاً حتى الآن
أدخره ليوم الضرورة وفى النهاية فأنت عضو سابق بالحزب تذرع بالاستذكار
والدروس وانتبه لعملك .

قلت : - ريد أن أعرف ما عمل شيخك هذا وإلى أى حد هو متورط
فى قضية أختى رقية .

فتريث إذ ذاك قليلاً ، وقطب جينة وقال : إن عملنا هو التحرى عن
الشيوعيين ومن لهم صلة بالروس . يجب أن نراعى أمور جلالة الشاه
ورجال بلاطه ، وما خلا ذلك لا يهمنا فى شئ إذا أردنا أن ننشغل بأمور
عملاء بريطانيا وأمريكا فلا بد أن نضع أكثر من نصف رجال الإدارة
الحكومية تحت المراقبة والمشكل فى موضوع شيخك هو أننا لم نكتشف حتى
الآن أثر قدميه فهذا الرجل الذى هو أحد المشاغبين رقم واحد مرة يتجه إلى
اليمن وأخرى إلى اليسار إنه واصل حتى إلى البلاط . وكلما كان على
وشك أن يتورط يقع فى الورطة يظهر واحد من ركن سا ويأخذ بيده
ويخرجه من ورطته ووهدهته لا شأن له إطلاقاً برقية ولكن لكى تزيد تجرية
ولا تضل الطريق وسأحصل على إذن لكى يسلموك ملف شيخك لكن
فلتعلم أنه لن يفيد شغلنا ربما يرشد عليه أحد مصادرتنا ليس لنا أن نتحرى
عن موقفه إلا فيما يتعلق بشغلنا .

فهمت مايرمى إليه وتيقنت أن صداقة أو معرفة فرزان وشيخك كانت
من قبيل الصدفة . ولم تسفر دعوة رقية لفرزان عن نتيجة . كان فرزان
الذى كان فى سبيله لأن يكون ملازم شرطة رجلاً ذا اكتمال وعلم . طويل
القامة عريض المنكبين حسن الهيئة هادئاً عاقلاً يسمع أكثر مما يتكلم كانت

لديه الجرأة على أن ينظر في عيني . كان يجيب عن أسئلتى إجابة صريحة أو كان يقول بوضوح وبصراحة : لا ، لا أعلم . ومع أنه كان عفويًا إلا أنه فاقنى مهارة ولم يكن لينخدع بسهولة . ولما وجهت النقاش عن شيخك أجاب إجابة قاطعة :

- هذا الرجل عميل الإنجليز وأنا لاشأن لى بأمثال هؤلاء الناس .
الأمر الهام الذى أقالنى من عثرتى هو أن معلومات رقية حول (عزفى أكثر من لحن) كان نابعاً من منبع آخر وليس من طريق فرزان .
كان سلوك فرزان مع رقية عادياً فلم يكونا عاشقين ولم يفعلوا كما يفعل الخطييان . عادة كانا يتحدثان معاً بأدب وسعادة ولم يجدا حرجاً فى أن يمارحا ويقهقها .

لكن ملف شيخك فتح عيني . معلوم أنه لا يتحرى سوى جهازنا عن وضع الحياة المادية والاجتماعية والاقتصادية السياسية لليساريين . كانت هناك مؤسسة أخرى من القديم وكانت تقوم بمهامها بميزانية ضخمة طبعاً ويدون الوسائل الفنية اللازمة ولا تزال تقوم بعملها .

كان لشيخك سابقة فى العمل السياسى من عام (١٣٢١هـ . ق ١٩٤٢م) وقام بدور - وان لم يكن هاماً فى حوادث ١٧ (آذار) مع أنه لم يتجاوز وقتها الثانية والعشرين .

شارك فى الصدام بين الحكومة والبلاط وكان كل منهما يريد إحراز التفوق السياسى .

تلوع المتنافسون بسنوات الحرب وأوقعوا بين الناس وقتلوهم ثم صالح بعضهم بعضاً وإذا لم يتصر الشاء إذ ذاك - كما هو ثابت فى مقر الركن الثانى - ولم يضع نده فى حدود ما تيسر له هذا التقدم الوضاء الذى صار اليوم من نصيب البلاد . كانت الحكومة تطالب المجلس النيابى بسلطات فلم يوافق البلاط على هذه السلطات بفضل مساعى عدد من نواب

المجلس والصحفيين . توجهت جماعة من الطلاب إلى المجلس لكي يتباحثوا مع نوابه بهذا الشأن . عبأت الشرطة والقيادة العسكرية قواتهما وأطلقوهما على نواب المجلس . تعرف فرزان وكان وقتها طالبا بشيخك الذي لم يكن أطلق لحيته بعد . شوهدها هذا الشاب أيضا وسط الطلاب وتكررت التقارير عنه في الوثيقة العشرين من سجلات الركن الثاني والإدارة السياسية . حيث كان يطل برأر من السوق . وكان يقوم بالدعاية أحيانا لمصالح الحزب في (مشهد) في صحن مسجد على الرضا . كان مع قبائل بختيار وقبائل قشقائي معا . في عام (١٣٢٥ ش ١٩٤٦م) رؤى في نيسابور ملتجيا ثم في شيراز بعد ذلك ببضعة أعوام بلحية التيس . رؤى كذلك أثناء إشعال النار في منزل رئيس الوزراء الذي تم بإشراف الجنود والجيش . واعتقل رئيس الوزراء علداً من الصحفيين لعدة أيام وكان شيخك من بينهم . وفي هذه الأيام القليلة تأسست العلاقة بينه وبين كبار السياسيين إلى حد أن أمره بلغ من العلو درجة أن صار واحداً من القواد . ولم يمر أسبوع حتى تصالح رئيس الوزراء مع رجال البلاط وسويت هذه القضية التي كانت تنظر في المحكمة ضده .

وفي السجن لم ينل شيخك مساندة الكبار وحسب بل أقام علاقة مع أخوين من التجار واستأثر بمساندة أجنبي أيضا . ولو ذكرت اسمي هذين التاجرين لأصبحت كف عفريت حيث لا يزال تحت تصرفهما حتى الآن كل الأمور التي كانت لهما فيما مضى : الركن الثاني والإدارة السياسية كما لم يضارعهما حماة السافاك قوة وتكفي هذه الإشارة لكي يعلم الأخوة الأعزاء أنه لا يزال في هذا الوقت أناس لا يمكن إسكاتهم بغير الذهب . أما حكاية شيخك فهي كونه ولد في أسرة فقيرة ولم يكمل المرحلة الأولى لتعليمه الابتدائي ولم يذهب إلى الكتاب ولم يخط خطأ ، كان بغمزه واحدة منه كان مائة من مدرسية جلد معرفة عهد شبابه برجال البلاط ، كان يغني لهم

الشعر الشعبى المبتذل وينقل لهم النكات المبتذلة ويكتسب مودتهم . كان يأخذ منهم المخدرات كالهروين والكوكايين . وكان يشتري الأفيون رخيصاً ويسلم كل هذه المواد لمبتدئى السياسة وصبيانها فى جلسات الحظ والمتعة التى كان يعقدوها فى بيته وكان يكتسب بهذه الطريقة النفوذ والمال . إن كل ما أنقله من هذا الوقت فصاعداً من ملف شيخك الذى فتحه له الجهاز .

لم يطل الوقت حتى صار صحفياً ، كان تابعاً لمصدق وكان تابعاً للبلاط فى نفس الوقت الأمر الذى ألقى بالجهاز فى بداية عمله فى الحيرة التامة . وظل هكذا لا يصب هويته فى قالب واحد ، يواجه به الناس . كان يتقصد فى صحيفة الحزب كما كان يمتدح استالين . وبمجرد أن تناوله صحف اليمين واليسار بالهجوم ونهىء له أسباب الإزعاج ويضطر الجهاز إلى اتخاذ خطوة ضده فتضعه مثلاً تحت المراقبة كانت تبعث الصيحات من كل جانب من اليمين ومن اليسار ومن السوق ومن سوق النفط مستنكرة مجرد الإقتراب منه كان لدى الجهاز علم بأنه كان يفرش بساطه الدفئ الناعم لمتعاطى الكوكايين والهروين والأفيون ويأتى بالبغايا للزناة والأطفال للواطيين ولكن أحداً لم يجرؤ على أن يصنفه مع اليساريين رغم امتداحه لاستالين .

وما إن تقوض الحزب بإطلاق النار على الشاه حتى قبض عليه وبعد بضعة أيام أطلق سراحه وصار الجهاز فى حيرة من أمره وفى النهاية لم يفهم أحد قط متى وأى مؤسسة دفعت للإفراج عنه كفالة تقدر بثلاثين ألف تومان . وبعد عدة سنوات وقعت حادثة جعلت الشرطة والنيابة يقبضان عليه . فقد كانت امرأة من الأعيان ذوى النفوذ تتردد على منزل شيخك وبعد أن شربت حتى الثمالة العرق وتعاطت الكوكايين بمنزله فقدت وعيها وأصابها الضعف ثم وافاها أجلها بعد عودتها إلى منزلها ببضع ساعات . واعتبرت أسرتها شيخك قاتلها وأثاروا جلبة وابلغوا الشرطة والنيابة قلبت فرشته مدة ووضع بيته موضع التفتيش فوجدت به المخدرات والأفيون

المهرب وقبض عليه وحكم عليه بالسجن بضعة أعوام وطبعا لم يكن بجريمة القتل وإنما لجريمة إحراز المخدرات وخلع الناس والعريضة وغيرها . صار أصدقاؤه السابقون ذباباً حول الحلوى فلم يهتموا به وتركوه على حاله ولم يبق شيء من عزه وجاهه . وفى عام (١٣٣٩ / ١٩٦٠) أقالته يد الغيب من عشرته ثانية وهيات أسباب سفره إلى أوروبا فأثر بحد قوله العزلة وانشغل بالدراسة وعاد إلى إيران ولبس رداء الصوفية . ووظف فى جهاز التخطيط ولم يكن له فيه عمل غير أن يسافر إلى الأقاليم ويجرى أبحاثاً حول أماكن حياة الأدباء المغمورين الإيرانيين ، وقبورهم وآثارهم ثم يذيع نتائج أبحاثه فى الإذاعة والتلفزيون لا باسمه الحقيقى ولكن باسم مزور . ولم يكن عمله هذا أمراً صعباً فكان يستفيد بتأنيده دراسات العلماء الذين سبق اكتشافهم لهذا المجال ويقيم عليها شهرته . وطبعا لم يكن يذكر فى محاضراته أسماء الدارسين الأصليين لكنه لذر الرماد فى العيون كان يورد إشارة إلى صاحب الأثر فى الحواشى بقوله (الأستاذ الجليل) ، (العالم العظيم الشأن) ، (علامة الدهر) ويثر الحب ، ويدهن ويتملق وهو متربع على عرشه هو . دعى لكى يستفيد من علما الطلاب بالجامعة لأنه كان على معرفة برئيسها من عهد الصبا ، ويتجه لمشاركته فى المؤتمرات الأدبية والسياسية والاقتصادية ، وصار المحبوب من بين الأساتذة . وفجأة لم يعرف ماذا حدث له حين (ركل الزمان بساطه حتى سقطت كل قشة منه بمكان) . والان بعد الثورة يقول حشما جلس (عانيت فى عهد الشاه البلايا وقاسيت المحن ونخلت طحيني وعلقت منخلى ولم يتأت منى أى أمر بعد) . النهاية ، فإن معرفتى بشيخك هذا نفسه لها سابقة لأبد من ذكرها . وفى خلال شهور عدة بعد خلاصه من السجن لم يكن لديه شروى نقير ، وفى يوم كانت رقية فى الرابعة والعشرين وتدير قسماً من المعرض يبيع ملابس النساء ذكرت شيخك على أنه كان سىّ الحظ

ويعوت من الجوع والقي به فى السجن بدون قتب وكلمات من هذا القليل
عن العجز والمسكنة ، طلبت منى أن أمد له يد المساعدة فسألتها :
من هو شيخك هذا ؟

فأجابت فأنا أيضا لا أعرفه . لكن السيد فرزان رآه وأشفق عليه وكان يقول :
- طرق كل الأبواب جريا وراء لقمة خبز . هذا الباب وذاك الباب
والآن مد يده يستجد بى . . فرأيت أنه ليس فى الأمر خدعة ، لأن فرزان
وهو الآن ملازم شرطة رأى شيخك فى السجن واحترق قلبه أسى عليه .
استجد شيخك بملازم شرطة ولا يضمن له هذا شيئا .

كانت تقول ربما بكنك مساعدته حتى تنفجر حالته
قلت : من أكون أنا حتى أساعد وأعين متهما بالقتل ؟
فأجابت رقية : تتجاهل يا أخى تجاهل العارف . يقال إنك صاحب
منصب رفيع جدا .

كان قد مضى إذ ذاك على دخولى السافاك بضع سنوات . تناولت
الموضوع مع الدكتور بيجن واستمهلنى يوما أو اثنين ثم أوصانى أن اتصل
به . وفى أحد الأيام رأيت شيخك بجانب أحد مقاهى شارع (شاهرخا)
وكان محلاً يجمع الموظفين الممتلكين بالخارج والحسنات وينظر متحسراً إلى
فناجين قهوة العملاء .

فتقدمت حتى وقفت أمامه بوضع خطوات ونظرت إليه مبهوتا . تعرف
على . ارتسمت على وجهه ابتسامة مريرة . أحنى رأسه واقترب إلى وقال :
- تحت أمرك . . . ياسيدى .
- أشكرك .

فدعوته إلى المقهى وطلبت له فنجاناً من القهوة ولما رأنا أغلب الزبائن
فى المحل خرجوا منه . قال :

- سيدى المحترم . . أغلب هؤلاء كانوا من ربائى . والآن لا
يعرفوننى . إنهم يضمنون على بنظرة أو تحية فما بالك بفنجان قهوة ١١٩ .
فقلت : ماذا تعمل ؟

- أشكر الله وأحمده . أكفر عن ذنوبي .

لم يتجاوز تعارفنا هذه المرة الأولى هذا الحد . واتفقنا على اللقاء في نفس المقهى بعد أيام قليلة . وقابلته في الموعد الثاني لأتى حكيث للدكتور بيجن عنه وتقرر بناء على توجيهاته أن أعرف منه ماذا يريد : فضحة طلبه . كان في غاية البؤس والإحساس بالإهانة على نفسه وقد كشف ما يضره بمتهى السهولة . كان أتى لكى يجد حيلة ينقذ بها (مرضية) وهى ابنة أحد أعيان العائلات عليها بدون ذنب حكم ولا يدرى أحد عنها شيئاً . كانت (مرضية) مسجلة لدينا بسبب اتهامها بأنها ضمن عائلة عقيد أركان حرب . فحينما كان العقيد خارجاً من منزله فى وضوح النهار أطلقت عليه من مسلسل رصاصتان ومات من فوره . وفى اليوم التالى استدعيت شيخك برسالة إلى أحد أماكن استدعاء الجهاز . حين واجهنى لم يد منه عجب ولم يندش . لم يفقد سيطرته على نفسه منه متعرف أدق التفاصيل ، وكان على علم بأنه سوف يتعامل معى . كان مستعداً للإجابة وصار معلوماً أنه إذا لم يفوقنا ذكاءً فإنه لن يقل عنا .

أخذت فى استجوابه مدة تقرب من أربع ساعات ، وكنت أقرن الترغيب بالترهيب . كانت هذه أول مرة يسمح لى باستجواب المتهمين . كان الدكتور بيجن ينصت إلى حوارنا بواسطة جهاز موضوع فوق مكتبه وكان أحياناً يقوم بتذكيرى حين يرسل إلى ملاحظاته بفتح الباب وقفله فأعيد استجوابه .

وكان كلما زدت من ضغطى المعنوى عليه يجيب على أسئلتى بطريقة أكثر هدوءاً ومنطقية مرة واثنين ، إلى أن أتركه إلى القائمين بالتعذيب الجسدى وكانت وسائله متاحة فى سائر مجالاته . لكن الدكتور بيجن لم يسمع لى بذلك ، لأنه لم يود ان يكشف لى شيخك أنه يتعاون مع جهاز الاستخبارات البريطانى لكنه أفهمنى أن مصلحتنا فى أن تتزع منه اعترافات لا تطابق الحقيقة تحت التعذيب بدون أن نعلم شيئاً عن اتصالاته.

وكان الدكتور ييجن كلما أكد في كلامه لى على كلمته (ليس من مصلحتنا) كنت أدرك أنه استشار الخبراء الأجانب . جهاز الاستخبارات الأمريكية والموساد الإسرائيلى ولم يسمحوا له بإجراء التعذيب . وجدت شيخك متماسكاً وذكياً حاضر البديهة هادئ الأعصاب ذا حيلة . إجاباته تبعث على الثقة كأنه يفهمنى أنه لا سلطة لكم على . وضمن كلامه إلينا أنه يخدم الجهاز وأن خطراً يهددنا لاندركه لأننا على نيائنا . فودّ الدكتور والخبراء معرفة أى خدمة يقدمونها لنا .

لم يكن لديه خبر عن قتل العقيد أركان حرب . لم يقرأه أصلاً فى الجرائد إذ ذاك ولم يكن أصلاً يعرف (مرضية) نفسها التى أتت تطلب حمايته وضمانتها . كانت أم مرضية من الضيوف الذين كانوا يترددون على منزله وقت أن كانت فرشته واسعة . وكانوا يرون جهلاً أننى والكلام لشيخك بسبب علاقاتى التى عقدتها مدة مع أصحاب النفوذ بإمكانى أن أمد يد العون لإنقاذ بنت لايزال يشتم من فيها رائحة اللبن . لكن كيف يمكننى مساعدة هذه البنت وأنا الشقى المفلس .

(لا أستطيع فعل شئ . لأن حياتى محطمة ولا أجد عشائى . ولا أحد يساعدنى فى شئ . ثم اعطونى مبلغاً من المال وقالوا إنهم على استعداد للإنفاق فطرقت هذا الباب وذاك وتوسّلت لكثيرين) .

قلت له : - كم من المال أخذت ؟ .

- لا أعرف بالضبط . أعطونى مبالغ على مرتين أو ثلاث .

- كم المبلغ فى كل مرة ؟ .

(من مائتين إلى ثلاثمائة تومان فى كل مرة . من أين أعرف . أنفقتها

جميعاً فى أمور شتى . ربما يبلغ مجموعها نحو ألف تومان . لكن ألف تومان بالنسبة لهم ليس شيئاً . ربما فى نظرى ونظرك مبلغاً ضخماً أما هذا المبلغ لا يتعدى عندهم مائة قرش وثلاثة ملاليم كانوا على استعداد لأن ينفقوا آلاف التومانات وتخرج ابنتهم من السجن .

قرر الكلام حول ثراء أسرة البنت وأنهم على استعداد لأن يدفعوا أى مبلغ ليشتروها بها . فى البداية لم أهتم بكلامه . لكن قشعريرة بدأت تهزنى قليلاً من إمكانية إطلاق سراح مرضيته بدون إذن من الدكتور بيجن أو ورؤسائه ؟

سألت : من الذين رجعت إليهم حتى اليوم ؟ .

- لا أحد قط .

- كيف لم ترجع إلى أحد ؟ .

- تقصد فرزان ؟ بحث له بالأمى .

- من أين تعرف فرزان ؟ .

لا أعرف سعادته ، كان هو الضابط المكلف بالحراسة بالسجن وحينها كان يشرف علينا نحن معشر المساجين ويعطف علينا . وحدث أن تجرأت وتحدثت معه . أراد أن يعطينى مالاً فلم آخذ منه شيئاً . قلت إن أسرتى تبعث إلى المال لكنه إذا قرّر أن يساعدنى فعليه أن يعرفنى عرفنى بك .

- من أين كنت تعلم أن الملازم فرزان يعرفنى ؟ .

رأيت أنه يعرف كل تفاصيل حياتى . يعرف أن رقية شوهدت برفقة فرزان فى المقاهى وفى دور السينما ويعتقد أنهما ربما يتزوجان بسرعة وأن

أمى تعرف علاقتهما . كان يتعجب من أننى لم أكن أعرف هذا الخبر .. قال كثيرا وبقيت أنا مرتبكا مذهوشا فمن أين يعرف أسرار أسرتى . كنت أحول كلامه عن مجراه وأجره إلى باب آخر ورحت أرهبه .

- إذا لم يتفق كلامك مع معلوماتنا فقد تسببت فى إيذاء نفسك .

- تهددنى اعتباطا . يمكنك أن تعذبنى لكن لا تستطيع أن تقتلنى فلم ألقت إليه وتابعت عملى . تحررت عن أسيرة مرضية . من منهم كان يحضر مجالس لهوه ، هل والداها معاً أم منفصلان ؟ هل هما أغنياء ؟ وما مقدار ثرائهما ؟ كم مسكن مؤجر لهما ؟ أين أملاكهما ؟ هل رصيدهما فى السوق أو بالخارج ؟ هل يمتزلهما مال آخر ؟ من منهما وسطك لكى تشتري حرية مرضية ؟ هل تحدثت مع أمها ؟ أين ؟ هل رأيتهما فى (نياوران) أم فى شارع (أميرية) ؟ كيف لم تر مرضية حين كنت فى (باعشان) فى (نياوران) ؟ لم يكن يقع فى المصيدة . كانت إجاباته إما بالإثبات أو (لا أعلم) . حينما كنت أذر الملح على جرحه ليخرج سراً لم يكن يغضب وكان اهتمامه منصبا على ثراء أسيرة مرضية . خرجت مرة عن وقارى ونفذ احتمالى فسألته : كيف لا نستطيع دفعك إلى الاعتراف ؟ فضحك ضحكة فائرة وقال : (هل قلت أنكم لا تستطيعون تعذيبى . أنا متحمل . أنا لا أخفى شيئا لأعترف به . هل ارتكبت جريمة حتى أعترف بها . أتيت لكى أشتري منكم حياة بنت بريئة . أجل أتيت لأشتري حياتها . فلم أجد منك أكثر من إجبارك لى على الرد على أسئلتك . إن تعذيبى سوف يؤدى إلى إراقة ماء وجهكم) .

- أمام من تريد إراقة ماء وجهى ؟ .

- (هناك يد أعلى من يد كثيراً) .

فسكت قليلا وكنت أريد مغادرة الغرفة لاستشير الدكتور بيجن . حين نهضت من مكتبى قال :

- لا تنسى . أسرة مرضية غنية . يمكنها أن تشتري من هو أعلى منك تحدثت مع الدكتور بيجن فقال (انظر كم يدفع من المال) .

وقبل أن تبدأ الصفقة قابلت رقية وفرزان فى المنزل . تجاهلت أنهما فى سبيلهما ليكونا خطيين .

أختليت بأمى : قالت : فرزان فيما أعلم يصر على الخطبة . لكن رقية رافضة إنها تكره كل الرجال منذ أن غررَ بها (العريس) . تتحدث بكلمات لم أسمعها حتى الآن من بنت معروضة للزواج . تقول : لن أتزوج مطلقا . ليست مستاءة من الملام . هى صديقة له لكنها تقول : أنا لا أحبه . إن الشيطان تلبس أختك يا ابنى . انها لا تفهم نفسها . مضى عليها حتى الآن وقت لا تهتم بنفسها . كانت حتى العام الماضى تتأنق وتترين . لكنها تلبس من بداية العام نوعاً آخر من اللباس . حيناً تلبس طرحة سوداء على رأسها ولم يعد المكياج والتزين يروقان لها . فجأة اهتمت بقراءة القرآن وبالصلاة . حين كانت تأتى متأخرة ليالى كثيرة تقول أنها ذهبت إلى المسجد وحضرت مجلس الوعظ . أنا لا أعلم ماذا أصابها .

فسألتها عن فرزان فقالت (أحيانا يطل علينا . إنه إنسان متحفظ . يبدو خجولا . ليس لكثرة كلامه : نعم أولا يهتم بنفسه كثيرا .. لاطية واحدة فى ملابسه ودائما مشغول وليس لديه وقت . لم يكن لدى أمى ما يمكن أن تخبرنى به من ناحية ولم تسفر تحرياتى عنه عن شئ من ناحية

أخرى . لم أتيقن من أن معلومات شيخك حول خطبتهما أو زواجهما نابعة من الحقيقة أولا . كانت أمى تتحدث عن المسجد ومجالس الوعظ وكان شيخك يذكر السينما والمقهى . أين الحقيقة فيهما ؟ هل كانت رقية تلعب على الحبلين ولها حياة خفية لا تريد أن تظهرها ؟

حاولت إذ ذاك أن أختلى ورقية وأحدث معها حديث الأخ لأخته . وانتهى أمرنا إلى المجادلة فما إن بدأ كلامنا حتى صاحت فى (هل تفصح لى عن عملك حتى أظهر لك ما أخفيه) .

- قلت لك مراراً أنتى أشتري وأبيع فى السوق . أشتري من هذه الوكالة بضاعة وأبيعها إلى صاحب ذاك الدكان . لكنك تقولين لأمك أنك آتية من المسجد والمحراب وآخرون رأوك فى المقاهى والسينما .

- متلون أنت كثيرا يا أخى . تخدع الجميع وتخدعنى أنا أيضا .

- أى خدعة ؟ .

- يقول الناس عنك كثيرا .

- ماذا يقولون مثلاً ؟ .

- لا أعرف يا أخى ، اسأل نفسك ، اسأل أهل الحى ، الحاج العلاف وقللى خان والبقال والنقال .

رأيت أن هذا الكلام يمكن أن ينتهى إلى عاقبة وخيمة . قلت :

- أنا لا أحب التدخل فى حياتك . أنت كبيرة وعاقلة ولا تحتاجين إلى من هو أكبر منك . كنت أحب أن أعرف هل تفكرين فى الزواج من فرزان؟ أقول إننى أخوك الأكبر . أمنا لا نملك شيئاً فلابد أن أبادر أنا . فلا

يمكنك أن تلهمي إلى بيت زوجك بلا جهاز أو أثاث . .

فقاطعتني : من قال أنني أريد الزواج ؟ .

- إذن فما معنى مرافقة الملازم فرزان ذهاباً وإياباً ؟ .

ألا يجوز لي أن أصادق رجلاً ذا إيمان واعتقاد ؟ .

رجل ذو إيمان وعقيدة ! سمعت فيما مضى في الجهاز كثيراً عن هذه المصطلحات يرمى المساكين لمجرد إيمانهم بأنفسهم إلى التهلكة .

قطعت الحوار . اعلمي يا رقية أنني أخوك . تعالى إلى حين تحتاجين إلى أنا أحبك . أحبك كثيراً . أمنا على حافة الموت . أنا وأنت باقيان . يجب أن يحافظ كل منا على الآخر) .

- أنا أيضاً أحبك . أنت أختي . لكن لا يتفق أحدنا مع الآخر . أنت مستقل بنفسك وأنا أيضاً مستقلة بنفسي لكن إذا كنت صادقاً أطلقوا سراح مرضية قالت هذا وخرجت من الغرفة .

أصابني اللهل والشلل . برد جسمي أصابني قشعريرة . تراجعت مأخوذاً حتى ظل جسدي كله متخشباً لعدة ثوان على الأقل . توقف دمي عن الجريان . ماذا أفعل ؟ ماذا لا أفعل ؟ هذه البنت على من تعتمد ؟ إنه خيط يبدأ من طريق مرضية وقاتلي العقيد أركان حرب وينتهي إلى فرزان ورقية كان بإمكانني أن أقبض على أي إنسان ماعدا أختي وأجبره على الاعتراف تحت وطأة التعذيب ، لكن ماذا أفعل ؟ تذكرت كلامي مع شيخك واستغرقني التفكير في أن أحتال عليه في بضعة آلاف من التوماتات وأجهز بها رفاف رقية وأملأ بطني عدة أيام بالمجان وأتنفس الصعداء . زملائي الآخرون كانوا دائماً في مثل هذه المواقف يرسلون أشواقهم من بعد ،

أو يرتكبون جرائم . فكانوا يرسلون فى مهمات فى الخارج ثم يعودون معافين مسرورين متشين وكان شيتا لم يقع .

ولكن ماذا أفعل مع رقية ؟ إنها تضع نفسها فى المشكلة . هل يمكن إطلاق سراح مرضية بهذه السهولة ؟ هل أذكر شيتا لرقية أمام الدكتور بيجن؟ لو أن أحداً اشتم أن رقية ضمن جماعة التقدميين ومع الرفاق والفدائيين والمضحين بأنفسهم وكلهم يخططون لثورة مسلحة ويختفون زرافات ووحلانا فى أماكن تجمع لهم أو لها اتصال بالماركسيين فإن كل خططها سينالها الفشل وستصبح حياتها فى خطر . يجب أن تنقل نفسك من هذه الورطة . على أن أتعب فرزان وأتحرى عنه .

فاتحت الدكتور بيجن فى هذا الموضوع ولم أورد ذكراً لرقية . أشرت إلى أن فرزان ضابط بوليس ويعرف شيخك من السجن وأوصاه بأن يتصل بى . ويجب التأكد من أنه رجل ذو مداخل كثيرة فأوصانى الدكتور بيجن بأن ألقى نظرة على ملفات الضباط . وهو لا يعتقد أنه سمع حتى ذاك الوقت باسمه فى أى مكان . لكن الدكتور أظهر اهتمامه بشيخك نفسه .

ألم تتبين كم تقلد ثروة عائلة مرضية . ربما قبضنا على مرضية صدفة . لا ينبغي التعجل فى أمرها . نحن حتى الآن لم نظفر منها بشئ . لا تزال جروح فى مواضع عديدة فى كفها باقية . أمرهم بأن يرحلوها إلى المستشفى . من قال لهم بأن يؤذوها إلى هذا الحد . ابعد أنت بنفسك فى ملفها فرما يمكن إخلاء سبيلها .

تبيّن من الاستجابات أن مرضيه يوم إطلاق النار على العقيد أركان حرب كان تعبر من نفس الحارة ولما سمعت الطلقات ركنت إلى الفرار فرآها المارة وهى تهرب ودلّوا الشرطة على أوصاف بنت متوسطة القامة تضع

مكياجاً وتلبس حلاء أحمر اللون فاعتبروها مشاركة في إطلاق النار .
فقبض عليها في نفس ذاك اليوم الذي كانت تريد أن تتوجه فيه إلى الجامعة
ثم تعود إلى منزلها . وعند استجوابها أنكرت تماماً وبعد بحث حالتها
السياسية في الجامعة تبين للمستجوبين أنها سبق أن اشتركت في اعتصام
طلاب كلية الطب وصُنفت من بين المعارضين . وكان في ملفها تقرير كتبه
(أهاري) أعاد فيه أقوالها مع رفاقها . لم يُدَلَّ أهاري برأي حاسم حول
موقفها السياسي ولكنه اقترح وجوب مراقبتها .

من خلال الملف حَدَّتْ شخصيتها بأنها ضعيفة الشخصية ، جبانة ،
بكاءة ، واهنة مدللة ، واعتقدت أمام نفسى أنه يمكن النظر إلى حالة البنت
وثرثرة أسرتها ولا يخيب رجاء شيخك . لأنه يمكن أن يكون سمساراً جيداً
في هذه الصفقة . ولكن من الذي يجب أن نعلق هذا الجرس في عنقه ؟
وكيف نسلك الطريق ؟ ليس من وسيلة غير معاونة الدكتور يسجن . يجب
الإصرار بهذا الموضوع إليه ولكن كيف ؟

حملت الملف وسرت به إلى الدكتور يسجن . أما هو فقد كان شديد
الانشغال وانتهزت الفرصة وقلت : - لم أر في ملف مرضية شيئاً ذا بال .
لماذا لا نجلس معاً الليلة بعد العمل في الإدارة وحدنا لنصل إلى جلد -
الموضوع .

وفي الليل تقابلنا في فندق (كاخ) وتناولنا عشاءً فاخراً وشربنا بضعة
من الكؤوس وكان هو الذي فتح الحديث .

- حيناً يقع مأمور الشرطة في الخطأ بسبب تعجلهم فيلقون القبض على
الناس عشوائياً وتقع تبعة أفعالهم على رؤوسنا ، تقع نحن في ورطة .

قلت : كنت بالصدفة أود أن أحدثك اليوم في هذا الموضوع . ليس في سجل مرضية أبنة " الحاج مراد الهزاره أى شئ . أوقعوا بالمسكينة هذا القدر من الإيذاء وإلى الآن ليس لدينا دليل قط على أن لها يدًا في قتل العقيد أركان الحرب ثم يطل شيخك هذا برأسه ويقول إن أباه الحاج من ذوى النفوذ . أعتقد أن شيخك من جواسيس الأجانب وإذا عملنا على أن يدخل جيبه قليل من بعض المال خاصة أنه الآن أسير ضائقة مالية فلا ضرر من ذلك .

وكان الدكتور يبجن من أولئك الدهاة من الدرجة الأولى ، ففهم على الفور ماذا أريده فقال : تصرف بحيث لا تلحقنا مسؤولية .

فقلت : أى شئ يلحق بنا ؟ أنا أنهى هذا الموضوع مع شيخك .

ثم تخرج الدكتور يبجن (كونيأكه) وحك ذقنه وقال :

تأخرنا . فلتنهض . لكن تذكر أن الكثيرين يطمعون . ليس شيخك وحده الذى يريد الوصول إلى المنفعة .

ألقيت بشيخك فى المصيدة . وفى منتصف إحدى الليالى أحضرته إلى نفس الفندق (كاخ) وقد كان من دهاة الدهاة . فلم يرتد عباؤه وعمامته ، وإنما كان فقط من الممكن أن تتم عليه لحيته التى كلحية التيس .

وقبل أن يجلس سأله بلا تحفظ : لو أطلق سراح مرضية فكم تأخذ من بيتك ؟ .

- أنا خدامك . أى مبلغ تعطف به . أضعه فى جيبى قلت : - تعلم أنتى لا طمع لى مطلقاً من هذا الموضوع . لكن عليك أن تعلم أنه لا بد من دهن أفواه الآخرين . أنا لا أكل المال الحرام . لكن قلبى يحترق .

أسى على مرضية ، مع أنها مذنية وتعرف فى حق حضرة الشاه العليا من الأشياء ما لم تفصح عنها ، ولهذا فإن إطلاق سراحها ليس سهلاً . وهناك من يراقبوننا بعيون كثيرة . لنا مسئولين عما يعطونه لك . ولكن ما يدفعونه يجب أن يكون بقدر أن يصل نصيب أيضاً لاولى الأمر فقال شيخك بلا مواربة (كم من المال ؟) .

— أقصى ما تستطيع وأقصى ما يدفعون .

وأستغرق هذا النقاش جلسات عديدة وفى النهاية سلمنى شيخك خمسين ألف تومان أوراقاً نقدية من فئة الخمسة تومات و كان نصيبى أنا وحدى هذا المبلغ تسعة آلاف وخمسمائة تومان . وأعطيت البقية نقداً إلى الدكتور بيجن .

ولم تعد كلفة بيتنا . أقسم أن نصيبه لا يزيد عن نصيبى وما بقى وصل لهذا ولذاك . وأفرج عن مرضية فى نفس تلك الليلة وهى لم تكن تعلم أن (السحب والرياح والقمر والشمس والفلك فى عمل دائم . . لكى تحصل على رغيف خبز وتأكله (١) .

لكن هذا الموضوع لم يته بهذه السهولة وبلا إزعاج ، فمن ناحية ارتفعت الصيحات من العسكريين أن العقيد قتل فى الشارع فى وضوح النهار ويطلق الجهاز سراح المتهمين بدون دليل . وانتقلت هذه الشائعة كالبرق من لسان إلى آخر فى سائر الجهاز . كان الجميع يتحدثون سرّاً عن أن هذا الموضوع لم يحدث بدون تحلية الفم فسيطر على الخوف خاصة أن المال

(١) إشارة إلى بيت الشاعر الإيراني المشهور سعدى الشيرازى وإن كان ترجمة شطرنج الثانية أصلاً هى (لكى تحوز الخبز ولا تأكله غافلاً) .

الذى قبضته كان يلعب ببدأ . وسوف أذكر بعد فيم أنفقته . أما الدكتور
بيجن فكان أكثر بروداً منى وشجرة صفصاف من هذا النوع الذى لا يهتر
من الرياح . فقد ألقى القبض خلال أيام عدة ويدون حرج على بضعة من
الرجال والنساء ممن هم قرب مكان الحادث وربما كانوا ممن شاهدوا الحادث
صدقة أو قصد ، فليس هذا أمراً هاماً . ثم أطلق سراح بعض منهم
واعقل آخرون لفترات . ثم قال لى بعد ذلك :

- كان أولئك المشاركون فى إتمام هذه الصفقة يريدون نصيباً أكبر ولم
أنصع لرغبتهم . لو أتى استسلمت لهم لتقص نصيبك إلى النصف . لماذا؟
نحترق نحن وأبنائنا وهم يأكلون حلوها . وصل الموضوع حتى رئيس
الجهاز أيضاً . لكنهم كانوا قد أدخلوا رأسه فى الحية .

كانت تكاليف رواجى هى التسعة آلاف تومان والخمسمائة . لم أجد
خيراً من هذا الزواج . تولت أمى عنى هذا الأمر . كنت مشغولاً بأمور
أخرى . فخطبت لى بتاً من نظرت (بلدة الشمال أصفهان) لاتعرف شيئاً .
كانت المسكينة من البداية عيلة . ولدت لى طفلين فى السنوات الأولى ثم
توقفت عن الولادة . يمر على بضع وعشرون سنة على تلك الفترة .
وأمضت هى ستين أو ثلاثاً مقعدة وملازمة لفراش المرض . كانت أحياناً
أما تأخذ الطفلين معها إلى كاشان وكانت أمى تقضى أحياناً أخرى وقتها
معهما والآن فكل منهما لا يهتم إلا بنفسه ولا يهتمان بى أدنى اهتمام .
أولهما فى أمريكا محاسب ملترم ، والآخرى متروجة بسمسار مهرب
أسلحة ويعلم الله أين هى أو أين تقيم . حياتهما لا تهم اعترافى هذه .
لا أعرف من الذى ألقى فى روعها من قبل أتنى أصبحت سافاكيا وسمعت
أنهما سميأتى بلدى الحافر . كان (هاشم) حيناً يتصل بى ويؤودنى

لبضع سنوات . تسمى باسم جده لأبيه والآن هو غُصّة في حلقى فلا أعرف عنه ولا يعرف عنى خبراً ولا يتصل أحدنا بالآخر . وعلاقة بين هاشم وأخته مقطوعة أيضاً إلى حد كبير .

سريت حادثة التعقيد أركان الحرب . نساء الجميع . قبض على بضعة أشخاص كانوا يبدون متهمين وكان نتيجة هذا أنه لابد من التسلل بنحر أكبر بن الطلاب والمثقفين . سألتني الدكتور بيجن : ماذا : هو الذي يقصده شيخك من قوله إن خطراً يهددكم وأنتم عنه غافلون تأتى خطر هذا ؟

فى هذا الوقت وكان مشى منى وأن بالسافاك نحر مستين وبضعة شهور ورجعوني مرة أخرى نحو الجامعيين والمثقفين . تركت لتسديل داخل الحزب خدم يكن غير ذلك ما يروى الخليل . كان كل شيء فى الحزب يجرى ملاحبه . ناعرو ولم يكونوا يفكرون فى الثورة والاضطرابات بالفتنة . أحياناً كانوا يطلقون الكلام على عواشه إلى حد يجعل أى إنسان مدرج بينهم سرعة أن هؤلاء بغاوات يحاكون كلام الأساتذة المحنكين . وكانت مشكلة رقية نقرتنى إلى درجة لم يعد معها حاجة للتحرك داخل الحزب وعادة أحاديثهم الجوفاء التافهة . كانت رقية قد اعترفت مرة أنها لا تثق كثيراً فى الحزب . فأوصونى بالاهتمام ثانية بأمر الجامعيين وأن اتحرى الخطر الذى نبهنا إليه رجل محنك مثل شيخك . وكان لدى أمل فى أن أجد أيضاً فى مثل هذا المحيط آثار تتجه نحو رقية .

بعد التعامل مع شيخك بشأن إطلاق سراح مرضية تراجع تحفظنا ووجد الجراءة فى نفسة آنذاك وكان حيناً يتصل بمنزلى بالتليفون ويسأل عن أحوالى . وفى يوم قرع جرس الباب وأتى لزيارتي .

لم يكن لابساً عباءة وعمامة بل كان يلبس بذلة أنيقة برياط عتق من خلف لحيته أسفل ذقنه .

فى ذاك الوقت كنا نؤجر مسكناً فى منياوران . مبنى يحوى عديداً من
الغرف له حديقة فى حدود ثلاثة آلاف متر وبه حمام ومطبخ وتليفون
وتليفزيون وأثاث ورياش . وكان بإمكانى من سطح المنزل أن أرى الحديقة
أمام المبنى والحوض البضاوى والشارع المواجهة للحديقة .

وما إن دخل ووقعت عيناه على الصندوق الملىء بالمشروبات بجوار
السفرة حتى قال :

- ألا تريد أن تزيل عطشى ؟ .

فقلت : - آه يا شيخ وما هو نصيبك من هذا الصندوق أيضاً
وضحكت . قال : - لا تسخر منى . أتيت حتى أدلك على الطريق .

أخذت فترة أسخر منه ، فلم يابه . كان بمقدوره كذلك أن يبرز لى
تفوقه وإحاطته بالأمور ويظهر لى أنه يعرف أشياء كثيرة يجهلها الجهاز .

- حسناً أتيت لتتير لى الطريق . أعمى يقود أعمى . أى طريق ؟ .

- أنت لا تعرف قط من ييدهم الأمور ؟ .

- أعرف هذا أفضل منك .

- هكلنا تظن . هل تعرف ماذا يفعل سيدك عند كنىدى .

- ومادخل هذا بى ؟ .

- مصيرك ومصيرى وكلكم رهن مشيتهم .

- يعنى ؟ 11 .

- حسناً سوف أكلمك الآن بلا مواربة . لا تربط نفسك بهذا الحد
بالدكتور ييجن ولا هذا ولا ذاك .

قلت : - لا أعرف ما الذى تفعله لكى تعرف أننى ربطت نفسى
بالدكتور ييجن . الدكتور ييجن حتى لا يصل الآن إلى درجة صبى عندى .

- أنا أتيت يارجل لكى أساعدك بشكل محترم لأنك ساعدتني يوما
وأنقذتني من نكبتى .

- لا تتمق الحديث هكذا .

- لكن هات لى كأساً أولاً حتى أفصح لك .

فنهضت وأخرجت من النيش الزجاجى كأساً وصببت له بعض الكونياك
وقلت :

- تعال .. وأطفح .

- فى صحة الأصدقاء قال هذا وتجرع كأسه .

ألا تعلم أن بختيار على وشك أن يقال ؟ .

- ماذا تقول ، من علبة أى عطار أتيت بهذا الخبز أيضاً .

- لا شأن لك بمثل هذه الأمور . شربت كونياكك ولك فى عتقى حق
الخبز والملح . انتبه لنفسك .

تحرك فى مجيئك ونهايك بكل حيطة حتى لا ينطحك قط . قم بأمورك
وكان لا دخل لك بمن يلهب ومن يحل .

أفهمنى الموضوع .

- خلاصته أن أسيادى وأسيادك لا يريدون أن يخفى الشاه الآن وتسقط الأمور فى أيدي العشائر .

لم تمر ثلاثة أسابيع حتى استدعى صاحب الحضرة البهاميونية بختيار إلى مكتبه ولم يعد رئيسا لجهاز الأمن ثانية بعد أن خرج من عنده . من هذا الوقت فصاعداً كان لبختيار نفسه ملف رسمى وعلنى اسندت رئاسة الجهاز لواحد يرتدى الزى المدنى . وبدأ التطهير . وكان من بين عدد عظيم من أتباع بختيار فى الجهاز ، وفى إدارات الجهاز كذلك جماعتان . واحدة تفرع الطبول لمصلحة بختيار وتعتبره منقذ الأمة والأخرى متشائمة وتراعى فى تقاريرها مصلحة الحضرة الهامايونية كان هذا استنباطى بناء عن التقارير .

أبرزت هاتان الجماعتان فى جنيف بعد تحرى لقاءات انصار بختيار بالطلاب والشيوعيين والفلسطينيين العرب والضباط الهاربين . كان الله فى عون الشاه وحماءه وإلا انصب على رؤسهم فى السنوات التالية لعام (١٣٤٢ هـ - ١٩٦٢ م) نفس هذا البلاء الذى أخذ بخناقنا جميعا هذه الأيام .

كان مصدر أخبارى الدائم يجرى وراء الكواليس إنه شيخك . لم أره منذ بضعة شهور وحتى الآن لافى مقهى الاسلامبول ولا فى الشارع أو السوق ، ربما لم يكن فى طهران .

الجدير بالذكر أننا نحن السافاكين لا نستمد معلوماتنا من طريق قط سوى جواسيس الطلاب وصغار الشيوعيين ومما تنشره صحف الغرب والشرق عن السياسة العليا للبلاد ونعتبر ذلك كنقش العملة بينما تجرى وراء ظهورنا أحداث تبهتا تماماً . كنت لا أجده ولو لم يتصل هو بى لما وجدته قط .

سقطت الحكومة الإصلاحية في شهر خرداد عام (١٣٤٢) وتمركزت كل القوة بيد صاحب الحضرة الهمايونية . قال الأعداء (كما سمعت من شيخك) إن الأمريكيين على استعداد لإرسال المساعدات المالية لإيران في حالة واحدة وحسب وهي حين تقوم إيران بتعقل وبأسلوب مناسب للإصلاحات .

كانت هذه المعلومات الخاصة تصيب حواس واحد مثلى بالاختلال . المهمة التي أوكلت آنذاك إلى هي التجسس على النشاط الباطن والظاهر للمثقفين . قمت بالتحري في هذا الميدان مستين أو ثلاثاً ألقيت في السجن بضعة من المثقفين والكتاب والشعراء الذين كانوا يلصقون التهم بالشاه لمزاً ويتمون إلى الشيوعية الروسية والصينية . ولم يحدث أكثر من هذا . أحيانا كان يظهر في الأفق أقزام يتلوون ويتلاشون وحين أغمض عيني يصيرون سرايا .

في صيف انعام الذي عزن فيه بختيار أستدعى إلى طهران كثير من السافاكين الذين كانوا يخدمون في أوروبا لكي يقوموا بتطهير العملاء لأتباعه . كما دعى "ى إيران وفد الطلاب الإيرانيين المقيمين بأوروبا بهدف تشجيعهم للتقدم بإيران وللقيام بالدعاية للخطوات الجدية للحضرة العليا الشاهية في طريق الرفاهية والرقى أرسلوهم في سائر البلاد في رحلات بالأتوبيس وطبعاً حاول الجهاز تجنيد بعض من بينهم لمصلحة أمن البلاد مع أن بعضهم لم يكن حتى ذلك الوقت يكتب تقارير للجهاز . وكنت واحداً من بين من عهد إليهم بالإشراف عليهم وتوجيههم . فسافرنا بهم عبدان وأصفهان وشيراز ومازندران وبيننا لهم ما حدث من تقدم أثناء غيبتهم وكان من بينهم شابان اسمهما (دوماندی) و(خان علی) لا أعرف سبباً في أن

وجهيهما كانا مألوفين . لى تقربت إليهما وكنت أحاديثهما من بداية تناول الغذاء والعشاء ويادلانى الحديث . كان كلاهما يبدو على درجة من الحمق والبلاهة ، فأحدهما كان ثرثاراً وجريئاً ويقهقهه اعتباطاً وكان يعرض علياً حين يسمع منى نكتة تعرض بنظام الشاه ولم يكن على استعداد لقبول أدنى انتقاد له . كان ممتلئاً سميناً جميل العين والحاجب أثيق المنظر وسرعان ما أدركت أنه ابن أحد كبار الضباط أوفد إلى أوروبا على نفقة البلاط . أما الآخر (خان على) فكان أبوه بحاراً من مارونوران ، ولما رأت إدارة الأملاك السلطانية استعداداً ومثابرة ومكافحته أوفد للدراسة بأوروبا على نفقة إدارة الأملاك وبموافقة من حضرة الشاه بعد تعهده بالعمل عشر سنوات فى خدمة الدولة بعد إنهاء دراسته ونيله شهادة ويقدر الامكان فى إدارة الأملاك . كان هذان الشابان يتنافسان أحدهما مع الآخر يسعى كل منهما إلى إثبات تفوقه فى كل موضع على الآخر ، دوماندى على ثرثرته وتدخله فى كل شئ وخان على برزانتته وتفكره وتعقله . وفى إحدى المرات كان كلاهما على وشك التشاجر بسبب آلة تصوير ومنبهة ، وإذا لم يتدخل رفاق سفرهما بينهما لا يعلم إلا الله إلام ينتهى بهما الأمر . أخبرنى بشجارهما وتضاربهما من يدعى (آزمايش) . وكان ولداً تافهاً بغير استحياء يتدخل فى أمور كل من هب ودب . حين تحررت عنه علمت أنه كان موفداً إلى الشرق فترة ثم انتقل إلى الغرب متذرعاً بحب الشاه وصار محط الاهتمام . كان أهله من رجال الدين ذوى النفوذ ودعى إلى إيران بناء على توسطهم ضمن الطلاب الوطنيين المعارضين لاتحاد الطلاب .

كان قصة تضارب دوماندى وخان على هكذا : حسب أوامر الحضرة

العليا الشاهيه كان لابد أن يعطى كل واحد من المدعوين هدية حسب ميولهم وحاجاتهم ويعطى الأولاد هدايا تعاونهم فى تحصيلهم الدراسى من مثل الراديو وآلة التصوير والمسجل واللباس المحلى ووسائل الزينة وحقائب السفر والأساور والآثار الفنية والسجاجيد الحريرية وغيرها .

خصصت فى فندق أصفهان غرفة لكل اثنين وكان خان على ودماوندى يشتركان فى غرفة واحدة . ولما عاد فى أحد الأيام خان على من جولته رأى موضوعاً على الطقطة وسريريهما آلة تصوير ماركة (كوداك) ومنبه ماركة (جرنل) . ولما كان دوماندى قد سمع أن كل واحد سوف يعطى هدية قبل عودته إلى أوروبا وصل إلى الغرفة أبكر بعدة دقائق وما أن وقعت عيناه على آلة التصوير حتى استبدلها بالمنبه حيث كانت آلة التصوير أثمن وأكثر فائدة لالتقاط صور حبيبته . لكنه لم يكن يستدير نحو سريره حتى رأى خان على بقامته الطويلة ومعطفه وسرواله الغليظين واقفاً بالقرب منه ينظر إليه .

- أرجع إلى مكانك بسرعة وإلا حطمت فمك وخيشومك .

- ابن كلب ! من أنت ؟ ! .

ويداً الشجار سمع جلبتهما وصياحهما الضيوف ورفاق الرحلة وأخبرنى آزمايش . ولم أكد أصل إلى حجرتيها حتى سمعت دوماندى يصرخ :
- اخرس ، كل الناس تعرف من أنت . أنت صديق عزيز لأهارى ومن الذى لا يعرف فيم يعمل ؟ .

توقفت قليلاً حتى سمعت أغلب حديثهما . إلا أن تشابكهما بالأيدي والفاظ السباب التى أهالها دماوندى على ابن التجار لم تدع لى مهلة للانتظار فدخلت الغرفة وقلت :

- أنما متعلمان زرنا أوروبا بإسادة ألا تستحيا ففرقت بينهما وصالحتهما وأرضيتهما بأن آله التصوير هى الأرخص لكن تنافسهما لم يكن بسبب هذه الأشياء وحسب .

قلت إن دماوندى كان لطيف الكلام يسعى إلى كسب قلوب البنات برواياته المضحكة ونكاته بينما كان خان على عاقلاً رزينا وبمقدوره أن يظير كقرد القدراتى ويحقق رغبات البنات . كان كل منهما يرد آله التصوير بقصد اكتساب محبة البنات . طبعاً كانت فرصة ابن الضابط الكبير ذى الخدين الخمرأوين والعينين والحاجيين المكتحلين أكبر عندهن من ابن النجار الذى كان صامتا متواضعا ولم يرث من أسرته فنون اختطاف القلوب .

فأريت أنهما يمكن أن يصيرا لقمة سائغة لمهتنا داخل الطلاب خاصة فى هذه المرحلة التى يطالب فيها بشدة الشباب متصورين أنه يمكن إزالة أركان دولة الشاه بمظاهرات مشكلة من بضعة آلاف أمام المجلس النيابى والاعتراض على أسلوب الانتخابات واعتصام العمال فى مصانع النسيج والحرير بأصفهان . كانوا مغفلين . صبّ الجهاز نغمته عليهم جميعاً . وفى كلية المعلمين العليا أثارت بضعة من مروجى الإشاعات جلبة ولم يعرف من كان يقف خلفهم معترضاً على قطع منحهم الدراسية . اعتصموا . أمر الشاه بإغلاق كلية المعلمين العليا قاما باستغلال الدراسة فى حل المعهد العالى بينما ثارت القلاقل وقام الطلاب بأعمال الشغب . أطلقنا عليهم فرق الكوماندو وشتنا شملهم بدءاً . لم نرحم أحداً لم يفرق واحد من هؤلاء بين الطلاب والأساتذة يقال أن بعض هؤلاء الجنود البهائم حطموا المكتبات والمعامل . ألغوا بضعة من الطلاب من الطابق الثانى والثالث ، وجرح بعضهم ثم وافتهم المنية . وتفرق الكثير وتشتوا وقضى على

ثلاثمائة كان أغلبهم تحت تصرفى . كنت أتمعن فيهم لأرى أحداً منهم أعرفه . كنت أريد أن أعرف رؤوس هؤلاء المنحرفين وأرحلهم إلى التجنيد . حرمت نحو عشرين منهم من التعليم لكن الشغب لم يتوقف . بعد ثلاثة أيام انضم إليهم تلاميذ المدارس . كانوا يتجمعون فى الشوارع ويسيتون أدبهم إلى الحضرة العليا . دخلت الشرطة المعركة . فى هذا الوقت انبعثت صيحات الجبهة الوطنية قبضنا على بضعة من رؤسائهم . اختفى الباقون أو مُنعت أفواههم بانغائط أو صمتوا . وفى إثر هذه الحوادث كان الطلاب فى أوروبا يكشفون من نشاطهم . وصار من الضروري استخدام عناصر بهدف تخلل المنظمات الأهلية وغير الحكومية التى يمكن أن تتظاهر بأنها (مناضلة) . كنت منهمكاً فى العمل كثيراً . فكانت إحدى قدمى فى لجنة تأديب الطلاب والأخرى فى مكتبى حيث أدرس ملفات طلاب أوروبا وأتحرى عن خان على ودماوندى . أظهرت مودتى لهما . اطمأنا إلى وتعهدا بأن ينقلا إلى اللغظ والجذال الثائر حولهما . وكان فى نظرهما معارضة للوطنية وما تقتضيه الدراسة . وفى خلال ثلاثة أسابيع عايشتهما فيها فى مدن عبدان وأصفهان وجيلان ومازندران وخراسان استطعت التعرف على معلومات المدعوين ورغباتهما وتوقعاتهما واعتراضاتهما وفى النهاية تمكنت عن طريق إهداء جهازى منبه إليهما من تحويلهما إلى جاسوسين مبتدئين .

وما إن عدت إلى طهران حتى أردت أن أفانح الدكتور بيجن فى الموضوع وكنت أريد أن أحتفظ بهذين الصيدين ثلاثة أسابيع أخرى فى طهران وإيران حتى أنال توفيقاً أكبر بالاستفادة من وجودهما وسط طلاب أوروبا . ولحسن الحظ أو العكس كان الدكتور بيجن فى إجازة فأنست فى

نفسى جراءة لمقابلة السيد (جها نجير) . وعلى خلاف المرة الأولى حين أخذ منى قصة حياتى وكان يبدو لى متظاهراً بالعجرفة والتصنع وبإبتسامته الكاذبة والألاعيب البوليسية ، استقبلنى هذه المرة بلطف وأجلسنى أمامه على كرسى . كنت أريد أن أعطيه تقريراً عن مرافقتى لطلاب أوروبا مدن إيران . قاطعنى : - وصلتنا معلومات شبة تفصيلية فى هذا الموضوع . قيل إنك تعرفت إلى اثنين منهم .

- أطلب من سيادتكم أن أتحرى حول هذين الطالبين إن أذنتم لى . اعتقد أن هذين الطالبين سوف يحلان مشكلتنا . يجب الاستفادة منهما بدلاً من الموظفين . كل منهما لديه القدرة على هذا العمل . . . لم يدعنى أكمل كلامى .

-فكرة جيدة جداً . أنت تعلم أى صخب وفوضى قاموا بها فى أوروبا ونحن لدينا طبعاً موظفون فى أوروبا . لكنهم لم يصيبوا حتى الآن أى قدر من النجاح . المراكز الثقافية بدورها أغلبها تهتم بمشاكلها حتى الآن أكثر من مشاكلنا . إنها فكرة جيدة جداً . لابد أن يكون لنا فى كل مكان رجال . لابد أن يكون موظفونا متشربين فى كل قرية . وفى أوروبا أيضاً حين يتواجد فى مدينة واحدة ثلاثة من الدارسين لابد أن يكون واحد منهم يعمل لحسابنا . تذكر جيداً أن نبض الشاه فى أيدينا . فإذا لم نستمر فى أعمالنا بحماس وحب ولم نكشف المغفلين والمتحرفين والخونة فإننا نحطم أنفسنا وحياتنا وأسرنا وكل شئ) .

ذكر كثيراً جداً من هذه الترهات التى أحفظها مثل أغنية (القلب المهووس . .) تحدث عن الشاه والوطن والعظمة والدين ووو . . ثم غير مجرى الكلام فجأة وكان قصده أن يسر أغوارى .

- هل تحب أن أرسلك إلى أوروبا لتقوم بهذه المهمة ؟ .
- فأجبت : (أنا مشغول حالياً يا سيدى . .) .
- رحيل أختك عن بيتكم ليس مشكلة . لم نعر عليها فى أى موضع . . أجبت وغصت فى تفاصيل حياتها .
- أذكر لسيادتكم أنى طالب بالجامعة . أنا أدرس بكلية الحقوق
- أعرف هذا متى تنتهى دراستك ؟ .
- يحدونى الأمل أن أمتحن العام القادم وأنتهى .
- حسن جداً . . .
- كلفنى بأن أستضيف هذين الطالبين أسبوعين آخرين .
- سوف أعتمد نفقاتهما . أكرم وفادتهما . . .
- أنهى إلى سيادتكم أنهما الآن على استعداد للقيام بالخدمات . وبغير نفقات أيضاً . الأفضل أن يفوض أمرهم إلى الجهاز بعد الأسبوعين حيث يعودان إلى فرنسا . وأنا على يقين من أن أمرهما مته) .
- اطمئن .

واتجهت مباشرة من عنده إلى المدينة . حجزت مائدة لأكثر من شخص فى مطعم (تشاقاله) لمساء الغد ودعوت للعشاء دماوندى وخان على وفتاتين طالبتين كانتا موضع اهتمامهما وطلبت منهما ألا يعودا برفقة المدعوين الآخرين إلى أوروبا لأنهما ضيفان لمدة أسبوعين على رئاسة الوزراء حتى يزورا قاعة الفردوس ومتاحف إيران القديمة ومتحف الأثروبولوجيا

وزيارة كلية الزراعة بمدينة الكرج ثم يعودان بالسلامة إلى كليتهما . وبعد تناول بضعة كؤوس من الخمر اتقد حديث دماوندى حماسة واشتعالاً وأبدى وجهة نظره القائلة إن جميع طلاب الاتحاد تابعون للأجانب ويتقاضون أموالاً من الروس ولا يتصفون بأى صفة وطنية ويجب شنقهم جميعاً .^{٢٢} وعلى الطلاب من الجنسين أن يزيلوا بذور الشيوعية من الأرض و . . . وكنت أحاول أن أهده فرُحت أوصيه : لماذا لا تشكل أنت « اتحاداً » على تقل عنهم ؟ إنك حسن الكلام قوى الحجة جاد البحث . . .

فقلت إحدى الطالبتين : - وهل اتحادات الطلاب قليلة عندنا حتى نضيف إليها الآن اتحاداً أو اثنتين . . .

فقال خان على : - نحن لا نعرف غير الكلام . لا يتأتى منا عمل . فانقض دماوندى على صديقه - ينطبق كلامك عليك . . أما أنا فقف ضدهم فقال خان على : - لنرَ ونعرف .

فقلت : سيدى العزيز لا يجب أن يبلغ بكم اليأس إلى هذا الحد . كل إنسان يؤدي عملاً . يجب أن تصفق بكلتا يديك حتى تصدر صوتاً فتدخلت واحدة من البنتين للدفاع عن خان على :

- لا ، يا سيدى . أنهم ليسوا عاجزين إلى هذا الحد . إن مجرد أن يخطو يصير مسباحاً عظيماً . فلوا أقام تنظيمًا طلابياً لبذل خان على نشاطاً ضخماً فيه . وفى المثل لا ترى حبة الفلفل من دقة حجمها ، اطحنها لتعرف كم هى لاذعة المذاق .

انتهى النقاش إلى الضحك والهزل وسخرت البنت الثانية قائلة :

- عزيزتى لا بد أنك تعلمين هذا .

أمضينا الليل بسعادة واستأجرت تاكسيين ووصلت الطلاب الأربعة إلى الفندق وأعتقد أنني بذرت بذرة أثمرت بعد ذلك لجميع الإيرانيين .

وفي كل عام كان هذان الطالبان يأتیان لزيارة أسرتهما في الإجازة الصيفية وفي الحقيقة للاتصال بي في طهران وكنت أقوم بتهديب تقريراتهما بعد قراءتها لأنهما لا يزالان مبتدئين . طبعاً لم أذكر لهما شيئاً عن الجهاز وكنت أظهر لهما أنني موظف بوزارة الداخلية ورئاسة الوزارة أقوم ببحث أمور الطلاب في مكتب رئيس الدولة . فُوض إليّ أمر تعليمهما وتدريبهما بشكل كامل . لم يكن لغيري الحق في قراءة تقارير نشاطهما حتى الدكتور بيجن كان لا يعرف عنها شيئاً . كان بإمكانى وقت اللزوم وحسب الاتصال بالدكتور « جها نجير » والذي فهمت بعد ذلك أنه مثل زميله لم يحصل على الدكتوراة بل إنه لم يقرأ حتى درساً وتبوأ هذا المنصب بقوة الجيش العسكرى . أنتقل من الركن الثانى إلى الجهار وكان فى الجيش بدرجة عريف أكتب هذا لأنى حين وقعت على حقيقتهما جها نجير وبيجن لم أشعر بعدها برعب أو خوف منهما . كانت نفس أعلى منهما ولم أعد أرى تواضعى السابق أمامهما أمراً لازماً . وأنا فى النهاية كنت أدرس بصدق أو بكذب . كنت أطلع المصادر وأفهم المصطلحات فى الفلسفة والسياسة وتعلمت الإنجليزية إلى حد أنه كان بإمكانى أن أنجز بقوة عملى بها وكنت أفكر حيناً فى أنه نال درجة الدكتوراه بالتزوير أو بأى شكل مثل درجات الدكتوراة لأولئك الذين سافروا بباريس . كان أحدهم سيكتب لى رسالة وأنسبها إلى نفسى بمبلغ من المال ولسوء الحظ كنت أنحت هذا الأمر لنفسى بهذا الشكل وكانت حياة أختى المتسببة تقيد قدمى بذلك الشكل ، حتى أنى لم أحقق هذا الهدف الغالى . كنت أرطن أيضاً قليلاً بالفرنسية .

وسرعان ما أترك الدكتور المزيف جها نجير أنى أفوقه ذكاء فلم يظهر نفسه ثانية متعجرفاً أمامى . وكلفنى بتدريب هذين الشاينين أولاد الأصول مدة سنتين كاملتين . وفى المرة الثالثة فى شهر خرداد (١٣٤٢) حين وجهت إليهما الدعوة للعودة إلى إيران حدثت فتنة طهران التى انتهت إلى مجزرة .

كان لهذه الثورة سابقة . فى اليوم الثانى لعيد الأضحى كان طلاب المدرسة الفيضية يرددون الثورة ويعترضون على قرارات (الإصلاح الزراعى) . وفى هذه المرة صبّت قوة الكوماندو نقيمتها عليهم وهم يرتدون الأزياء المدنية تحت قيادة سيادة الفريق الذى كان وقتها رئيس فى الظاهر لمدة شهرين وسكنتُ كما كانت دفة السفينة بيد الجهاز وكان يتعرض للاعتقال كل من ارتفع صوته . حتى يوم تاسوعاء وعاشوراء حيث اشترك الآلاف فى الاحتفالات الدينية وتحول بالتدريج العزاء إلى ثورة . سمعت أنا بأذنى جماعة منهم تهتف : الموت للشاة . كانوا يطالبون بحرية الانتخابات ويسبون المجلترا وأمريكا . كان السافاك مبهوتاً لا يدرى مبعث هذه الحركة . ومن أين أستمدت جذورها . كان كبار الموظفين بالسافاك والذين تقع محاربة الشيوعية واليسارية على رأس برنامجهم ينسبون هذه الحركة إلى الروس .

وكان البعض أيضاً يعد بختيار مسؤولاً . ودليلهم الأساسى هو أن المتظاهرين كانوا يسبون الانجليز والأمريكيين ولم يسمع منهم هتاف ضد الشيوعية . هاجم العاصمة من ورامير جمع يلبسون أكفانهم وأخذ الموقف فى التصاعد حتى صدرت الأوامر بإطلاق الرصاص عليهم وإبادتهم . كان الشاه نفسه هو الذى أصدر أوامر الضرب بالنار . كان هدفه أن يخاف الشعب ويتعد عن الزعماء المحرضين ويقبض عليهم . هذا المقصد الطاهر

للساء تغير إلى سفك الدماء والقتل الجماعى عن طريق الفريق قائد القوات المشتركة للجيش والشرطة والسافاك والمسلحين .

ولاشك أن عدداً كبيراً قتل ، النهاية أشاع الثوار أن هذا العدد بلغ من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف . وصل رؤساء الشعب الآخرون بعد مناقشات استغرقت عدة ساعات إلى نتيجة فحواها أن كل شئ انتهى وفى نفس ذاك اليوم أشاعت وكالات الأنباء الأجنبية وكلها خاضعة للشيوعين والانجليز : لعل حكومة الشاه لم تستطع السيطرة على الشعب . ذكرت صحيفة يسارية فرنسية أن حكومة الشاه لم تستطع أن تسيطر على إنتاجها مع أن ميزانية الجيش تبلغ ٢٢٥ مليون دولار ومعها نشاطات جهاز الأمن (السافاك) . جعلت وكالات أنباء عديدة لهذه المصيبة الصغيرة ساقاً وأوراقاً وضخموها ولمعوها وقالوا : ملأت كالسيل جموع الشعب شوارع مدينة طهران . أطلق الجيش النار بناء على أمر السيد الفريق على الأهالى المرتدين الأكفان وسط الطريق . أخذت الثورة تسرى فى قم وشيراز ومدن أخرى أيضاً . فى نفس تلك الليلة جمعنا الفريق كلنا نحن العاملين بالجهاز والمقيمين بطهران . كنا ما يقرب من ثلاثمائة عامل . تحدث فينا وقال : وصل الآن مائة أو ألف إلى الدرك الأسفل ، ما أهمية هذا ؟ إننا أنقذنا البلاد من خطر الشيوعيين والماركسيين والإسلاميين ، وإذا حدثت مثل هذه الواقعة فلن نتصرف تصرفاً مغايراً . كان الملعون متكلفاً فى حديثه .

لم يجرؤ أحد على الكلام فى هذا الاجتماع . سمعنا حين خرجنا بعضاً من الرؤساء يدعمون بأن أوامر الحضرة العليا لم تتعد تفريق الناس بقصد البحث عن رؤساء الثوار لاسفك دمائهم . استمر الهمس بيننا حتى الدكتور بيجن صبى الفريق وتابعه كان يهز أيضاً رأسه .

وكان استنباطى هو أنهم خائفون ولم يتصوروا أن الساخطين من الناس سوف يصهرون إلى هذا الحد . كان يسمع هنا وهناك أن هذا انسفاك انسفاح لم يتورع - قاصداً مصلحته الشخصية والترقى إلى منصب رئاسة الجهاز - عن نقض الأوامر الملكية . كان مقصد الحضرة العليا هو تحويل إيران إلى بلد حر ، غير شيوعى وليس الثورة والفتنة .

وصل الجدان مبلغاً لم يجد أحد فيه فرصة للتفكر والتعقل كان يمكن الاستنتاج أن الخوف بلغ منهم كل مبلغ وكانوا يخشون يوماً يتضاعف أن هذا انكم من الشوار والمتمردين وماذا يحدث لهم وقتها ألم يكن هذا خطراً ، يقول شيخك ، يهددنا جميعاً ؟

قرر كل رؤسائنا - بدون اهتمام بهذا الجدل - بذلك أقصى الجهود . بدأت الاعتقالات ، وقبض على عدد كبير . استخدم لانتزاع الاعترافات الموقد الكهربائى والنهراوات والخوذات .

قيمة هذا الاعتقال الجماعى أن مصدراً للدخل أصبح ثانية تحت تصرفنا اعتقل عدد كبير من الأغنياء وكان من بينهم وهم حوالى ثلاثمائة نحو عشرين على الأقل من الأثرياء فكان يجرى ابتزازهم ويحصلون المبالغ منهم . لم يصبنى شئ من هذا (المولد) . تأثرت من أجل ثلاثة معتقلين منهم وأطلقت سراحهم . تجمع لدى مال مكنتى من شراء سيارة جديدة ولم يكن هذا الأمر يتم دون رشوة الدكتور بيجن والدكتور جهانبير .

أبطلت هذه المجزرة التى قام بها سيادة الفريق مفعول جميع الإجراءات الاحتياطية التى كان استخدمها منذ سنوات سابقة . ألم يتم من أجل

تشجيع الشعب تشكيل حزين : حزب الوطنيين والشعب ، لكي يتحمس النواب والشعب ويمارسوا دوراً نقدياً إيجابياً ويسلكوا طريق الإصلاح ؟ ألم يقيم الشاه بنفسه بتقسيم أملاكه الشخصية في عام ١٣٢٩ التي ورثها من والده وكم من الزراع والفلاحين تملكوا منه الأراضي وأصابوا الشروات . نفس أولئك الوافدين من القرى المحيطة بـ (ورافين) على طهران كم توزعت الأراضي بينهم ؟ . طبعاً كان الأعداء الألداء وهم الشيوعيون يشيرون أنهم يبيعون أملاكهم وينشرون العملة الصعبة ويرسلونها إلى الخارج . يمكن في النهاية إغلاق منافذ طهران لكن من يستطيع أن ينجح في تكسيم أفواه الجهلاء ؟ حتى لكي يستلفت انتباه الشعب إلى الإصلاحات التي كانت نصب عينيه المباركتين طوال الوقت ولكي يقوم الشعب باستزراع الأراضي وكان يبدو هذا لتظر حضرته مفتاح جميع مشكلات البلاد . أقر حكومة ممثلة اشترك فيها أيضاً بعض الشيوعيين السابقين . هي نفس الحكومة التي أعلنت (إذا لم يُعط الفقراء قرشين من كل عشرة قروش من أموال الأغنياء لتقوض نظام البلاد) قائلوا : (يارب لا يتحول الفقير إلى غني لأنه إذا أغتنى نسي ربه) . قال أحد الوزراء في هذه الوزارة ولحق الآن برحمه ربه : إذا لم تتحقق الإصلاحات السلمية فلسوف تحدث ثورة دموية . في الواقع كان قصد الحضرة العليا أيضاً حدوث (الثورة البيضاء) من أعلى .

لم يكن معلوماً ما يريد هؤلاء من الحضرة العليا ؟

حسناً ، لا تقسم الحلوى أثناء التنازع عليها . اللعبة فيها أخطار وفيها كسر رؤوس . قبض على عدد منهم ونفى عدد آخر . والأمر الذي استرعى انتباهي هو أنه كان يرى في صفوف هذه المظاهرات نسوة منقبات

متفرقات ، وكنت وأنا أشاهد هؤلاء الثوار يوميا ومعى الطالبان العائدان من أوروبا أبحث عن رقية فى كل مكان وأتصور أنها الآن قد لحقت بهن . كان لهذه الثورة التى دامت أياما وقع كثير الإيجابية على معنويات هذين الشاين فصمم كلاهما على التعاون بكل إخلاص وقوة مع موظفى الدولة ومحبى الشاء بدون أن أذكر لهما اسم السافاك بينما كنت أراود نفسى قليلا أن أكشف لهما اسمه أنا نفسى أصاب بالتردد .

كان الأمر يزداد سوءاً . لم يعد الكلام فى النهاية يدور حول ثورة الشعب . حين كنت أرى أن هذين الشاين لا يريان غير ظاهر الأمور ويسمعان أن الشعب يريد (الانتخابات الحرة) ولا يفهمان عمق الموضوع يستلآن فى عالم الخيال سيفيهما من غمدهما ليقطعا به الرؤوس ويفصلا الأعناق ، لا يعلمان ماذا يكمن وراء هذا الشعار من مصيبة . كانا يريان الشعرة وكنت أرى التواءاتها كانا يريان الحاجب وكنت أرى شدّه وجذبه . كنت أفكر حيناً فى أن أجد وسيلة وأرمى بنفسى فى بلد أوروبى وأنجو بنفسى من هذه الورطة . كان هذا فكرى وخيالى . قررت عمليا أن أتعلم لغة أجنبية وأجعل من ضم دماوندى هذا وخان على وأهارى الذى زاد عليهما ذريعة وأفر هارباً .

لكن وجه رقية كان يتجلى لى فى كل مكان وفى منامى ويقظتى . كانت هى أختى الوحيدة التى أحبها . ولماذا لم تكن رقية هذه من بين المحجبات أولئك . كان بإمكان رقية أن تصير عدواً . واحدة من أولئك الذين كانوا يهتفون (الموت للشاء) ويطالبون (بالانتخابات الحرة) . هل يمكننى أن أتخيل أيضا أن ينقلب الوضع يوما وتغدو رقية مسؤولاً بوليسيا وأصير أنا السافاكى أسيراً ورهينة لديها ؟ هذه الأوهام لم تكن تفارقنى .

كنت أرى أحلاماً فانتفض من نومي بسبب كابوس وكنت أرى رقية وقد عقدت رأسها بطرحة المحجبات ويوجه غضوب ومفزع تمسك بالبندقية وتريد أن تقطع عنقي بمنجلها .

أضعت أياماً في البحث عن رقية بين القتلى والمعتقلين . ألقوا بالقتلى في خندق خارج المدينة بعيداً عن عين العامة . سمعت أن من بينهم كانت قتيلتان . لكن جسديهما لم يكن من الممكن العثور عليهما . كان من بين المعتقلين قليل من النسوة والفتيات . فرجوت المستجوبين وتمنيت أن يبحثوا عن رقية ضمن استجوابهم وتحقيقاتهم عن الأسرى . لم نجد لها أثراً . أصابني القنوط والاضطراب . أحسست بأنى آخر متهاكاً .

وما إن أرسلت الطالين إلى فرنسا حتى أخذت إجازة لبضعة أيام واتجهت بلافكير إلى منزل والدتي واستجمعت به . لم أعد أرى طفلي . كانا عند جلدهما لأمهما . ولم تكن لدى الجراة أن أتفوه بشئ عن أختي لأمي التي بدت غير مهتمة عن عمد أو جهل . كانت تجلس القرفصاء في ركن الفناء على شفا الحوض تفكر . كانت تدعو الله بأول الصلاة وكانت حيناً تناجي نفسها وكنت أسمعها تقول (يا ربى أحفظ ولدى . اللهم إني استودعتك أبتى . رب إن قضيت أن تحرمنى من أبتى فاقبض روحى أولاً..) .

احترق قلبي . إقتربت إليها وسألتها : ألا تعرفين خبراً عن رقية يا أمي ؟ ط

فاجابت : لا ، إنما أتى من فترة واحد بهذا المصحف إلى . عرفت في آخره خط رقية الذي يحمل إهداءه لى .

لم يسفر بحثى عن شئ ، ظلت أسئلتى عن زمان إهدائه ومكانه ويومه وشهره وساعته ومع من كانت رجلاً أو امرأة ، ظلت كلها بلا إجابة .

لم يكن لدى أمي خبر عنها من أي مصدر وكانت تدلل على فطنة القرويين هذه وتأثيرها على مصير أختي . لكنني تيقنت على النقيض من أن رقية والمحجبات الأخريات هن جميعاً من قماش واحد وما هدية القرآن المجيد لأمي إلا علامة أرادت أختي بها أن أفهم أن عليّ أن اتحسب أمري أكثر وأن أنجو بروحي من هذه المهلكة سريعاً ، خاصة هذه الأحداث التي كانت تبتدى في عجز الجهاز حتى الآن عن التنبؤ بها وظل الجميع أمامها مبهوتين .

الشخص الوحيد الذي ظل واقفاً صلباً أمام هذه الأحداث ولم يقطب جبينه كان الشاء كذن فكره منصرفاً إلى رفاهية الشعب وراحته . كانت أكثر المشاكل في نظره الإصلاح الزراعي . يجب إرضاء هؤلاء القرويين الذين قاموا بالقتال في المدينة ويجب تقسيم الأرض على الفلاحين بأقصى ما يمكن من جدية . أمر بأن يتم هذا بأسرع ما يمكن ، يلزم الاستعانة بالفلاحين ذوي المعدن الطيب وتمليكهم الأرض بدلاً من سكان المدن الساخطين . وعمال الذين كانوا يشاغبون تحت تأثير الشيوعيين ورجال الدين . أعطاهم الضمانات لكي يدفعوا ديونهم مقسطة على خمس عشر سنة . أسس الجمعيات التعاونية في القرى ووزع بنفسه سندات الملكية على فلاحى البلاد . ولتسهيل المهمة وضع المواد الست للثورة البيضاء ونفذها . أعلن أن البطالة أمر غير شرعى . دخلت كافة غابات إيران في ملكية الشعب . شارك العمل في أرباح المصانع . تشكل جيش العلم لكي يطبق قانون التعليم الإلجبارى وغير ذلك كثير . أضيفت إلى هذه المواد فيما تلا مواد أخرى . لم تخف على أحد نية الخير للحضرة العليا . أما إذا لم تنفذ كل هذه المقررات والإصلاحات فلا شك أن الذنب يقع على عاتق

الشيوعيين وكبار الملاك ورجال الدين الذين كانوا يعرقلون التنفيذ في كل مكان وكانوا يستأصلون بدون أن يعلموا شأقتهم هم .

باع كثرة من الملاك عن طيب خاطر أملاكهم إلى الفلاحين واقترضوا من البنوك وبدل أن يستثمروها في الصناعات الجديدة أرسلوها للبنوك الأجنبية . بضعة من هؤلاء الملاك الكبار كان يعد بعد ذلك من بين المليونيرات المعروفين بإيران . كانوا أفراداً استطاعوا جلب رؤوس المال الأجنبي والخبراء والاعتداء بمساعدة العسكريين على أموال الناس وشارك في هذه المؤامرة أيضاً رجال الدين ملاك الأراضي وحاولوا أن ييطلوا القوانين العادلة . تجمع عدد من العلماء في ضريح الإمام عبد العظيم ونادوا بآية الله الخميني (إماماً) .

شكل عدد من الشباب الباحث عن الشهرة (المؤتمر الشعبي الكبير) وأعلنوا أن قوانين الإصلاح الزراعي وسيلة لتقوية الكرامة الوطنية والارتقاء والاعتلاء وكانوا يرومون تحت ستار تأييد الشاه أن يلتقفوا زمام الأمور وكان المنافقين والأشرار كانوا يقصرون !!

وبعد حوادث (خرداد) ببضعة شهور بدأ طلاب جامعة طهران مظاهراتهم وكان من الممكن أن يتصاعد الموقف إذا لم يُلَقَّ بالقبض على بضعة منهم . لكن هذه الإضطرابات كانت تنسب إلى الشيوعيين وكانت تعد بلا أهمية . لكن في العام التالي في شهر خرداد ارتفعت أصوات جماعة من (حجاج الاسلام) في المدن المختلفة وأجبر اعتقالهم رجال الدين الآخرين على التحرك والاعتراض وبالطبع لم يكن يصح أن يطلق على حجاج الإسلام اسم (شيوعي) أو (عميل روسي) . لكن اصطلاح (الماركسية الإسلامية) بدأ يشيع على الألسنة من هذا الوقت .

وبعد هذا بثلاثة شهور قتل شخصان كانا قد فرا في السنوات الماضية إلى روسيا وعادا إلى إيران وكانا السبب في نسبة مبعث هذه القلاقل إلى الشيوعيين . أطلق النار على أحدهما ومات الآخر كما سمعت من الدكتور جها نجير في السجن بسبب مرضه أي لفظ أنفاسه تحت التعذيب . هذه الحوادث لم تكن خطيرة في نظر الجهاز . كانت تنسب إلى روسيا . كان الذي ينسبها إلى روسيا المخابرات الأمريكية والزملاء الإسرائيليون لكن كانت نتيجة اتهام روسيا بهذه الأمور إثارة قانون الحصانة السياسية للجنود الأمريكيين . فطبقا لهذا القانون تمتع الجنود وصف الضباط والضباط الأمريكيون بكل أنواع الحصانة ولم يكن للجهات القضائية والبوليسية والحكومية والمحاكم الإيرانية حق استجوابهم أو التعرض لهم إذا ارتكبوا وجرائم أطلق المعارضون على هذا القانون قانون (الامتيازات الأجنبية) . أصدر كبار رجال الدين ومنهم آية الله الخميني وآية الله شريعتمداري في ذكرى ميلاد فاطمة الزهراء بياناتهم وأذيعت هذه البيانات كالبرق على الناس . أقفل سوق طهران لمدة يوم واحد . أغلقت المحلات وتوقف أرباب الحرف عن أعمالهم يوما واحدا . وتشير بوجه خاص التقارير المرسلة من دماوندي وخان علي واهاري عن نشاط التحالف المضاد لسياسة المستعمرين الأمريكيين وحكم الحضرة العليا الهمايونية إلى شدة هؤلاء الخصوم المضاد إلى حد أنهم - كما يقول خان علي - عجزوا عن مواجهتهم . ولما أراد آهاري الدفاع في إحدى جلسات الطلاب ضربه ضرباً مبرحاً بقصد إهلاكه ، بلغ الاضطراب العام مبلغاً جعل بضعة من نواب المجلس المتفخين غروراً يستجوبوا المجلس ويستوضحوا الحكومة .

وكان رئيس الوزراء شاباً متبهرجاً غراً متأنقا وكان قد رأس الوزارة

بعد المؤتمر وقام بتهديد الشيوخ الطاعنين بالمجلس ، ولكى يستعرض عضلاته نفى إلى تركيا آية الله الخمينى بتهمة (التحريض ضد مصالح الأمة وأمن البلاد واستقلالها وسيادتها) . انتشر هذا الخبر فى الصحف الحكومية ، اعتقل بعد نفى المذكور فى ١٢ آبان (١٣٤٣ هـ - ١٩٦٣ م) عدد من رؤساء السوق ورجال الدين . أصيب العاملون بالجهاز بحمى تكثيف النشاط وكانوا يشعرون أن الأمور تخرج من أيديهم . كانت الثورة تسرى أيضا فى البلاد الأخرى . أعلنت حالة الطوارئ فى كافة القوات العسكرية فى أغلب المدن . وفى نفس ذلك اليوم كانت الناس قد تجمعت فى المساجد بقصد إلغاء قانون الحصانة السياسية للعسكريين الأمريكين واعتراضاً على نفى آية الله الخمينى . وفى نفس اليوم ذاك جمع الرئيس العام للجهاز وهو اللبق غير المبالى كافة موظفيه فى القاعة الكبرى فى المبنى وشجعهم وشجع رؤوسه ضمناً ومن وراء ستار - على المقاومة . لعله كان يخشى أنه من الممكن أن تقع أزمة الشعب فى يد الجيش .

كان يريد فى هذا الاجتماع أن يحول دون ذلك . كان الدكتور جهانجير يجلس على يمينى والدكتور بيجن على يسارى وكلاهما مطأطئ الرأس وحينما يسترق أحدهم النظر إلى الآخر ، وكان سيادة الفريق جالساً بصف أمامنا مرفوع الهامة متعجرفاً . كأنه تنبأ بهذه الأحداث وكان يروم أن يفهمنا أنه إذا تولى رئاسة الجهاز فيمكنه القضاء على كل الفتن والقلقل ، قال لى الدكتور جهانجير : لا قدر الله أن يتولى الرئاسة هذا الجلف وإلا حل بنا جميعاً الشقاء . كنت أريد أن أجعله يتحدث . سألته (كيف ؟) .

- سوف أحكى لك فيما بعد . احترس لنفسك . لا تبتز أحداً هذه الأيام) بأى جواب أجيب ؟ سألته (ماذا حدث ؟) .

- الأمر في متهى السوء كنت تستجوب حتى اليوم بضعة أولاد
شيوعيين مطيعين . أما الآن فرجال الدين الدهاة المحنكون يحضرون تحت
إقدامنا . اسمع ، أنظر ما يقول . تعلم أن هذا يهمننا ، ويعد انفضاض
الاجتماع سرت بجانبه بغير تكلف .

- ماذا حدث ؟ .

- لا تقرأ تقارير انطالين بدقة " ليس الروس الآن هم الذين يكون ما
تحت إقدامنا . يبدو لي أن الانجليز والفرنسيين والألمان اتفقوا معهم . فهم
غير راضين كثيرا بهذا القانون . هل عرفت عن رقية خيرا ؟ .

- لا شيء . هل سمعت أنت شيئا ؟ .

- قبضوا على بضعة نسوة هذه الأيام . من بينهن بضعة فتيات فى عمر
رقية . أذهب وقابل من يستجوبهم . نعلك تعرف عنها خيرا .

استفسرت منه عن أسماء هؤلاء المحجبات . لم يكن يعرف أو لم يكن
يرد الإجابة . ربما كان يريد أن يحيرنى .

قال : كلهن بهذه الأسماء : مكينة ، رقية ، زينب ، طوبى . . ليس
معنا تحقيق شخصياتهن ، ربما يكون اسم هذه الأخيرة صحيحا .

لم يكشف لى سبب اضطرابه إلى هذا الحد . كان سهلاً على رجل
قليل التجربة مثلى أن يدرك أن قلوبهم تعج بالقلق . هذا صحيح لكنى لم
أكن أشعر بعد بخطر يحوم حولى . تابعت موضوع رقية ذهبت أنحرى عن
المنقبات المعتقلات . وصلت مباشرة إلى موظفى الاستجواب والتحقيق
كانوا جميعا يعرفون بقضية رقية . وصلت إلى نتيجة مؤداها أن الدكتورين
زميلى عملى أحاطاهم علما بحادثة اختفاء رقية إما بدافع المواساة أو بفكرة

تدبير مكيدة لى . أعطونى الملفات كان يمكن من خلالها اكتشاف أن النساء والفتيات القليلات التجربة أدلين بأقوالهن أو اعترفن فى بضع ساعات أو بضعة أيام . كان من المعلوم أنهن وقعن تحت ما يمكن تصوره من الضغوط بالوقاحة أو بالسب أو التعذيب والضرب حتى اعترفن . أما هؤلاء النسوة فلم يكن عندهن غير إيمانهن ثم يتصلن بأحد . اشتريكن فى هذه المظاهرات بتشجيع المشايخ فى أحيائهن قال المشايخ : اذهبوا ولكن الثوب . لم يكن لديهن شئ يعترفن به غير هذا . كن لايعرفن أيضاً أسماء مشايخ أحيائهن . كانوا اعتقلوا أكثر من خمس وعشرين امرأة وفتاة متحجبة ومتقبة وأطلقوا مراح نحو عشرين مهن بعد يومين أو ثلاثة وأخذوا فى حساباتهم أن يخرجوا عن الأربع أو الخمس الأخريات منهم أيضاً طبعاً بعد تسلم الأجر والمال الذى كان يبدو لهم ضرورياً حسب استطاعتهم . أمضيت أياماً عدة من المسباح إلى آخر الليل أدرس الملفات . ثم أخرج بشئ حققت بدقة الأشياء التى استلبوها من منزل « طوبى » وجدت صورة لجلسة قراءة روضة تظهر فيها بضع من النساء المنقبات وبضعة من الشيوخ كان البارز الملامح هو قارئ الروضة وحده وكان الآخرون جميعاً يجلسون بعيداً عن آلة التصوير . لم يكن يبدو من عباأتهم السوداء غير ملامح أجسادهن ومع هذا فقد تصورت أنه يمكن أن تكون رقية واحدة منهن ، حتماً لم يكن أكثر من خيان لكنى كنت غريقاً أتلصق قشة تنقلنى من حلقوم بحر زاهر قاتل . لو أنى وصلت إلى أثر لرقية لهربت فى ذاك الوقت ولانقذت نفسى من مصيبة كان من الممكن أن تحطمتنا جميعاً . لكننى لم أصل من خضم كل هذا الاستجواب وقراءة الملفات والتحقيق إلى وسيلة تحفظ على توازنى .

مضت الشهور . كنت برمتى فى تلاطم وخوف . جاءتنى الأنباء بأن
أسافر إلى أوروبا لبحث أمور أحبائنا الثلاثة : أهارى ، خان على ،
دماوندى . لم استسلم . لم أوفر بعد قدر ما يمكننى من الاستمرار بضعة
أيام فى أوروبا كنت على علم بأن الدكتور جهانجير كان يذهب دائماً إلى
البنك ويغير أمواله إلى الدولار والفرنك . أصبح سيادة عريف أول جاهل
عميلاً يتردد على البنك الآن وله حساب فيه ويفعل كما يفعل الكبار . لكنى
خالى الوفاض . سيارة عاجزة ومزل به أربع غرف نوم مشترى بمبلغ عظيم
مقترض من البنك . كنت انتقلت لتوى إلى نياوران . وكنت أدفع أيضاً
التفقات الشهرية لولدى . لم يكن لدى مال فائض غيره عملة صعبة . ولو
وصلت أوروبا فلن أعود منها قط . فى نفس الوقت لم يدعنى التفكير فى
السفر إلى أوروبا أهذا . فبعد ثورة خرداد واشتداد نشاط الطلاب اقترح
على السفر إلى ألمانيا للتفتيش عليهم . رفضت وتعللت بأن من الأفضل
إيفاد من يتقن الألمانية إلى وكر تخريب الطلاب هذا . لم أكن أعلم أن
المنافسين المستترين والظاهرين يودون تحطيمى أو أن نجاحى فى المهمات التى
أنيطت بى ، بسبب خدمتى المخلصة من اعتقال الأساتذة فى الجامعة إلى
تحويلى إلى وسيلة يسرق بها الآخرون وحسن موقعى عند المدير العام لإدارة
الشغب واستئناس طالين كانا يعدان الآن من المساعدين المتمرسين للجهاز
بين الطلاب فى أوروبا ، هذا النجاح حدا بالرؤساء تكليفى مهمات أكثر
صعوبة . حقاً لو لم تكن أختى رقية (رينا ياخذها) لكنت الآن محترماً
ولاستطعت أن أكون لنفسى فى لندن أو لوس أنجلوس مكانة جليلة . لكن
هيهات . قيد ربط به عنقى حبيب . . . على أن أتوقع وأنا بقلمى العرجاء
وبقلمى المكسور أن يجيب أحدهم ، على كتابتى التهديدية ويلقى إلى بالماء
والحب حتى لا أقضى نحبى بعد أحداث (خرداد) والثورة أخذت العلماء

يُطَيَّرُونَ كل يوم بالشرر وكان الجهاز يفهم من كل جماعة تثير الجلبة كم كان متخبطاً وأنه بالغ في مطاردة فلول الشيوعيين ولم يحسب حساباً للعدو الحقيقي الذي يقبع مستتراً في أعماق المجتمع الإيراني . سائقو التاكسيات يضربون أيضاً ولا يخشون الاعتقال والتعذيب . العسكريون أيضاً يتجراؤون بهدف إهدار كرامة الجهاز على الدفاع علناً في المحاكم العسكرية عن المعارضين الذين يعدون أنفسهم طلاباً مدافعين عن الحرية . والأسوأ من هذا كله قتل رئيس الوزراء الأتيق المستهدم قبل عدة أيام من صعود أهارى وخان على ودماوندى إلى الدرجة الأولى لسلم الترقى . وبداية قضية الحزبيين سقط جريح ياحدى طلقات المعارضين أول شهر بهمن ١٩٦٥ (١٣٤٣) كانت هذه الرصاصة فى قلب الجهاز . لقد أبلغوه هذا المنصب وكان هذا جزاء ثورته على الشيوخ الطاعنين من النواب .

ألقت المحاكم العسكرية الرماذ فى العيون وفى الباطن القبض تم على بضعة من الضباط بتهمة (الاشتراك فى مؤامرة قتل رئيس الوزراء والإعداد لثورة مسلحة والتجسس لحساب الأجانب) وأصدرت ضدهم أحكاماً بالسجن المؤبد والإعدام .

الدكتور جها نجير نفسه أسراً إلى قبل تولى رئيس الوزارة الأتيق منصبه : (الذنب ذنبنا . هذا السيد كان ربيعاً معداً لجماعة كانت تريد خداع الحضرة العليا وتولى زمام الأمور . كان الجهاز قد عينه لهذا الهدف قبل أن نتدخل نحن العسكريين أثناء سنوات دراسته فى أوروبا . أجل الذنب ذنبنا ، ليس الدرس عمل كل تيس . . . يريد الثور ذلك والرجل المتعمر - أف) .

لم يكمل كلامه . كان يريد أن يقول إن بختيار عزل ولم يستمر . ولو استمر ما رأينا هذه الأيام .

ومنذ أن عزل الحضرة العليا بختيار أخذت أسمع من هنا وهناك أن كثيراً من رؤساء السافاك أقبلوا من مناصبهم في الأقاليم وفي أوروبا وأمريكا أو خفضت درجاتهم . لكن هذا التعديل كان أمراً عادياً في نظر زملائي . إن مثل هذه المحسوبيات تطراً في كل إدارة ووزارة فلماذا لا تحدث أيضاً في الجهاز ؟ وأخذت أسمع تدريجياً أن هذا العزل والتعيين له جانب سياسي وأن شيئاً يحدث وراء الستار ليس بمقدور شخص مثلى - له خدمة بضع سنوات سابقة دون الدرجات التي لدينا - أن يتبّه إليه . كانت قلة من الناس مثل الدكتور جهانجير الذي أتى من الجيش برفقة بختيار وكان موضع سره ومخلصاً له تظهر إشارات لا يمكن لغير المحنكين أن يفهموا من خلالها أي نار تختفي تحت الرماد . خاصة وأنى أثناء دراسة ملفات الطلاب في أوروبا (أذكر أنى أصبحت بالتدريج متخصصاً في الأمور الطلابية) كنت أسمع وأقرأ أن بختيار لم يكن يجلس عاطلاً في أوروبا وآسيا وكان يدير المكائد ضد مصالح البلاد العليا . حتى أن الشائعات أخذت تنتشر أيضاً بين الطلاب التابعين للجهاز . وفي صيف (١٣٤٦) أخذت إحارة لمدة شهر واتجهت إلى سويسرا .

ذهبت في البداية إلى جنيف وقدمت نفسي إلى (مملوك) الذي يراقب حسابات ممتلكات الحضرة العليا في البنوك وفي المعارض وفي الشركات التجارية وكان رئيس السافاك في هذه المنطقة . كان يعرفني بسبب إشرافي على الشباب الثلاثة الموالين للسافاك . أدركت على الفور أن التحرى عن طلاب الاتحاد الذي كان يصل من كل موضع إلى السفير المتنقل للحضرة العليا في جميع أرجاء أوروبا كان يوضع تحت تصرفه . ولم يكذب يصل حتى أخذ يشكو : أحبائك هؤلاء ليس لهم عمل هنا غير تضييع أوقاتهم في

البطالة والكسل . لو أردنا أن نجد من هؤلاء الصبيان مائة غيرهم لأمكتنا . حملتنا كل هذه النفقات الباهظة . كان الهدف أيضا أن يدرسوا . أهاري أحدهم له حتى الآن ست سنوات وهو يدور عاطلاً . طبعاً لابد أن أقول أن هذا هو فقط من جندته . لكن هذين الآخرين إنتاجك ليسا أفضل من الأول . طبعاً يقومان بالخدمة وتحت تصرفنا معلومات كثيرة عما يجري بداخل اتحاد الطلبة والخلافات الداخلية بين المتحزبين والجهة الوطنية واليساريين غيرهم جمعها هذان السيدان . لكن آخرين يرسلون إلينا أيضا هذه المعلومات . .

ذمّ دماوندى وخان عنى : أوسعها الذم . أصابنى بالإحباط . لم أفهم هل كان يريد أن يعرف دماوندى أن كان محتفياً من كسلهم وتصرفاتهم الحمقاء . صحت عنى أن أحيط بالأمر برمته ووعدته بأن أعرك أذانهم فى أول فرصة أدرس وضعهم ثم وقفت عنى إهمالهم فى أعمالهم .

وعلى التقيض من هؤلاء منح كثيراً من يسمى (آزمايش) لذكائه ولشجاعته المفرطة وعدم تهيئه من أى شئ .

فسألت (من هو آزمايش ؟) . وتذكرت أنذاك أننى سبق أن رأيت فى طهران أثناء ضيافة الطلاب فى إيران . قلت : أليس هو من رفض الشرق وقدم إلى الغرب وكان هو نفسه . قضيت بضعة أيام فى جنيف وانتقلت منها إلى باريس واستدعيت خان على فى فندق (برزیدان) فهم حديثاً فقط أنه صار سافاكيا وأنه يقوم بأحكام نظام الشاه كان متحمساً جداً وكان يؤكد بنفسه على أنه حزبي للنخاع وأنه المدافع الدائم عن لانتحتهم ولكن ليس إلى حد أن يغضب الجبهة الوطنية والأحزاب الأخرى منه . وكانت المعلومات التى زودنى بها عن اتحاد الطلاب هامة . من بينها أن أعداد

الفتيات في زيادة مستمرة وأنهن يُجْتَذَبْنَ بسهولة بدافع وقوعهن في حب الطلاب في نفس أعمارهن حديثه نحو الحرية التي نلّنها بسبب ابتعادهن عن محيط أسرهن ، تستوى هذه الحرية في المجال السياسي أو من ناحية وضع حياتهن . فكثيراً ما حدث أن كان الفتيان والفتيات يشتركون في نفس المسكن والمخدع . وتعد بضعة من هذه الفتيات الآن من بين النشاطات في الاتحاد حتى أنهن أنفسهن يتولين المهام . وأهم نقطة في تقريره كان ذكره اسم فتاة تدعى (ملكة) ظهرت وسط الطلاب من ستة أشهر ويقال إنها أتت من فلسطين وأتجه فكرى إلى رقية على الفور . مصيبة ألا تكون في إيران أصلاً وتعيش في فلسطين . أعملت فكرى مدققاً .

من أين تعلم ؟ انظر إلى صورتها . سألت عن لون وجه الفلسطينية وعينها . ماذا يحدث في فلسطين ؟ ماذا يفعل يساريو إيران في فلسطين ؟

تذكرت كافة ما سمعت واستتجبت من أن كل الساخطين لاجئون بفلسطين وكيفوا أنفسهم على حياة العسكرية في ظل ظروف قاسية يتدربون فيها على أساليب الحرب الأهلية ويتقلون بين البلاد العربية والإسلامية مُتَرَبِّين وخبراء . ولو صدق رأى خان على وهو أن أحد الشباب القشقائيين هجر الدراسة والتحصيل وذهب إلى (ممسنى) ليقوم من هذا البلد بحرب عصابات فقد صدق تأثير هذه الفتاة الفلسطينية . طبعاً لم يخل كلام خان على من المبالغة . تحريت أكثر ووصلت إلى هذه النتيجة وهي أن الفتاة الفلسطينية أمها إيرانية وأبوها عربى فلسطينى أوفدت إلى أوروبا للدراسة في مجال الطب وأنها لاتدرى شيئاً عن الحرب الأهلية . لكن هذه الفلسطينية أقلقني بالى . ولم أتحرك الأمر من مناقشاتي مع خان على أكثر من هذا الحد . وإنما اكتفيت بأن أكلفه بلغة الرئيس إلى مرؤوسه بأن يسلمنى بعد أسبوعين

تقريراً مفصلاً عن دراسته في مجال الفيزياء . اندلش قليلاً لكن لهجتى
الأمرة لم تترك له مجالاً للاعتراض .

أنا مسافر وحين أعود بعد أسبوعين عليك أن تذكر لى بدقة أى شهادات
أخذتها خلال هذه السنوات الأربع التى تعرفت فيها عليك . هذا التقرير
مهم جداً للاستفادة من وجودك بإيران .

قلت له هذا وتركته ولم أئين له أننى مسافر إلى ميونيخ لكى أبحث هذه
المشكلة مع صديقه القديم . كان دماوندى هذا من الدهاة الكثيرة الدهاء
والمكر ، وقحاً بلاحياء أو خجل . كان يطير من غصن لآخر كالنحلة ،
يلسع كل زهرة ويمتصها . فى هذه السنوات الأربع من وقت أن كان
يتقاضى أجراً من الجهار لم يكن يطيق المكوث فى مدينة بعينها . كان فى
باريس فى البداية ويريد دراسة الحقوق . منذ ثلاثين عاماً كان جميع
الطامحين يودون دخول سلك القضاء وكانوا يتصورون أنهم يلتحقون فى
البداية بسلك القضاء بدراسة القانون ثم يتقلون منه إلى وزارة الخارجية ثم
ينفتح عليهم بعد ذلك طريق الارتقاء وبلوغ المناصب العليا . لكن باريس
لم ترق له فسافر إلى ليون . هناك أثر دراسة الأدب الفرنسى فرأى أن لغته
الفرنسية لا تصل به درجة أن يحوز على درجة علمية فى الأدب . والأمر
لا يختلف كثيراً عند الجهار فحيثما وجد الطلاب الإيرانيون كان لأمثال
دماوندى وخان على من قبله مهمات . فلعب إلى (جراتر) بالنمسا
ليقضى شهراً هو إجازته السنوية . كان وميماً بعينه وحاجبيه السوداوين
وشعره المجعد وتمكن من الإيقاع بفتاة وحملت منه . وبناء على إصرار
والدها الذى كان يسبح بحمد الشاه تزوج بهذه الفتاة فعاد إلى الاستقرار
ورافق زوجته إلى ميونيخ لكى يدرس العمارة بمدرسة خاصة كانت تساهل

فى منح الشهادات ويعود إلى إيران بلقب مهندس . طلق زوجته وترك ابنه عند والدته وظل هو فى النمسا .

أردت أن أقسو عليه فرأيت أن نارى المتوهجة لا تؤثر على خطبه الطرى . اندهشت فى البداية رأيت أن هذا الولد التافه الذى كان يعارك زميله من أجل جهاز مبه وأنا الذى أتيت به من الحوارى رأيت يقارعنى الحجة بالحجة ويناطحنى . كان يتفاخر بأن أباء من المقربين للمشاى ويمكنه أن يتزل أشد العقاب بأى نذل . لم يطل الوقت حتى أدركت أن مهتم بأمور أخرى ولا يهتم بتهديدى ووعدى أدنى اهتمام . لم يكن فى الأصل يعد ضروريا أن يسلمنى تقريراً عن نشاطه . كان يقول ويفهمنى بالإشارة والتلميح بأن ذوى رتب أعلى منى يحبطون بما يفعل ولا يعد لازماً أن يترك تحت تصرفى - وأنا فى جازة - تقريره البالغ السرية .

فأتحت (مملوك) فى الموضوع فرأيت هو الآخر يظهر عترياته . ثم يصل بى هذا الطريق إلى هدفى . وبمكالمة تليفونية مع الدكتور جهالنجير نصبت نفسى مفتشاً لوزارة التعليم ، وأدركت فى مكتب السفير المتنقل الشاهنشاهى والذى يبحث جوازات سفر الطلاب أن بعضهم له اتصال وأعمال مع الفريق بختيار الذى كان يقطن إذ ذاك فى جنيف ، فأعددت تقريراً مفصلاً عن نشاطاته .

عدت إلى طهران وبدون أن أذكر شيئاً للدكتور بيجن وجهالنجير اتجهت إلى نائب الرئيس العام وقدمت التقرير المفصل لنشاط الجماعة المشايعة بختيار خاصة من هم من الطلاب وأظهرت كيف أن دعاياته السياسية تتحول إلى صراع مسلح بالتدرج فى أوروبا وقمت بتلميح قليل لما حصلت عليه من خان على وأهارى وغيرهما عن مسؤولية أتباعه عن القيام بتفجير القنصلية الإيرانية فى ميونيخ وبينت أننى حلت دون تفجير قنبلة كانت على

وشك تدمير مبنى المركز الثقافى فى باريس وكان النائب أثناء حوارہ معى يتصفح تقريرى ويستفسر منى عن آخر درجات دراستى وأخذ يشجعنى على إنهاى للدرجة الدكتوراة . الخلاصة أننى استوليت على لبه وزادت أكثر ثانية مكانتى واحترامى على مكانة عرفاء الجيش هؤلاء وعلى احترامهم ومعلوماتهم وذكائهم وخدماتهم . وكانت أولى نتائج ما حصلت عليه أن (مملوك) صار مغضوباً عليه ولم يعد إلى إيران من بعدها ورحل إلى أمريكا ومعه مدخرات وفيرة من العملة الصعبة . ولما أتى أطلعت على أسلوب عمله وهو نفسه يعلم ما فعلته من حيل بها كشفت عن كل دخائله لذلك فقد أصبح من أولئك الذين يلزمهم أن يلهثونى فقررنا أن يودع شهرياً مبلغاً من المال فى حسابى فى بنك فى سويسرا . والحق لا بد من الاعتراف أنه نفذ هذا التكليف بإخلاص حتى وقتنا هذا . وكان من ضمن الامتيازات التى حصلت عليها بعد مقابلتى للنائب أنه سمح لى بأن يوضع تحت تصرفى البحث فى الملفات البالغة أقصى درجات السرية بمكتب الرئيس العام ، كان من صلاحيتى أن أبحث فى كل ملف بموافقة نائب الجهاز وأن أتخذ القرار فيه وأقدمه بعد أخذ رأى النائب . حتى ملفى أنا وأختى رقية كانا تحت تصرفى . لا بد أن أذكر أنه لسوء الحظ لم يكن شئ يستلفت النظر فى ملف أختى غير ما أطلعتهم عليه أنا نفسى . حين سمح لى بتحرى ملفات الضباط كان قد مضى على دخولى الجهاز سبع سنوات وبضعة شهور . ولم يكن مثل هذا الإذن يمنح لأى شخص . كان عمري وقتها اثنتين وثلاثين سنة . لكن لنجاحى العظيم فى أحداث الجامعة وتقريرى عن نشاط بختيار وضعنى موضعاً آثار على حسد بعضهم وحقدهم وفى نفس الوقت جعلنى موضع ثقة رؤساء الجهاز . كان الجهاز مركز القوة فى سائر البلاد فى عهد رئاسة بختيار . يقال إن أحكامه كانت أكثر نفاذاً من قرارات الحضرة العليا نفسها . كانت جميع إدارات الدولة والوزارات والشركات

التجارية والبنوك تحت أمره . كان يكفي أن واحداً مثلى يتفوه بكلمة عن أن المدير العام الفلانى من المعارضين فلا يمر وقت طويل حتى يصير أكل عيشه نهباً للضياع وكان عدد من يماثلنى كثيراً . كان بالجهاز خمسون ألف عضو فى قول وإذا تحريت الدقة فقول شيخك الذى كان يزعم أنه سمع هذا العدد من الإذاعات الأجنبية . لكن هذا محض افتراء . لأن الحضرة العليا نفسها تفضل ذكر أن الجهاز يضم ألفى عضو . وذكر السيد رئيس الوزراء أن عددهم ألف وخمسمائة موظف وكان يقصد بهم الموظفين الرسميين بالجهاز ، لكن عدد الجواسيس لاشك كان يفوق هذا العدد كثيراً ، أنا نفسى حين كنت فى لندن كان لدى على الأقل ثلاثمائة من الجواسيس وسط الطلاب والأساتذة الذين كانوا يأتون إلى أوروبا للدراسة وكان كثير من الجواسيس يعملون فى البنوك وشركات الطيران وشركة (إيران تورز) السياحية وتليفزيون إيران والشركات وغيرهم من المتسكعين الذين كانوا يتظاهرون بأنهم تجار . كان مكتب السفير المتقل فى جنيف يضم على الأقل ألف جاسوس فى آخر عهده .

قرأت فى ملفات الضباط أن المنحرفين والشيوعيين كانوا يروجون أن رئيس الجهاز شيد لنفسه منزلاً يقدر بمليون دولار وأنه جمع أموالاً ضخمة فى ظرف بضعة أعوام واشترى الأملاك فى كل ضواحي إيران وله بيوت فى جنيف وكاليفورنيا . وفى إحدى الحفلات الخاصة تحدثت فى هذا الموضوع فى جلسة خاصة مع الدكتور جهالنجير فقال : كل هذا من أكاذيب أعداء إيران . وإن كان صدقاً فهذا من حقه . عليه أن يدير بلداً فى اتساع إيران . كل منا له نصيب فى هذا البلد . مسؤولية رئيسنا فرح من الجميع . بغلطة واحدة ينقلب . إذن فلا بد أن يكون أجره أضخم .

تذكرت حديثاً جرى منى فى أحد الأيام مع رقية فى حضور الملازم فرزان الذى تولى رئاسة قسم شرطة فقد احترمت الجدال بين رقية وفرزان . كان الحديث حول الحكومة الجديدة التى كانت تريد القيام بالإصلاحات تمنع

الفساد والارتشاء وكانت أعلنت مرة أن الاغنياء عليهم أن يعطوا الفقراء عُشْرَ ثرواتهم وإلا فلن تنصلح الأحوال . تولى رئيس الوزراء هذا فى أوائل عام (١٣٤١) ولم يطل به الأمر حتى حلّ المجلس النيابى وكان أغلب نوابه من الملاك الكبار حتى لا يحولوا حسب رأيه دون الإصلاحات فى البلاد فمن الطبيعى أن يعارض هؤلاء الملاك الحكومة الجديدة ويروجوا الإشاعات بأن الأمريكين يضغطون على الحضرة العنيا الهيمانيونية ويدافعون عنه .

وتقدم وزير بنفس تلك الوزارة خطوة وقال : إذا فشلنا فى تنفيذ الإصلاحات سلمياً فلسوف تنفجر فى المستقبل البلاد برمتها . وظهرت بعد ذلك من نفس هذه الأقاويل نفسها (الثورة البيضاء) . كانت رقية تهزأ بالإصلاحات وتقول : إنهم يستغلون الشعب جيداً . هل أفاد أحد بشئ هؤلاء الإقطاعيون حتى يومنا هذا حتى يفيدوه بشئ الآن ؟ .

كان فرزان أكثر حذراً . وهكذا استتجت أنه متفائل خيراً برئيس المنظمة وكان يؤمن بأنه لو أُنيطت به كل الأمور ، لكان من المؤكد أن تيسر الإصلاحات .

كنت أشجع مثل هذه المناقشات حيثما كنت أستطيع . طبعاً لم أكن أقصد التجسس على أسرته كنت أعتقد بضرورة جس نبض الشعب والوقوف على آرائهم . وكان فرزان بدوره لا يتحاشى الإدلاء بآرائه مع أنه كان يعرف قليلاً أو كثيراً بعمله وشغله خاصة أن كلاماً فى نفس تلك الليلة تفوهت به أمى كان كبير المغزى لى . قالت : - فرزان هذا رجل طيب . عيبه أنه يحب بختيار ويتابعه بحرارة حتى أنه يتحدث فى السياسة فى بيتنا فسألته : كيف يا أمى ؟ .

قالت : - أنه لا يحب قط الشاء . يود أن يكون بختيار كل شئ .

غصت فى التفكير . كان الحديث يجرى كذلك عن الجمهورية .

من خلال ملفات الضباط والتحقيقات والاستجوابات معهم .

حقا كان بختيار فى ذاك الوقت لامعاً جداً على صفحات الجرائد وكانت صورته فى كل مكان وتفصيلات الأحاديث عنه من أنه سافر إلى أمريكا والتقى بكنيدى وكان يذكر هنا وهناك فى كل وقت رئيس الجهاز ، وكان موضوع الإصلاح الزراعى بدوره يطرح للحوار . ونتيجة هذه التقارير أعفى بضعة من الضباط الكبار والمديرين العموميين فى الوزارات وفى الجيش من مناصبهم . وأقيل وكيلا وزارة وبضعة سفراء فى أوروبا وأمريكا وحل محلهم ضباط أهل ثقة من قبل الحضرة العليا . بشرط واحد هو أن سائر أصحاب المناصب العسكرية من رئيس الأركان العامة حتى صغار القادة فى المحافظات ورؤساء أقسام الشرطة بسائر البلاد كانوا أصغر من عمر الشاه بسنة أو اثنتين . حتى فرزان استقال من منصبه لأنه اتهم بالتعاون مع بختيار . لم أره مدة فى منزلنا أو وسط أصدقاء رقية إلى أن سمعت يوماً أنه يفكر فى السفر إلى أوروبا . لم أسأل أحداً من أين جمع الثروة التى تمكنه من السفارة إلى أوروبا . كان الجميع يخشى تيمور بختيار . يقال إن علاقاته بالقبائل البختيارية تمكنه من إثارة القلاقل . قرأت فى الملفات أن بختيار سافر إلى أمريكا والتقى مرة ثانية وكنيدى . وصلت تقارير مفصلة عن هذا الموضوع من الاستخبارات الأمريكية . صدرت الأوامر للسفير الإيرانى بأمريكا بأن يتحرى مساعى بختيار واتصالاته مع موظفى جهاز الاستخبارات الأمريكى . لم أجد فى الملفات ما يدعى بالانتباه . كانوا كمن يتحسس طريقه فى الظلام . ثم يكر بالملفات ما يروى الغليل . لم تطل إقامته كثيراً فى أمريكا . سرعان ما شوهد فى منزله فى فلوريسان .

من نصوص المقالات التى كانت تنشر عن بختيار فى أوروبا وأمريكا وسجلت فى ملف واحد بلغ عدة آلاف من الصفحات كان يظهر بدقة أن الصحفيين كانوا يتعقبونه فى كل مكان . كان جمع غفير من الإيرانيين يترددون عليه فى منزله . كان الطلاب يأتون لزيارته أفواجا من ألمانيا

وبريطانيا وفرنسا . حتى الصحف المعارضة لإيران في أوروبا والتي تصدرها الأحزاب والتجمعات المختلفة كانت تورد أحيانا أخبارا عنه . ذكرت إحدى الصحف أنه يحاول الاتصال بالروس أيضا .

ذكرت صحيفة إنجليزية أن رحلة الحضرة العليا لأمريكا بعد سقوط بختيار كانت بهدف التأكد من أن كنيدي والمخابرات الأمريكية لا يؤيدان مساعيه . وافق المسؤولون الأمريكيون بشرط أن تقوم الحضرة العليا الهمايونية بالإصلاحات حتى رئيس الوزراء نفسه إذ ذاك الذي ابتكر الإصلاحات كان يود السفر الى أمريكا ويتولى بنفسه رمام الأمور لكنه لم يتجراً على ذلك فأرسل أخاه الذي نجح في الإيفاء بمسئوليته . والحضرة العليا الهمايونية نفسها أعلن في خطبة له أن بختيار ومعه الملاك الكبار ورجال الدين يعارضون الإصلاح الزراعى وأن قتل أحد موظفى الإصلاح الزراعى فى فارس كان نتيجة مؤامرة من مؤامرات بختيار . كان نفوذه إلى هذا الحد يصل أبعد بلاد إيران .

وكان يبدو لناظر بعد سنتين أو ثلاث أن بختيار ركن إلى الهدوء ولم يعد يقوم بنشاط سياسى لكن هذا الهدوء كان فى الظاهر . كانت الأحداث السياسية تبرز أن آثاره واضحة فى سائر أعمال التخريب . كانت الأخبار فى هاتيك السنوات تعمل عنه من بغداد وبيروت حينا ومن جنيف حينا آخر . فقد وصلت منه رسالة إلى أحد أقاربه ويسمى (سردار) أثارت الجلبة والضوضاء . فسلم هذا البختيارى من فزعه الرسالة إلى الجهاز فطلب منه أن يستمر فى مراسلة بختيار لكن هذا الرجل كان جباناً وكان يعد فى كل مرة ويتملص . وفى النهاية لم ينصع للأمر . فاستعان الجهاز بأصدقاء زوجته وأقاربها . كان من المعلوم أنه أكثر حكمة من أن يخدع .

بعد اغتيال الوزير الأتقي تين من التحقيق مع المقرين إلى القاتل أن أحد المتهمين قدم من بغداد وتلاقى في جنيف مع بختيار . وبعد شهرين ونصف الشهر أطلق النار أحد الأشخاص في فناء القصر على الحضرة العليا الهمايونية أثناء همة بركوب السيارة فقتل اثنين من الحراس واختفى بالقصر . ثم أطلق من مكمنه رصاصة على الحجرة التي كان الحضرة العليا الهمايونية مختبئاً بها لكن جسده المقدس لم يصب بضرر . واعتقل ستة من أصدقاء القاتل . ومعارفه كانوا متهمين بالشيوعية ويدرسون في بريطانيا أو كانوا قد درسوا فيها . وداخل الأوراق التي وجدوها في جيوبهم ومنازلهم عنوان بختيار في جنيف . وفي رحلة الحضرة العليا إلى برلين الغربية قام الطلاب الإيرانيون بالمظاهرات وسدوا الطرق . فنشر أعداء إيران في برلين أخباراً حول أن موظفي الجهاز هاجموا الطلاب بالهراوات وكان هذا الخبر كاذباً بلا شك . فالعاملون بالجهاز لا يسلكون مطلقاً مثل هذه الأفعال الهمجية وفي الصدام مع الشرطة قتل طالب ألماني معاد لإيران .

والآن فإن كل هم الجهاز موقوف على البحث والتقصي ومقاومة أعداء إيران والطلاب المنحرفين في أوروبا .

كانت التقارير في تلك الأيام تصل من سائر العواصم الأوروبية عن بختيار واتصالاته بالطلاب والمعارضين . كان الجهاز يفكر في تعضيد قواه في الخارج . لم يكن يكفي ممثل له باسم السكرتير الثاني ومستشار واحد في عواصم أوروبا كان يتوجب إعداد كوادر جديدة لمكافحة أعداء الوطن . قال لي الدكتور جهانبجير في تلك الأيام : هل تريد أن تقوم برحلة إلى أوروبا ؟ أوروبا لم اكن أعرف كيف أجيبه . كان هذا الاقتراح مباغتاً لي وكان الموقف سيئاً وكانت امرأتى حديثة الوفاة وكان ولدائى يعلمان الرعاية . لم يكن بمقدور أمي في منزلها الحقيير أن ترعاهما . قررت أن أرسل ولدي

إلى جدهما لأنهما فى (نَظَرًا) . كنا ننتظر قدوم جدهما واصطحابه لهما .
وكان قدومه يتأجل من أسبوع إلى أسبوع . انتابتنى الحيرة ، لم تكن
مهمتى معلومة . لو قلت (نعم موافق) كان يمكنه أن يظن بى أننى أريد
أن أتركه وأسلك طريقى بدونه . سأله : معى أسرته ؟ .

- تعليم الكادر خارج البلاد يدوم بضعة أشهر ، ثم إنها من الممكن أن
تكون بضعة أشهر فحسب ولا نعرف فضلاً عن ذلك أن بإمكانك البقاء فى
مدينة واحدة والاستقرار فيها . ربما تكون مضطراً لأن تتقل من مدينة إلى
أخرى .

فاتحت أمى وحماتى بالموضوع ولم يكونا يعرفان هل هما سعيدتان
ومسرورتان أم متألمتان . وفى نفس هذه الليلة اتصلت تليفونياً بنا أختى التى
بلغت بها الجراحة يومذاك ولم تكن تأتى المنزل للىال متعاقبة وكانت تعترف
بلا تحفظ إنها تجهز مع أصدقائها بوتيكاً مستقلاً فى السوق وتريد مثل أخيها
أن تنخرط فى التجارة . وأفضت بخبر نبهتنى به إلى أى مدى بوغت لم ير
فرزان فى تلك الناحية من أسبوعين . ليس فى داره . اختفى تماماً وفجأة .
ولما دقت الفكر رأيت أن هذين الأسبوعين من بينهما هذا اليوم الذى
وصلنى فيه خبر عن بخيار من بغداد .

بحثت فى الغد عن شيخك . هل كان يمكن الفوز به بهذه السهولة ؟
انقضى يومان أو ثلاثة . لم أرد إطالة الحديث بالتليفون . سأله وحسب :
هل لديك خبر لديك عن فرزان ؟ .

كان شيخك هذا من الطراز الأول فى المكر والخديعة ، أجببنى : من
فرزان هذا ؟ أنا لم أسمع قط باسم كهذا ، لكننى أحب كثيراً أن أراك .

اتفقنا على اللقاء . فى نفس تلك الغرفة من منزلى التى كنت قدمت له
فيها الكونياك وقبل أن يصل فتحت النيش وصيبت له ولى كأساً من العرق المعتق

- هات ما عندك من الأخبار
- الأخبار سيئة . قبل أن تعيد الاتصال بى كنت أجد فى الاتصال بك .
أختك رقيه هذه تتحرك كثيرا . ماذا تفعل ؟ .
- ماذا تفعل ؟ تريد إقامة بوتيك بمساعدة بعض من أصدقائها وتوسع
من أعمالها .
- أنت ساذج جداً يا عزيزى ، أى بوتيك هذا ؟ .
- وضع كلامك . هل بلغت بك الجرأة أن تسب أختى . لأحطمن
وجهك .
- لا ، لا تسيء فهمى . ليس كلامى عن تلك الأمور . أختك هذه
ليست أصلاً من أهل هذه الأشياء مطلقاً . فهى من حين طلاقها من زوجها
كرهت الجميع أبرارهم وأشرارهم حد أنها تسع ألفاً منهم ببصقه واحدة
- إذن ما الأمر ؟ .
- ليس عندى ما أقوله وأنت أستاذ . أنجدها . تجسس على من حولها
. إنها مختلطة بأناس غير جديرين بالمعرفة . لا أجد فى نفسى ميلاً
كبيراً إليهم .
- من هم ؟ .
- لو كنت أعلم لقلت لك عنهم . أنا معترف لك بالفضل . لا أنسى
مودتك التى أحطنتى بها فى أشد أيام عمرى ضنكاً . إنهم يضمرون شراً
كبيراً . مستعدون لارتكاب كل فعل . أصبت بقلق شديد . قلت لنفسى :
الماء فى كورنا ونطوف عطشى . الحبيب فى منزلنا ونحن نبحث عنه فى
أرجاء العالم . أنا اتعقب أعداء الحضرة العليا لأفنيهم وأسلمهم للعدالة ،
وإذا ذاك يدور خلفى أشياء خفية لا يمكن للمرء تصورها .

كنت فى غاية الانشغال ، لم يكن لدى وقت لأهرش رأسى . لكن فى ليلة حين تيقنت من غيبة رقية عن الدار غافلت أمى ودخلت غرفة أختى وأفرغت دولاب ملابسها وقلبت خزانة كتبها رأساً على عقب . كانت لدى خبرة سابقة عن أن الخزيين يضللون الشباب فى البداية بالكتب والأوراق ثم يغسلون أمخاخهم ويفسدونهم . كانت عيناى على وشك الخروج من محجريهما فقد وجدت رسائل ومنشورات سرية على نفس وتيرة مانجده فى ملفات المسحرفين : (طريقة حرب العصابات فى كوبا) (الكفاح المسلح هو طريق الإنقاذ الوحيد) ، هل يوجد الحل السلمى ؟) ، (الكفاح المسلح ورفض نظرية البقاء) ، (ميليشيا المدينة) ، (الكفاح المسلح كاستراتيجية وتكتيك) ومئات من الأوراق الضارة التى يقضى وجود كل واحدة منها عند شخص مشكوك فى أمره الحبس بضعة أعوام على الأقل . ثم دخلت الخجرة وسألت نفسى : ماذا أفعل ؟ هل أواجه أختى ؟ أجدب بشدة ضميرتيها وأقتلعهما ؟ ماذا أقول لأمى ؟ ماذا ستقول لى عائلة نطنزى ؟ أخذت أذرع داخل الخجرة ذهاباً وإياباً لدرجة أن أمى حين فتحت بابها ورأت الأثاث المتناثر والأوراق الملقاة على الأرض لم أرها من فرط ذهولى .

- ماذا تفعل ؟ لماذا تبشر حاجيات رقية ؟ .

- سألتها : ألا تدرين أى فضيحة فى طريقها إلينا ؟ أى مصيبة توشك أن تقع على رؤوسنا ؟ تفوهت بهذه الكلمات غير واع .

أى جدوى من إقلاق أمى ؟ تمالكت نفسى على الفور وقلت : ليس من شئ . رايت فأراً تخلل حاجياتها . أردت الإمساك به . لا تخشى شيئاً سوف أجمعها الآن . لا تقولى شيئاً لرقية .

ولم تصدقنى أمى .

- لا . هناك شىء . أنا لست بهذا القدر من الغباء الذى تظننى به أنا
أيضا برأسى أفكار لماذا تخفيان كلاكما عنى حقيقة أعمالكما . نجبية هائم
لديها شكوك أيضا .

وكان اسم حماتى نجبية .

- ماذا لديها ؟ .

- نفس هذا الشك وهو أنكما تؤديان أعمالاً لا نفهمها . نجبية هائم
تقول إن بداخل جيبها نقوداً كثيرة على الدوام ، لكنها لا تجيبنى حين
أسألها : أى بضائع تبيعنها وتشترينها ونحن لا نراها . وفوق هذا فأنا
المنكوبة كم أسمع من سخافات . جيرانى والمحيطون بى يسبون فى
حضورى بالإشارة والكناية السافاك وأنا لا أستطيع التحمل . هل كان
زوجى أو ابنى واحداً من السافاك ؟ .

ظلت والدتى طوال الساعتين اللتين أمضيتهما بمنزلها تهمهم هكذا
غاضبة بأن : رقية هى الأخرى أصبحت مثلك الآن . كلا كما تخفيان
أموركما عنى ثم قسبت بجوار المدفأة بركن الغرفة سبّحت بمسبحتها
وانخرطت فى الدعاء وأخذت تنفث وتنفخ وتتعلل وتشتكى .

رجعتُ من فرط القلق إلى منزلى . لم أكن أدري ما أفعله . هل أبلغ !
هل أزعج يدي أختى داخل ورطة ؟ هل يصح التستر على موضوع بهذه
الأهمية . تظاهرت بالمرض واتصلت تليفونيا بالدكتور جهانجير لأخبره بسوء
حالى ومرضى وأنى من البارحة حتى الآن وأنا دائم القىء ولا أستطيع حتى
زيارة الطبيب .

أقفلت باب الحجرة واستلقيت على كرسى وشربت كأساً أو اثنتين من العرق . كان مواء قطرة ابن الجيران يزعجنى . تمددت على السرير . لم يسعفتنى نوم . لم يطاوعنى قلبى أن أجلس مكتوف اليدين . كانت حياتى متعلقة بحلّ كان علىّ أن أجده . هل أبلغ عن أختى أم أسكت . لم أدع حماتى نجيةً تدخل إلى رغم محاولاتها . أتت بابنى ذى العمامين وانصف والذى أحبه كثيراً لألاعبه ويرتاح بالى فلم يؤثر فى ذلك . كان كل ما يتلعبنى هو تفكيرى فى الرد على هذا السؤال : هل أبلغ عن أختى أم أتستر عليها ؟ ماذا ستقول أمى ؟ إذا أتوا فى نفس هذه الليلة وقبضوا عليها فكيف أواجه أمى وحماتى ؟ هل يمكن إخفاء شيء عن الجهاز ؟ منذ أن أدرك هذا الملهل الشباب ، شيخك أن رقية تمارس أعمالاً فدائية فلا بد أن غيره يدركون أيضاً ما تورطت فيه ، خاصة وأن الفتنة كانت ناشبة فى سائر البلاد . ثم أتحمّل البقاء بالبيت فى مثل هذه الأوضاع ولا الذهاب إلى مقر عمى وأفكر فى رقية . أتت حماتى من كاشان بأخبار عن هتافات بضعة من المشايخ والطلبة داخل المساجد واعتراضهم على قوانين الإصلاح الزراعى . كانوا يهتفون بأن الحكومة تريد اغتصاب أموال المسلمين وأن (الناس يسطون على أموالكم وأنفسكم) وإذا لم تقبض الشرطة عليهم جميعاً لانتهى الأمر إلى الثورة والعصيان . وفى طهران كان السافاك قد ألقي القبض على أحد الملاك البارزين وأبدى بعض رجال الدين اعتراضهم على إقدام الحكومة على الاستيلاء على أراضى الملاك ولم يكن لدى الجهاز نية فى القبض عليهم ورميهم فى السجن . وكانت الأخبار تتوالى من المدن الأخرى عن نشوب ثورات أقل حجماً وأخذ يبدو للعيان إذ ذاك مبلغ تأثير السافاك فى إقرار النظام والأمن العام .

كيف يتأتى لى البقاء فى منزلى وتمنعنى حماقة بنت من الواجب الأساسى الذى أحمله على كاهلى ؟

تصدع رأسى بسبب شدة تركيزى فابتلعت قرصاً من الأسبرين ونمت .
واستيقظت فى الفجر . نفذ صبرى . غسلت وجهى ، وارتديت ملابسى .
وقبل أن اتجه إلى إدارة الجهاز تسللت إلى داخل منزل والدتى لكى أجمع
وأرتب محتويات حجرة رقية ولم تكد الشمس تشرق حتى رأيت أمى على
باب الحارة فسألتها .

- ماذا تفعلين هنا ؟ .

قالت : صبح النوم .

سألتها : ما حدث ؟ .

قالت : رقية رحلت وقالت إنها لن تأتى إلى البيت مرة ثانية .

- لآ سبب ؟ .

- من أين لى أن أعرف ؟ أنتما لا تبوحان لى بشىء . أنا غريبة عنكما .

تقومان بأعمال على أن أتحمل أنا المنكوبة مصائبها هذا ما آخذ منكما
أنت رقية البارحة إلى البيت ولما رأيت أن أغراضها ليست فى مكانها جمعت
حاجياتها داخل حقيبة وقالت : لن أبقى دقيقة واحدة يا أمى بهذا البيت . لا
تسألنى أحداً عن مكانى . كلكم من الظالمين . فسألتها : إلى أين تذهين ؟
فأجابت : أنا نفسى لا أعرف ، لكنى لن أبقى فى هذا البيت .

لم يبقَ لدى مناصر بعد ذلك . كان من الواجب أن أراعى التسلسل
الوظيفى وأفاتح الدكتور بيجن فى الموضوع ، لكنه كان ضعيفاً عاجزاً يفرق
فى شبر ماء ويشير فضيحة وضجة فلم أعرض اهتماماً ، واختليت بالدكتور
جهانجير وقصصت عليه الحادثة بالتفصيل وسألته ما العمل ؟ . لم يكن
الموضوع جديداً على الدكتور جهانجير كموضوع أى مشتبه فيه آخر .

- فى النهاية سنعرف أين ذهبت وسوف نجدها فلا تقلق . اكتب تقريراً عنها ودعنى أفكر وأرى ما يجب عمله . تفضل وقم بعملك . مشكلة بختيار غير قابلة للانتهاء . الملاك يقومون بثورة . ألا تعلم ماذا حدث فى قم ؟

لم يكن أمامى حل غير أن أعالج الأمر بنفسى . فمن الممكن أن يكون الباعث لدى الدكتور جهانجير إلى طمأنتى أن تسوى أموره هو أما أن تسقط أختى فى المخاطر أو أسقط أنا فهذا أمر يستوى لديه . ثم ان ما علمتنى إياه التجارب هو ألا أقنع بمجرد الوعود على المرء أن يحيا حياته . قلت لنفسى : أحاول أولاً أن أجد رقية وأجندها لصالح الجهاز وأستشير نائب الجهاز نفسه . فإذا لم أستطع فلا يجب أن تضيع حياتى هدرًا بسبب أعمالها الحمقاء . سوف أفعل كل ما بوسعى فإن فشلت فليس التقصير منى ورنّ فى أذنى كلام شيخك : لا تربط نفسك بأصحاب المناصب العليا بالجهاز وارتنقى بنفسك . لا يجب أن تفصم بنت غبية جاهله حبلى حياتى أو أن تجذبه إلى حيثما أحببت . لم أعه أنظاير بعدم الاكتراث . وداومت على شرب العرق بالمشارب ليلاً فوصلت شيئاً فشيئاً إلى هذه النتيجة وهى أن هذا السيد الدكتور المزيف رجل غبى لا تتأتى منه فائدة كمن أمسك بذيل بقرة وسعد به أو هو مجرد خروف يروح ويجىء بمنطق القطيع . فهل الحقه بالجهاز من أرحل رقية والآن أتركه من اجل الدكتور جهانجير . كلا ، لا يجب أن تقف رقية حائلاً دون تقدمى . إننى دائب السعى إلى الارتباط بهذا الجزء من الجهاز الذى يتعهد تعقب المهام التى أشار إليها شيخك .

وفى مجالس شرب العرق الليلية أشرت إلى الدكتور جهانجير لأدرب الكوادر بالخارج وسألته (لا أجد بأساً فى أن أنهى دورة التدريب على التحقيق) فكر قليلاً وثبت نظره على عينى وابتسم ابتسامة تمتلىء بالمعانى

حتى أنها أفزعتنى قال (يارو) كأنك تلعب على الوتر الحساس بسبب مشكلة أختك ؟) فقلت : لا والله ، وقسمًا بالله ، لكنك تعرف أن بحث الملفات وحده لا يضيف شيئاً إلى معلوماتى . وما أحبه هو أن أنال عملاً فى الأقسام الأخرى . وفى نهاية الأمر أنا عندى ليسانس الحقوق . وليس هذا بسبب أختى . قلت لى اطمئن بالآ فحذفتها من دائرة اهتمامى . كل واحد معلق من عرقوبه وبعد مرات من الحديث مع الدكتور جهانجير فى شارب انعرق الليلية فهمت أننى لن أجد فائدة من هذا العريف أول ولا من زملائه الضعفاء . جلست وفكرت وحكمت ضميرى . كنت أتلصص وسيلة أصل بها بأى شكل أبى السيد الفريق نائب الجهاز . لماذا أصل إلى هذا الحقيق ؟ لأسباب عدة . أولها أنه كان من آند خصوم بختيار وكان عنى يقين من أنه لن يحقق هدفه وهو تولي الرئاسة العامة للجهاز ما بقى بختيار حياً يراقب وثائى الأسباب . لا يزال شاباً ونى شرح الشباب ولا يعسم غير الله كم ارتكب من تزوير وعش حتى تمكن من الارتقاء إلى منصبه هذا مع صغر سنه والأهم من ذلك أنه كان رجلاً شهوانياً لم يكن يوم استطاعته ترك أى امرأة جميلة . ركن النساء الحسنات الجميلات انلأتى نى يعمن فى الجهاز لم يصلن إلى هذا الجهاز بدون أن يقنر بهن . كنت قد سمعت أن بنفسى هذا من امرأة فاتنة شاركتنى يوماً القياء بمهمة . قالت (كانت عيناه تحمران ويصعد من دماغه اندخان ويرغى يزيد ويتلع الفريسة كالمجنون) . كان الاعتداء على الفتيات الأسيرات لدى الجهاز لا يتم إلا بموافقة السيد الفريق وفى حضوره . كانت مشاهدة الاعتداء عليهن يمثل لديه نصف اللذة . وبدلاً من أن أفصح للدكتورين الزميلين كتبت سرّاً رسالة إلى هذا الصياد العديم الحياء والذى لا بد من أن يكون صيداً لى . فى هذا الوقت كان سائر اهتمام الجهاز ووزارة الخارجية والبلاط والحضرة العليا الشاهنشاهية موجهاً إلى قضية بختيار وحوادث مدينة قم . ذكرت فى هذا الخطاب أنى أطلب

اللقاء به من أجل عرض تقرير فى غاية الأهمية والسرية . حبكت لى خطة يمكن أن تمثل أهمية غير عادية فى حل مشكلة بختيار ونهاية أمره . ولتنفيذ هذه المهمة لا بد من تأييد سيادة الفريق ومعاونته . ذكرت فى الخطاب (لو وافق السيد الفريق على مقابلتى أنا الموظف بالجهاز من أربع عشرة سنة فى مكان بعيد عن الرقباء ، وبما أنى أؤمن بحب الوطن والشاه المعظم ، فإننى على إطمئنان من أن التماسى وطلبى سوف يقع موقع القبول) .

وأرسلت الطلب مكتوباً على مظروفه اسمه وعنوان منزله واسمى ومحل عملى . ولم تمر عدة أيام حتى ظهر سيادة الفريق أثناء تفتيشه على الشعب المختلفة فجأة فى شعبة نشاط الدكتورين المزيفين وسأل الدكتور جهها نجير : (من هذا السيد ؟) فأجاب (إنه يارو موظف قديم ومخلص لم يسمع ما يقوله وتوجه لى وقال (تذكرت . ألت أنت الذى شاركت فى حادثة الجامعة فأديت له التعظيم ولم أنس بينت شفة . أراد الدكتور جهها نجير أن يفصل القول فى خدماتى فى الجهاز حين قاطعه سيادته قائلاً (يجب أن تستفيد به أكثر من هذا) قال هذا ومضى ولم يطل الوقت حتى سمح لى بإنهاء دورة التدريب على التحقيق . وهكذا بلغت هدفى وهو أن أحقق فى هروب رقية من منزل والدتى .

وبعد عدة أسابيع حين كنت أهم بركوب سيارتى التى كنت أوقفها فى ميدان يواجه مقراً سافاكيا وقع نظر الفريق على وركب بلا كلمة واحدة وشرحت له خطتى فى القبض على بختيار . وريت على كفى مراراً وقمت بتوصيله إلى منزله وكنت على يقين من أننى كسبت محبته . قال سيادة الفريق (ادرس مرة أخرى ملف بختيار) كان كتاباً ذا حجم له وزنه قال سيادته (لسوء الحظ فنحن الآن فى وقت عصيب . يجب أن نصفى حساباتنا مع أصحاب الملل . من أين نعرف أن بختيار ليس له يد فى فتنة

المدرسة الفيضية أيضاً ؟ يجب أن تعد أرضية هذه القضية جيداً وبدقة تامة وبحيطة شديدة . لا تحدث في هذه المهمة مع أحد أيّا كان . سوف أخبر بنفسى الحضرة العليا بهذه المهمة شفوياً وأنفذها بموافقتة فهو المعين لنا . سوف أمنع لك كافة الصلاحيات للتحقيق بصورة سرية . وسوف أصدر أمرى بأن يوضع تحت تصرفك كافة التقارير التى تصلنا عن نشاط بختيار).

ولم أكد أصل إلى مكتبى فى اليوم التالى حتى كانت كثرة من التقارير القادمة من كولونيا وجنيف وبيروت مكدسة فوق مكتبى . كان أحد التقارير آتياً من الشرطة ورد فيه أن (فرزان) أخذ إجازة ورافق أمه إلى كربلاء . ولفت انتباهى تقرير آخر أن فرزان سافر منفرداً بالطائرة إلى بغداد وأنه ينزل بفندق (الفندق) فيها . لكن من غيرى يقدر أهمية هذا التقرير ؟ كانت جميع حواس موظفى الجهاز متجهة إلى بختيار وهم الذين كانوا يدعون أنهم رأوه فى نفس الوقت .

أما الخبر الذى أفزع الجميع فقد ورد من وزارة الخارجية ويقول أنها طلبت نسخة من ملف بختيار من يوم أن عاد طهران إلى أوروبا بناء على أمر صادر من الحضرة العليا الهمايونية . وفى اليوم التالى نشر فى الصحف وبث فى الإذاعات الأجنبية خبر مفاده أن بختيار قبض عليه فى لبنان ويرفقتة شاحنة مملوءة بالأسلحة وأنه فى انسحن ينتظر المحاكمة . كانت الجرائد تنشر جرائمه بالتفصيل وتطلب من حكومة لبنان تسليم هذا النص المختلس الزانى . وكانت أنباء الاتصالات الدبلوماسية السرية أيضاً تسرب إلى الصحف . وأخذ يتضح بالتدريج أن الحكومة اللبنانية لم تكن موافقة على تسليمه . انبعثت الضجة فى كل مكان من العالم بعدم وجوب تسليمه . بل إن كاتباً فرنسياً معروفاً كان يدافع عن طلاب الاتحاد أعلن سعادته بالدفاع عن بختيار . وكان تبريره أنه إذا سلم مجرم إلى الحكومة

الإيرانية فلسوف يفتح الباب أمام تسليم المعارضين الآخرين ويجب الحيولة دون ذلك . وكانت الحكومة اللبنانية تستند إلى أن جريمته وقعت بأراضيها فلا بد أن تحقق عى فيها ولن يكون تسليمه أمراً ميسوراً حتى نهاية المحاكمة . وفى نظر الجهاز كان دفاع الكتاب الفرنسيين دليلاً كافية عن دفاع اتحاد الطلبة عن بختيار .

اجتذبت أحداث المدرسة الفيضية فى قم رأى العام عن نشاط بختيار التخريبى فقد تجمع جمع من المشايخ القرويين فى المناطق الشعبية المتفرقة حول رجل دين اسمه (الخمينى) واعتبروا الحضرة العليا وجهاز الحكومة معارضين للدين الإسلامى بتوجههما إلى الغرب أو بحد قولهم (الغرب) وأخذوا يتقعدون فى جلساتهم وفى المساجد وعلى المنابر خطوات الحكومة التقدمية . فكانوا يقولون على سبيل المثال (باع إيران للأمريكيين) وكانوا يدينون الظلم والاعتداء من قبل جهاز السافاك والشرطة والبوليس ويعنون أن التعرض للمساجد والمدارس مخالف لقوانين الشرع .

وإزاء هذه الأعمال التخريبية كانت الحضرة العليا يبدى مرونة وسعياً وسعى إلى الاعتراف رسمياً بشيخ آخر فى منصب آية الله كمرجع للشعبة المسلمين ولكى يستل أخيرة من أيدى أتباع آية الله روح الله الخمينى . لكن هذه السياسة أصابها الفشل ، إذ أنها على النقيض أثارت حفيظة رجال الدين وزادت من مقاومتهم وأخذ الموقف يحتدم بشدة حتى بات من الضرورى الإقدام على خطوة جادة .

وفى ربيع عام (١٣٤٧ هـ . ش ١٩٦٨ م ، بدأت محاكمة بختيار فى لبنان : دافع عن نفسه أمام المحاكمة بأنه لم يرتكب جناية فى لبنان لأنه كان يحمل السلاح لأصدقائه فى بغداد . وتعهد الدفاع عن بعض المحامين البارزين والمحنكين اللبنانيين . ودافعت الدعاية الأوروبية والأمريكية بأن

بختيار مناضل من أجل الحرية ومعارض للنظام الدكتاتوري من ناحية ومن ناحية أخرى دافع المحامون إلى أن صدر حكم المحكمة بحبسه ثلاثة شهور . برأوا بختيار دفعة واحدة وصار مدافعاً عن الحرية .

الخلاصة ضغطت حكومة الحضرة العليا على المسؤولين اللبنانيين لتسليمها بختيار ونشرت الصحافة الأجنبية أن الإيرانيين على استعداد لشراء بختيار بخمسين مليون فرنك سويسرى . لم يستسلم رئيس الجمهورية اللبنانية وكان نتيجة هذا قطع العلاقات بين إيران ولبنان وطار بختيار متصراً إلى بغداد . ولا حاجة إلى التذكير بأن علاقات العراق وإيران فى هذه الأوقات كانت باردة ومتوترة بسبب قضية الأكراد الذين كان الجيش العراقى يشملهم بحمايتهم . واستقبل وفد إيرانى وعراقى بختيار فى المطار استقبالا لائقاً وأنزلوه فى مكان آمن وكان يتولى حراسته الجيش والشرطة العراقيان . وحين قرأت اسم (فرزبان) من بين قائمة المستقبلين له أغمضت عيني قائلاً (أيها القلب الغافل رأيت كيف أنطلقت عليك الخدعة !) .

وسافر عشرون من زملائي إلى بغداد . كان من صلاحتى أن بإمكانى اختيار بعض الأفراد منهم . كانوا مكلفين بالإبلاغ عن تفصيلات أعمال بختيار حتى التى يظن أنها بلا أهمية إلى من هم فوق سيادة الفريق . . . كان هذا الحقيق فى ذاك الوقت واحداً من أقرب أصدقاء الحضرة العليا الهمايونية وأهل ثقته والذى خان بعد ذلك صديقه وسيده وكبيره ومطعمه . ولا يزال يعيش حتى اليوم ويمتلك فى كاليفورنيا ولندن سكناً خاصاً وهو من صمن أولئك الذين يجب أن تصدر أموالهم . ولسوف أكثر من الحديث عنه . تبين عن هذا الفريق بعد ذلك أنه كان يضم نفس تلك الأفكار ويود أن يعتلى رئاسة الجهاز الإيرانى كان لا يعتبر فقط بختيار عدواً للشاه وإيران بل كان يعدّه أيضاً حائلاً دون تقدم أمره . وبدأت فى طهران

المحاكمة الغياية لبختيار . كان الحساء الذى يطبخونه لبختيار من الملوحة إلى حد أن جماعة من أتباع هذا المتهم والمجرم كانت ضمن قضاة المحكمة العلنية . أجمع كافة القضاة على مصادرة أملاكه في كافة أنحاء إيران . إعدامه . اكتسب حكم إعدامه جانباً قانونياً وكُنّف موظفو السافاك بقتله حبثما وجدوه . لكن محل إقامته كان لا يزال أمراً مستوراً ، فكانت الأخبار تأتي من روما حيناً عنه ثم من جنيف بعد ذلك . وفى بغداد نجح أحد موظفي السافاك في الوصول إليه . أدرك بختيار أن الرجل كان من بين مرؤوسيه وذكر تقرير هذه الواقعة : (ما إن واجهته في مكتبه حتى قال لي : أتيت لتقتلني ؟ تفضل ونفذ ما كلفت به . كان يحتفظ برشاش روسي في دولاب بالحائط وأظهر له أنه يريد أن يعطيه له ، وفوجئ موظف الجهر حتى أنه فر هرباً من مكتبه) نقل هذا الخبر أحد أقارب بختيار الأقربين . وسمعتة أيضاً من شيخك الذى زعم أنه قضى عدة أيام يتعقب بختيار في بيروت وبغداد في تلك الفترة التي كان محبوساً فيها لعدة شهور .

وفى صيف (١٣٤٩ هـ . ش / ١٩٧٠ م) وصل خبر أن شخصين أجيرا طائرة إيرانية تحت تهديد السلاح على تغيير مسارها إلى بغداد . كان هذا الإنجاز من أعمالى الباردة والتي رفعت درجتى من منصب عميل منجول يتحرك داخل الجامعة ومقر الحزب وينشغل بأمثال شيخك وفرزان إلى محالسة سيادة الفريق ومن هو أعلى منه ويات على أن أنجح فى التشرف بمقابلة الحضرة العليا الهمايونية . كانت هذه الواقعة التى أفصحت عنها إلى سيادة الفريق فى السيارة . استغرقت هذه الخطوة الجريئة شهوراً واقتضت تفصيلاتها وقتاً طويلاً للتمرن عليها . استأجرنا قاتلاً من أمريكا الجنوبية . وعلمناه بضع كلمات فارسية لكى يمرن سفاحيناً . كان على الطيارين التأهب والطمأنينة والسيطرة على أنفسهم والتمكن من استجماع

شجاعتهم إزاء رد فعل المسافرين . استغرق تدريب المختطفى الطائرة وقتاً أيضاً . تأخر التنفيذ بضعة أسابيع . مرض أحد المختطفين ولم يستطع المشاركة فى التدريبات . وكان لابد من الحفاظ على سرية كافة التفاصيل . لم يكن رئيس السافاك يعلم عنها شيئاً . حتى طاقم قيادة الطائرة لم يكن يعرف المختطفين المسافرين . كانت كل الأمور بيدى وكنت أنا قائد العملية . اكتسبت هذه الحيلة ثقة بختيار الذى كان يعتبر اختطاف الطائرة من انتصاراته على الحضرة العليا الهمايونية إلى حد أنه أمر أن يكون كلا المختطفين من بين حراسه الشخصيين . وفى أحد الأيام أطلق أحدهما النار على بختيار أثناء رحلته للصيد فقضى عليه . وأذاعت وسائل إعلام الحكومة العراقية أن بختيار قتل بسبب إهمال أحد الصيادين . لكن هذا الصياد ورفيقه لم يكونا غير موظفين بالسافاك كلفا بتنفيذ حكم إعدامه . قال الحضرة انعلبا نفسه فى حديث صحفى معه تم فى الرابع من فبراير عام ١٩٧٤ فى زيورخ يرد على سؤال هو (يا سيادة الشاه . . من قتل بختيار ؟) قال (نحن الذين قتلناه ، قتله السافاك صرت من هذا الوقت أحد قواد الدرجة الثانية للجهاز والمسموع الكلمة . لكن فى الظاهر للتمويه ولذر الرماد فى العيون ظلت فى نفس الشعبة زميلاً للدكتورين المزيين وأعمل على تحقيق هدفى وهو تعقب رقية وإنقاذها من المصيبة التى ألقت بنفسها فيها .

صادفت نهاية بختيار شهور محاولتى الالتحاق بشعبة التحقيق والاستجواب ، وبعد أن خدعت الدكتور بيجن والدكتور جها نجير بأنى أريد أن أعثر على أثر لرقية وألقنها دروساً فى محبة الشاه وأنى سوف أظل تحت إمرتهما فى شعبة الاستخبارات ، التحقت بشعبة مأمور التحقيق تحت إمرة سيادة الفريق . سوف ترون أننى لست إنساناً رحيماً لينا لكن هذا السفاح كان يعجز ألفاً مثل شمر وجنكيز وتيمور . كان أصحاب الرتب

الكبيرة الآخرون يسمون جميعًا باسم (تيمسار) لقب تعظيم لكبار الضباط . وأنا بدورى سوف اسمى هذا الفريق بسيادة الفريق أو (التيمسار) لكى يكون تميّزا معروفاً وليعلم بنفسه من هو المطلع على أسرارهِ . فأنا نفسى الذى عملت من جنيف ١٣٤٩ حتى ذلك الوقت أى نحو اثنى عشر عاماً فى الجهاز ، وكنت رأيت من خلال ما قرأته من الملفات ، قلت أو كُثرت ، الوسائل المستخدمة لا تتزاع الاعترافات من المجرمين أو المتهمين ، إلا أثنى لم يصادفنى قط مثل هذا الحيوان .

يوم أن دخلت مكتبه بتوصية الدكتور بيجن وجهها نجير ورئيس الجهاز كان يجلس وراء مكتبه ولم يرفع رأسه لبضع دقائق كأنه لم يشعر بنا مع أن جنديا برتبة عريف أبلغ سكرتارته مسبقاً بدخولى وتسلم تصريح دخولى ، رأيت مبلغ إجادته التمثيل والشطارة كأنه لم يسبق له معرفتى ورؤيتى .

كان يعرف جيداً أصول اللعبة ويجيد تمثيل دوره فيها . كان يتصفح ملفاً قليل الأوراق . ثم رفع رأسه وبدون أن يسمح لى بالجلوس أخذ يشرح لى لمدة نصف الساعة عظمة إيران وعشق الشعب وحبهم المفرط للمشاه ومحبّة الشاء تسرى فى عروق الإيرانيين وأعصابهم تختلط بدماء الوطنيين وأشياء من هذا القبيل . كأنه كان يقرأها من ورقة يحتفظ بها دائماً عنده وخلال كلامه لمحّ إلى رقيه بقوله (هذا دليل عظيم وهو أنك صرفت نظرك عن أسرتك وأصبحت مستعداً لخدمة الحضرة العليا من كل قلبك وروحك) .

ثم وضع إصبعه على زر و استدعى إلى مكتبه رجلاً اسمه (خاطى) وتركنى إليه وأمر بأن أنتظر بحجرة الانتظار . ربما مرت عشر دقائق حين جاء خاطى واصطحبني وقدمنى إلى مجموعة من المحققين كانوا جلوساً وواقفين .

قضيت بضعة شهور فى قراءة الملفات وتعلمت رموز وأسرار أخذ الاعترافات وأشركونى فى بعض المرات مع بعض المحققين فى جلسات استجواب المتهمين والمقبوض عليهم . كانت أهم مأمورية لى فى الشهور الأولى هي إرهاب أحد السادة المحميين من قبل أحد أكابر الحكومة كان أحد أقارب زوجته برتبة فريق أول . وكانت هذه المأمورية بمثابة اختبار لى هل أصبح فى مهمات أصعب بعد ذلك أم أفشل .

لم يكن نذير أرحام يريد الانقياد للجهاز ويستدعى الموظف والمتهم بالتعاون مع الطلاب المؤيدين للاتحاد من أوروبا ويسلمه لنا . كانت هذه المأمورية مقيمة وضرورية جداً لأنه من وقت حادثة بختيار كانت أنظار الجهاز والصحافة متجهة لنشاط الحزبين فى أوروبا وأمريكا . كان أغلبية الطلاب بهاجنة ، معار القنصليات الإيرانية ويحتنونها ويهينون أعضاء بعثاتها ويحضرون لها بها من أثاث ورياش ومكاتب وآلات كتابة ويمزفون صور الخضر العلية ويظنون أحياناً ساعات طويلة يقنسون كل شىء رأساً على عقب حتى نظروهم الشرطة بذلك ابيلد وتلقى القبض عليهم . وحين كانت السفارة ترفع شكواها إلى الجهات القضائية كان يؤخذ من بعض الطلاب مبلغ كغرامة وينتهى الأمر فكثيراً ما كان يدفع الاتحاد ما حكم عليهم من غرامات من صناديق الأحزاب التى كانت لها أفرع فى أغلب دول أوروبا وأمريكا . وبناء على هذا فقد كانت معاملتهم من وجهة نظر الجهاز وحيثية الحكومة الشاهنشاهية وجلال الخضر العلية الهمايونية تحوز أهمية قصوى . وفى ذلك الوقت كان ثمة ولد ابن أحد الأمراء ولا يميز بين الألف وكور الذرة يريد أن منعنا من القيام بتحركاتنا . اتفقت أنا وأمرأة جميلة بأن نهين كرامة هذا الديوث . لم يكن الأمر سهلاً . تمرنت مع المرأة عدة أيام . كانت امرأة مغناجاً من اللواتى كن دائماً تحت الطلب وكنت أنا رجلاً وقوراً . عملنا لبضعة أيام بإتقان . لكن الأمر كان مضحكاً

وجادًا فى نفس الوقت . حينًا كنا نضحك وحينًا كنا نتشاجر بسبب حركة خبيثة من المرأة أو شحط ورعيق منى بلا سبب إلا أننا أدينا الامتحان بنجاح أمام (خايطى) فى أحد الأيام . انتظرنا حتى نأخذ التصريح من القيادات لتنفيذ هذه المسرحية . كان وقت تنفيذ المأمورية يوم أن أقيم فى نادى الضباط احتفال عظيم لزفاف المدير العام على إحدى الأنسات المتعلمات من عائلة الفريق أول وكان حديث كافة المجالس يدور حول جمال العروس ووجاهة العريس وبعد هذا الزفاف ببضعة شهور تقرر أن أسافر إلى أصفهان لتنفيذ المأمورية . ركبت معى تلك المرأة الجميلة سيارة ونزلنا فى نفس الفندق الذى كان ينزل فيه هذا الهدف وفى إحدى الليالى حين كانت مجموعة من الرجال مشغولة بالشرب والمتعة فى فندق (شاه باس) ولم يكن صعبًا على امرأة جميلة أن تستولى على الألباب بدلالها وغنجها وأن توقع بالمدير العام . وذهب الاثنان بعد تناول الطعام والخمر إلى حجرة النوم ليختليا بها بضع ساعات . لكن لم يمر نصف ساعة حتى كنت أنا العبد الحقير وزوج المرأة الحسناء واقفا أمام باب حجرة نومها أزمجر وأزعق وأطرق الباب . كان سعاده لا يميل إلى فتح الباب وكانت صرخاتى وصيحاتى تزداد ارتفاعًا مع توصلات الزوجة الجميلة ويكائها مما أجبره على أن يسارع بارتداء ملابس النوم ويفتح الباب . وكان دخولى وإمساكى بخناق العشيق وضربى لزوجتى وتهديدى لهما بالقتل فاضحًا إلى حد أن تجمع العاملون بالفندق ومديره وفرقوا ما بيننا وتقرر أن يحول الموضوع إلى الشرطة فى نفس الليلة . وأخذت بيد السيدة الحسناء وأطلقنا ساقينا للريح . وفى صباح اليوم التالى سلم مدير الفندق للسيد المدير العام خطابًا وضعه فى الليلة السابقة أحدهم له فى مكان تعليق مفتاح حجراته وكان مكتوبًا فيه (هكذا يحاسب الناس) . كان السيد المدير العام أعقل من ألا يفهم من أين وجهت إليه هذه الضربة . وكان من ضمن مأموريتى

بلا شك أن أبلغ فضيحة أصفهان لكل المحافل والتجمعات خاصة إلى أصدقاء المدير العام ومرومسيه و(دز آشيب) . وما يماثل هذا النشاط ضربي لأحد الأساتذة الناشئين في الجامعة وكان يتحدث في بداية دروس التاريخ عن الحرية والديمقراطية ويلوح بين الحين والآخر إلى استبداد أولياء الأمر وقسوة أموالهم وسلطانهم وكان قصده طبعاً الشاهنشاه والجهاز ، وكانت هذه المأمورية التي وقعت بين (جيزر) « دز آشيب » تعد من بين امتحاناتي للقبول في فرع التحقيق والاستجواب .

ولم تكن دورة تدريبي وامتحاني تنتهي حتى حدثت أحداث منطقة (سياهكل) السوداء وأعد من شهر بهمن (١٣٤٩ / ١٩٧٠) فصاعداً جميع موظفي الجباز وجواسيسه ومرشديه لحرب الفدائيين . لم أشارك حتى ذلك الوقت في جلسات التحقيق والاستجواب . وكان استجواب المخرب ينتهي إلى بفعه وضربه بالعصا أو لكمة وكنت أفرج وكان من ضمن التعليمات أن أتابع وأنعود على ممارسة بعض أعمال التأديب حتى يذلي المخربون باعترافاتهم . ولم يكن زملائي المحترمون يسمحون لي بأن أشاركهم في إرهابهم . لكن منذ أن بدأت في بهمن ١٣٤٩ أنهجمة الأولى للعصابات لم يعد هناك مبرر لاختباري فكان مفروضاً على الجميع المشاركة . كانت مفرزة لي تلك انهجمات الأولى من العصابات على أقسام الشرطة والبنوك والفتان في سياهكل والتي أسفرت عن إعدام خمسة عشر وتعقب تسعة آخرين عنقت صورهم على الأبواب والجدران . كنت ارتعش حين أنظر في هذه الصور فربما تكون رقية أحدهم . اتصل بي في أحد الأيام بالتليفون (موسى جون) الذي أصبح رئيس بنك (لاهيجان) لاطمئنان علي . تعجبت فقد انقضت مدة لم أعرف عنه شيئاً . أدار حديثه علي رقية : - أعتقد أنني رأيتها في « فومن » . لم تعرفني . لكنني على يقين من أنها كانت هي . رغم ندائتي لها يا رقية مراراً فلما أنها

لم تسمعنى أو لم تكن تريد مقابلتى . هل لديك أخبار عنها ؟ هل تزوجت ؟ ما تفعل فى فومن ؟ أفعل كل ما بوسعى من أجلها . أنا أيضا على استعداد أن أرتب لها عملاً فى البنك .

لم يعد عندى شك فى أن رقية أصبحت فدائية ضمن العصابات الفدائية ويمكن أن تعلق صورتها على الجدران فى أى يوم . حقاً أنى فصلت ما بين حياتى وحياتها لكن انقطاع قلب أمى عليها كان يؤرقنى . مهما حدث فهى اختى وتربت فى حجر أمى . أيقنت أن موسى جون نفسه أحد جواسيس الجهاز . سمع شيئاً عن رقية ، وتزرع إذ ذاك بروقيتها فى فومن ، ليطلعنى بالأمر ولم يكن هو أصلاً بفومن ولم ير رقية ولم ينادِ عليها .

أمضيت فى دورة التدريب على التحقيق والاستجواب بضعة أسابيع فى سجن (أوين) . وكنت أسرق كلما منحت فرصة - النظر - من خلال ثقب الأبواب أبواب الزنازن التى يسمع منها الأهات والصرخات وكنت أرتعد خوفاً من أن أرى رقية فى إحدى المرات . رأيت مرة بتاً هزيلة بائسة وكنت أريد أن أقنع نفسى بأنها اختى . لكنى لم أجد الجرأة على أن أعود مرة أخرى وألقى من خلال ثقب الباب نظرة عليها .

لأبد من الاحتشاف بآنى رأيت فى دورة تدريبى على التحقيقات آلات التعذيب : السوط والعصا الكهربائية والكماشة الحديدية وغيرها . لكن معلمنا الدكتور فريد الذى تعلم هذا العمل الشريف فى أمريكا وأشهد فى حادثة سقوط طائرة فى سبيل الوطن كان يطمئنا نحن طلاب علم الاستجواب بأن هذه الوسائل لم تعد تستخدم . فقد استوردوها من إسرائيل فى السنوات الأولى من فترة رئاسة تيمور بختيار وصارت كُهنةً إذ ذاك ولا تصلح للاستخدام ذكر الحضرة العليا الهمايونية بنفسه فى أحد التصريحات الصحفية (لدينا من وسائل الضغط المعنوى ما يفوق وسائل تعذيب القرون الوسطى تأثيراً) .

وأنا الذى لا أزال أؤمن بأحاديث الحضرة العليا الهمايونية أعتقد
أوامره ، لكنى أذكر ما قرأته فى الصحف الأجنبية فى سنوات إقامتى
بأوروبا وفى ملفات الفدائيين وأترك للقراء مسألة تصديقها أو تكذيبها .

أنا نفسى لم أشارك فى أى جلسة تعذيب لأى مجرم أو متهم أو فدائى
أو مخرب . رأيت فى دهاليز سجن أوين الطويلة بيتا عارية الجسد يسوقها
جلاد بسوط فى يده وكنا نحن السافاكين واقفين فى أطراف الدهليز ونرى
مرة أحد الموظفين يركل بقدمه المرأة العارية ويلقى بها على الأرض ثم
يجرها أمام الضارب بالسوط ، وأسود ناظرى لحظة وأصابنى غثيان
وارتعشت ركبتي وتخيّلت أنها هى رقية وزوجتى وأمى كل منهن تجرى
بالية عارية وتسقط على الأرض وتطلق صرخاتها ولا تعود تستطيع النهوض
من كبوتها . وحين عدت إلى وعيى فى المستشفى لم أكن أدري ما الذى
حدث لى . ما ذكروه لى أن دورة تدريبى انتهت وسوف يعهد لى وحسب
بالاستجواب الهادىء غير المزعج . كنت أخشى أن يطردونى نهائيا من
الجهاز ، لكن التيمسار الفريق تلتطف بى ولا بد أنه فكر بينه وبين نفسه بأن
(يارو هذا اكتسب معلوما عن أسلوب عملنا وليس من الإصلاح أن نتركه
إلى حال سبيله خاصة أنه على علم من خلال الملفات بعلاقتى بشيخك
وليس من مصلحتهم تعقبه لأى سبب ؟ الأمر مهم بالنسبة لى ، لكن هناك
يدأ أعلى من يد : بشكل واضح .

لسوف أذكر ما وجدته فى الملفات ومن خلال أحاديثى فى أوروبا مع
الناجين من سجن أوين والسراديب التى تحت أرض مقار الشرطة وذلك
بسبب أن معيشتى لا بد أن تستمر بأى شكل فى الغربة . إن الأحداث التى
وقعت فيما بين بهمن (١٣٤٩ / ١٩٧٠) حتى أرديهشت
(١٣٥٠ / ١٩٧١ م) ملحمة لا تنسى فى نظر الفدائيين والمضحين

بأرواحهم الحاليين . وفى هذه الجزئية سوف استخدم مصطلحاتهم ولن أكرر مصطلحات السافاكين من أن جميع المخربين خونة ويلهاء ومجانين و . . . وهم فى نظر الحضرة العليا الهمايونية شرزمة من الشباب المغفلين يريدون وقف مسيرة تقدم البلاد والشعب لأن ذاته المقدمة أعلن فيما سبق أن كل أنواع الحريات موجودة فى إيران ما عدا حرية الخيانة .

لن أذكر اسم بطة هذه الملحمة . أعرف أنها هربت من السجن فى اليوم الخامس من شهر فروردين ١٣٥٢ ولم أحصل على معلومات حتى الآن تفيد بأن هذه المرأة هل ما تزال حية أم ماتت وإذا كانت حية أين تقيم وماذا تعمل وهل لا تزال باقية على إيمانها أم لا . هذا على الرغم من التحقيقات الكثيرة التى قام بها موسى جون الموجود بإيران والتى بذلها المسؤولون السافاكيون ولهم معنى علاقة واتصال ولم أسمع عنها من شيخك الذى لاتبته مراراً أثناء مقامى بلندن ويبحث معه أمرها . حتى فرزان الذى صادقت، فيما بعد فى أوروبا لا يُعلم خبراً عن هذه المرأة . لكنى أعلم أنها كانت بنت بضعة وعشرين عاماً قيّدت بعد القبض عليها بسرير حديدى ولم يكن يسمح لها بالذهاب إلى المرحاض إلا ثلاثة مرات فى اليوم بعد الصراخ والذباب والأشئ خرامس السجن . كانوا يضربونها بسوط معدنى كهربي ويحرقون مباح حشاسة من جسدها بالعصا الكهربائية . وكانت قد حاولت فى إحدى المرات أن تمزق بشوكة عنقها وتنتحر . سمعت أن أحد طلاب الحرية ونشوار البرازيليين قطع لسانه بأسنانه حتى لا يتمكن من الإجابة عن أسئلة مستجوبيه فأرادت تقليده لكنها فشلت . وفى حضور بضعة من الرجال جعلوها تنبطح على الأرض وكانت عارية مكشوفة . وحاول أحدهم أن يجامعها . وكان هذا الفعل مجازاً بإذن التيمسار الفريق . كانوا يخزون لحمها ويشدون بالكماشة ولم تكن ترضخ للاستجواب . وقمت أنا نفسى بنصحها بكلام لطيف مراراً فى حجرة منفرداً بها ومعها

امراة كانت تقف بجوار الباب لمنعها من الهروب فكانت توجه سبابها إلى .
سمتنى بالجلاد والعميل و . . فلم أهتم وكنت أعيد عليها قولى (لماذا
تؤذين نفسك لهذا الحد ؟ لماذا لا ترحمين نفسك ؟ لماذا تتخذعين بكلام
الجهلاء . فكرى فى والدك . فما يقاسيان كمداً عليك . أفسدت
حياتهما . تسببت فى قتل أحد أخوتك . قبض أيضاً على أخيك
الأصغر . اكتبى كلمة واحدة فيها أسماء أصدقائك وانصرفى . سوف
يعطونك مالا ويمكنك الاستمرار فى دراستك والسفر إلى أى مكان تريدن .
لا تؤذى نفسك إلى هذا الحد . من هم أصدقاؤك ؟ ألسنت أنا إنساناً .
إن قلبى يحترق من أجلك . أنا أيضاً لا أوافقهم فى كثير من الأشياء .
إن الخضره العليا . . .

وفجأة أنقضت على كطائر مضروب برصاصة تريد أن تأخذ بخناقى
وأخذت تسبى وتشتمنى ثم هدأت وأخذت تنشد :

أذهب وأنصب هذا الشراك لطائر آخر . لأن عشى العنقاء عال لا بد من
الأنخذ فى الاعتبار أن الخضره انعنيا قد أصدر أوامره بالآ تقتل امرأة من
الندائيات ولا شك أن رحمته كانت فى محنها ، أما ملاحظات الصحفيين
الأجانب فكانت تتفق وهذا الأمر فلا يجب إذن منح المعارضين أى حجة .
خاصة أن طلاب الحزب الذين لا يعلمون من أين يستقون أخبارهم ، ومن
أين لهم هذه المعلومات التى ينشرونها عنهم فى صحفهم . ولأن الفتاة على
علم مسبق بأنهم لا يمكنهم قتلها أضربت عن الطعام مدة اثنى عشر يوماً .
ولم يثمر إعداد حقة شرجية بماء حارق ، والتهديد بإدخالها فيها ،

فلم يحرك هذا فيها ساكنًا . وضعوا برازها في فمها ولو ثوابه رأسها ووجهها . وفي النهاية لم يجدوا مناصًا من أن يرفعوا أيديهم عنها ويدعون أنها مجنونة . . وفي الساعات التي كانوا يعذبونها فيها كان تتغنى بأشعار (فون تروى) الفيتنامي .

كانت تهمة هذه الفتاة أنها شاركت في كتابة منشورات (سياهكل) وكتبت على الجدران شعارًا هو (لن نراجع خطوة واحدة حتى الموت) .

لم يكن هذا مجرد شعار لأنهم قاطبة كانوا يؤمنون بهذه الشعارات الأمر الذي لم أكن أدري ما هو . كيف يتأتى للمرء أن يؤمن بشعار خاو وغير عملي لكنه مخادع من قبل أناس لم يرههم ولم يعرفهم ويضحى بنفسه في سبيله . قبضوا على واحد منهم ونحو يوزع منشوره . لن أذكر اسمه . لا أعرف هل هو حي أم مات . كان عنقه ضخمًا جدًا . قرأته مرارًا . لم أصدق ما فيه . إلى أن صادفته بنفسى يومًا . كان كل موظف يذكره لزملائه الآخرين . كنت أحسني يديه أقصر من الأخرى بخمسة ستمترات . قبض عليه أثناء توزيعه منشوره ، اشتبكوا معه أولًا وأطلقوا عليه الرصاص . هرب رفاهة على دراجاتهم البخارية ولم يستطيع الجنود والسافاكيون القبض عليهم . لم يقدر على الحركة بسبب جرح رجله المصابة برصاصة فشلوا في معرفة أسماء الهاريين وأماكنهم منه لأنه كان يخشى عليه حتى أنه لم يجد فرصة للانتحار بتناول ما يحمله من السم . فحملوه إلى مكان التعذيب وقاموا بتعذيبه ولم يحصلوا منه على معلومة واحدة . وسنحت له الفرصة أثناء ذلك فألقى بنفسه واثبًا من النافذة على الفناء . لم يتمزق غير ظاهر بطنه . فشلت محاولته الانتحار بتمزيق بطنه وأحشائه . كان هذا المسلك عامًا : أطلق النار على شاب كان رفيق الأخ الأصغر للفتاة الفدائية التي ذكرتها آنفا وشرحت صور تعذيبها ، وفي لحظة

واحدة رأى هذا الشاب نفسه وحيداً ابتلع سماً حتى لا يكشف عن رفيقه .
كان كل منهم يسمى أخاه بالرفيق . حملوه إلى المستشفى حتى يحولوا دون
موته ، لكنه مات ، فحوكم الطبيب الذى لم ينجح فى علاجه وعوقب .

حين كان أخو الفتاة المعذبة يُستجوب ويعذب كانوا يسجلون صرخاته
وسبابه ونواحه وأسمعوها لأخيه الأصغر وقت استجوابه وأظهروا له أنهم
يقومون فى نفس تلك اللحظة بتعذيب أخيه فإن كشف لهم الأسرار خلصوا
أخاه . وأصيب الأخ الأصغر بالجنون نتيجة لأعمال التعذيب ، وذات يوم
أنشب أسنانه فى رجل خاطى ولم يعد برأسه ذرة عقل . لهذا منح خاطى
ألفى تومان جائزة .

وفدائى آخر وشى به أحد زملائه الخونة وأثناء محاضرات القبض عليه
جردوه من سلاحه وزجوا به داخل الاتوبيس وفى غمضة عين ابتلع سماً
معه وأخرج من بين طيات ملابسه قبلة جذب فتيلها وألقى بها أمام
الاتوبيس . وحاول الخائن أن يبعدها فتفجر فيه القبلة وموت كلا الاثنين

وفدائى آخر اسمه جنكيز أثناء أحد اشتباكات ربيع عام ١٣٥٠ تمكن من
الفرار على إثر اشتباك مع الجنود . وفى شهر مهر من نفس العام حوصر
منزله وكان يقيم فيه واشتبك هو ورفيقان له مع الجنود ومع آخر رصاصة له
على السافاكين فجر قبلة فى نفسه .

أخو الفتاة المعذبة تحمل كل أنواع التعذيب لمدة خمسة عشر يوماً .
تمت أغلفة كليتين بسبب ركله ولكمه فكان يدمى فى بوله . لم يتحمل
قلبه . قيل إنهم نشروا بمنشار قدمه أو فصلوا أصابعه بساطور .

ولم تقتصر وسائل التعذيب على هذا وحسب . فبناء على قول الحضرة
العليا فقد كان تحت تصرف الجهاز من وسائل الضغط النفسى ما يفوق
وسائل تعذيب القرون الوسطى تأثيراً . كانوا يخرجون للفتاة المعذبة أوانى

من الدماء كان أخوها تقياًها بعد مرضه . قالوا لأحد الاخوة : اذا لم تعترف وتكشف عن اسماء أخوانك وصفاتهم فلسوف نأتى بأختك عارية أمامك حتى تتحرك فيك الغيرة . ومن الوسائل النفسية تمثيل القيام بالإعدام ففى الصباح الباكر كان يعلق على شجرة سجين معصوب العينين بقصد إطلاق النار عليه وتقوم فرقة الإعدام بمراسمها ويقرأ قرار الإعدام ، وقبل إطلاق النار بدقائق يسيرة يسرع رجل وهو يصبح (أنت الأوامر بتأخير تنفيذ حكم الإعدام) .

لم أقرأ فى أى ملف هذا الخبر لكنه شيخك يؤكد أنه من أجل تحطيم (نواب صفوى) رقصت امرأة عارية أمامه . ومن الوسائل الأخرى تلتطف الموظفون ، حين معاندتهم بعد إنهاء الاستجواب بهدف أن يؤوب المتهمون فى مذبحهم إلى رشدهم . يحكموا عقولهم حتى تتم المحاكمة بدون ممداع ولا يتطرق سبر إلى الخارج . أنا لا أفهم ما العلة أصلاً فى عقد هذه المحاكمات . فهؤلاء معارضون للمقاصد الهمايونية . إذن فكان من الواجب معائبتهم . فما فائدة كل هذه المحاكمات والجلسات ؟ حتى تتوافر الحجج لـصحف الفرنسية والشيوعية . شاركت بنفسى فى بعض محاكمات الفدائيين ولحق فقد كان هؤلاء المدعون مجرمين حقيقيين . لا يمكن إيقاف حلوقهم عن الكلام . أحدهم واسمه أحمد زاده قام بتحليل أوضاع الشرق الأوسط وإيران وأبرز مناحى القلرة الاستعمارية . ودخل نفس هذا السيد المثقف معتقل التعذيب . انتشرت نفس أقواله فى الصحف الفرنسية . وذكرت صحيفة أخرى أن تعذيب المتهمين يبدأ من أول يوم من أيام الاعتقال فى البداية يجلدون بالسياط المعدنية المكهربة ثم يتولى أمر المخربين خبراء لعبتى الكاراتيه والجودو فيوجهون إليهم ضرباتهم المؤلمة التى لا تترك أثراً على أجسادهم . فى العادة يسقط الفدائيون مغشياً عليهم

وأغلبهم يعود إلي زناناتهم بأيدي وأرجل مكسورة . جمع شيخك هذه الصحف وقمت بتصويرها وأنا بأوروبا ولا زالت عندي وسوف أنشرها حين يقتضى الظرف .

هذه التحقيقات كانت تتم حيناً من قبل السافاكين في سجن أوين وحيناً آخر عن طريق موظفي الشرطة بسراديب أقسام الشرطة . وكان النقاش بين الشرطة والسافاك باعثاً لكل منهما على السعى الحثيث إلى تعذيب المتهمين بقسوة أعظم وبفظاظة أشد حتى يدلّسوا باعترافاتهم في أبكر وقت قبل أن يقضى المتهم والجاني نجه .

وقبل محاكمة الفدائيين ببضعة أيام يحسنون معاملتهم فيعطونهم طعاماً أفضل وأسرة ناعمة ويبينون لهم إن القضاء العسكرى مستقل وسوف يدقون محاكمة عادلة وعلى كل منهم أن يكتب بدون حاجة إلى محام أفكاره ومشاريعه بخطه . وقرار الجهاز موجود فى ملف المجرم وعليه توقيع التيسار الفريق ومن هو القاضى الذى يجرؤ على أن يصدر حكماً يخالف أوامر السافاك ؟

ويحاول الجهاز ألا تظهر أثناء المحاكمة أية آثار للحرق والمخراز ولكن هذه المحاولات لم تكن تنجح على طول الخط . وكان يعطى لمن ينجح فى انتزاع الاعترافات جوائز مالية . أذاعت الصحافة الفرنسية والانجليزية أنهم أعطوا امرأة خلال شهر واحد ثلاثة آلاف تومان أجراً إضافياً ومكافأة ومن ذلك الوقت حتى الآن تتردد بسيارتها السيكان على سجن أوين . كما كان أحيانا يفشل بعض الأفراد من السافاك . ففي عام ١٣٤٩ و ١٣٥٠ حين كانوا يوقعون بالمليشيا الفدائية كان بعض السافاك يقع فى المأزق بسبب تعجله . كان أحدهم واسمه حسين بور والذى كان يدعى أنه مهندس يلتقى القبض على كل من كان يراه يتسكع فى الشوارع مفترضاً أنه يقصد كتابة

الشعارات علي الجدران ، وكان يطلق سراح الأبرياء في مقابل تسليم فدية من أهاليهم وأقاربهم بعد إيقاع الإيذاء والأضرار العديدة بهم حتي أن الأمر كان يصل إلى حد التعذيب وصارت كتابة الشعارات في تلك السنوات مصدر دخل للصغار من أمثال حسين بور . لم أبلغ اليقين لكنني أظن أن نفس هذا الموظف قبض في أحد الايام على رقية وتمكنت أختي من الإفلات من مخالفه . قص فرزان هذه الحادثة علي عام ١٣٥١ في باريس وكان واثقاً من أنها أودعت السجن عام ١٣٥١ أو كانت ضمن الضحايا الذين يعد التيمسار الفريق مسئولاً عن قتلهم . أما حسين بور فقد دفع ما عليه من قصاص .

كان من بين المعتقلين امرأة منقبة تين فيما بعد أنها فتاة أمريكية . وأثارت صحافة طهران ضجيجاً . أفاض حسين بور الذي كان من أتباع تيمور بختيار ثم ظهر على السطح شديد الإخلاص للشاه شرحاً وتفصيلاً في هذه الحادثة (نعم إننا نقبض على الجواسيس ولو كانوا أمريكيين . إيران بلد مستقل ولا تخشى بأس أحد) . وأظهرت الصحافة هذا الحدث دليلاً على ذكاء السافاك وتضحيته خاصة مجموعة حسين نور صبي بختيار أثاروا الضجة بأن جاسوسة أمريكية ألقى القبض عليها حتى تجذب الرأي العام إلى فدائية الجهاز . وكان بسبب حوادث (سياهكل) هائجاً مستفراً أعلنوا أن الفتاة جاسوسة من الدرجة الأولى ووجدوا في بيتها صوراً لبعض أحياء العاصمة والبلاد المجاورة ، وصار مؤكداً أنهم تمكنوا من صيد ثمين وهم غافلون عن أنهم حفروا بئراً سقطوا فيه .

كانت إليزا خطيته أحد أعضاء اتحاد الطلاب والذي كان يعتبر في نفس عام ١٣٥١ من بين كوادر الخبراء . ولما لم يكن بمقدوره العودة إلى إيران أرسل خطيبته إلى أسرته حتى تتعرف على أهله . وزارت (إليزا) أصفهان

وشيراز برفقة والدى خطيبها وكانت تظهر فى المساجد منقبة . واسترعى انتباه موظفى السافاك فى منطقة (شاه جراج) بشيراز امرأة غربية تدخل المساجد فى رى مسلمة وعلى وشك أن تثير عليها المسلمين وربما يلحقون بها أذى . وفى ذات ليلة وهى تنتظر فى أحد شوارع طهران لقاء أحد أصدقاء خطيبها يلقي بالقبض عليها .

لم يستطيعوا إيذاء إليزا بأى صورة لأنها أضربت على الطعام بعد اعتقالها ببضعة أيام ، وكانت تطالبهم بالإفراج عنها بسبب براءتها . أوصوها بالاعتراف بجرمها وإبداء الندم وتوجيه رسالة إلى الحضرة العليا فيطلقون سراحها . فرفضت تنفيذ هذه التوصية لأنها يمكن أن تعد دليلاً على إدانتها بالجناسوسية . ووصل الموضوع إلى السفارة الأمريكية لاسيما وأن إضرابها عن الطعام أثار فى الصحافة الأمريكية جدلاً وضجة ولم يستطع موظفو هذه السفارة أو لم يرضوا بإقناع إليزا بالاستسلام لهذه الإهانة وأضربت للمرة الثالثة إضراباً شديداً ولم تذق ماءً أيضاً . وثار السجناء السياسيون الآخرون أيضاً تأييداً لها وكانوا يرمون إلى الإضراب الجماعى حين نشرت الصحافة أن الجاسوسة الأمريكية أعلنت توبتها وأن الحضرة العليا الهمايونية عفا عنها . لكن هذه الحادثة التى قصمت ظهر جين بور وآخرين لم تنته إلى هذا الحد . فقد عادت إليزا إلى خطيبها وكذبت نبأ ندمها ووصفت صحافة إيران بالكذب والجهاز بالتزوير وأدعت بأن إهانة لحقت بكرامتها ويكرامة الشعب الأمريكى وطالبت الحكومة الإيرانية بدفع بضعة آلاف دولار نظير كل يوم قضية معتقلة فى سجن طهران تعويضاً لها وتعهد خطيبها والاتحاد الذى يتبعه وثلاثة من المحامين الأمريكين بالدفاع عنها والتزمت الحكومة الإيرانية بدفع مبلغ ضخم غرامة . لكن هل أقتنعت الصحافة الأمريكية بهذا ؟ جعلت هذه الحادثة كقميص عثمان وأطلقت دعاويها حتى اضطرت الحكومة الإيرانية إلى إقالة حسين نور وتقديمه إلى المحاكمة .

وفى خضم هذه الحادثة وقعت أسرار تعاون السافاك مع جهاز الاستخبارات الأمريكى موضع البحث التفصيلى فى الصحافة الأمريكية وصار هذا الموضوع مادة دعاوى الحزب المعارض هناك .

وقد حدث نظير هذه الحادثة للدكتور بيجن واسمه الحقيقى حاجى ساوجى . لكن غاية ما حدث له أنهم صفعوا قفاه وأعلوا مرتبتى ولسوف أقص فيما بعد هذه الواقعة .

فى الأيام السابقة للمحاكمة فى المحاكم العسكرية كانت الذئاب السفاكة تبدل رعاة ودودين وكانوا يخدعون بمعسول الكلام ووسائل الترغيب الساذج حتى لا يفشوا الأسرار ويخفوا أثناء التحقيق ما ارتكبوا فى حقهم من تعذيب وإضرار ، لأن القضاة لن يصدقوا غير ذلك من أقوال فهم يؤمنون بتصريحات الشاهنشاه بأننا لدينا من الوسائل التى تفوق أساليب أخذ الاعتراف فى العصور الوسطى الا وهى الوسائل النفسية . وبناء على هذا فلا يجب إثارة حفيظة القضاة والا اضطروا إلى الحكم عليهم بالحبس لمدة طويلة وبالإعدام . تناقشت فى هذا الموضوع وفى باريس مع شيخك الذى انقطعت كل آماله فى إصلاح أحوال إيران انقطاعاً تاماً وكان يتوقع مصيبة قلب إيران رأساً على عقب . وكان حديثنا عن جرأة الفدائيين وتهورهم ومقاومتهم قال :

- إنهم نوع آخر من خواص الناس .

قلت : أجل ، نوع مختلف من خاصة الناس . مع كل هذا الأذى الذى يلحق بهم ، يهينونهم ويعذبونهم بالكى والكماشات حتى أنهم يخرون أحياناً مغشياً عليهم بعد جلسات التحقيق لفترات لكنهم حين يفتحون أعينهم يعودون إلى سابق إصرارهم كأن شيئاً لم يقع .

- ألم تقع فى الحب مرة يا يارو ؟

- لا

- هل تحب أمراتك وولديك ؟ .

- هيه ! .

كانت امرأتى قد ماتت وضعفت صلتى بأولادى أو بالأصح أنهما أشاحا بوجهيهما عن السافاكى ، وكان يعتبران هروب رقية بسببى أيضا . هز شيخك رأسه وقال : صحيح ، أنتم ، ولا أقصلك ، لا يجرى فيكم دم ، أنهم لم يعشقوا عشقا حقيقيا قط . لم يتنفسوا نفسا واحدا من العشق . إن الإنسان لابد أن يعشق شيئا أو قضية ، عليه أن يفتن بشيء حتى يضحى من أجله . هؤلاء الفدائيون جميعهم عاشقون ويضحون بأنفسهم من أجل ما يعشقون وأنتم تقفون حيارى أمامهم وبأيديكم السياط المعدنية الكهربائية والكرسى الكهربى . وأنا أيضا مثلك . تلكمون حلاقيهم اليوم وتتصاعد بالغد من مئات الحلاقيم الأخرى صيحاتهم التى تصيكم بالصمم .

وكل ما تحدث يؤكد ما يقوله ، فلم تسفر نصائح موظفى الجهاز وموعظاتهم عن أثر . وفى المحاكمة كان الفدائيون لا يعيرون الرسميات أدنى اهتمام ، فحين كان رئيس المحكمة يعلن افتتاح الجلسة رسميا كانوا يتمازحون ويتضاحكون ويقهقهون ويتصايحون ويوجهون شتائمهم إلى موظفى الجهاز الجالسين فى حضور القضاة كافتران المبلولة وسط المشاهدين ويذكرون أسماءهم الحقيقية بلا ألقاب مثل الدكتور والمهندس والأستاذ . وحين كانوا يسألون عن أسمائهم وأعمالهم كانوا يدلون بإجابات متملقه فكان يسمى كل منهم نفسه (ابن الشعب) وعمله (ثائر) . وحين كانت الدمى ذات اللباس النهي - وكان هذا الاسم الذى كانوا يطلقونه على الضباط - تحاول تسكينهم ترتد عنهم مرعوبة . وكان القضاة يتشاغلون عن عمد بقراءة الملفات ويتصفحونها متجاهلين عدم انضباطهم بل كانوا

يتسمون أحيانا كأنهم يريدون إفهام المتهمين تلويحاً لا تصريحاً بأنهم هم أيضاً مثلهم أسرى وعبيد . كانوا يختلسون النظرة إلى الفدائيين ويهمس بعضهم إلى الآخر . وما إن ينفد صبر رئيس المحكمة حتى يقع الجنود فى شجار مع المتهمين فلا يبدى هؤلاء مقاومة بل ينهضون من أماكنهم ويعتلون الكراسى وينشدون الأناشيد الثورية ويحIRON الجنود والضباط . وفى النهاية يصمتون جميعاً وقت الدفاع عنهم ويصيحون السمع . وهذا الدفاع فى الحقيقة ما هو إلا صحيفة دعوى المتهمين ضد القضاة والجهاز الحكومى . كانت تبلغ بهم الجرأة حد إهانة مقدسات البلاد واعتبار حاشية الحضرة العليا مهربي مخدرات .

كانوا يقذفون بالاتهامات الأسرة المبجلة الملكية بالحد الذى لا أجرو على ذكره . أى تهمة لم يلفقوها لأخت الشاه الكبرى . أطلق أحدهم على هذه السيدة المحترمة اسماً جعل الجنود يتفجرون من الضحك . فضحوا أخوة الشاه واحداً بعد الآخر . جمعوا - بقولهم - ثرواتهم بطريق سلب الفلاحين والرشوة . استلبوا أملاكهم من صغار الملاك بالقوة يذهبون فى رحلات الصيد بالسيارات والطائرات المروحية . كانوا يلفقون من الأكاذيب ما لا يمكن وجوده فى جعبة أى كذاب .

حكم على اثنى عشر فدائياً من (فدائيى خلق أو فدائيى الشعب) بالاعدام والسحل والمزيد ولم يتخل هؤلاء وهم فى السجن عن واجبهم الذى كانوا يتصورون أنه مناط بهم .

وحل فى الميدان محلهم تنظيمات أخرى بأسماء مختلفة مثل (منظمة تحرير الشعب ، التى هاجمت البنك الانجليزى الإيراني قبل ذلك وهاجموا سيارة للسفارة الأمريكية بهدف اختطاف السفير الأمريكى و (جماعة قضية الشعب) و (للجاهدون) و (الفدائيون) واستمروا فى نضالهم للنظام الشاهنشاهى حتى وقوع الثورة . أشعل نضال الجماعات المسلحة نارا لا

يمكن إخمادها . زادت أعداد خبراء جهاز الاستخبارات الأمريكى فى إيران . أوفد مئات الإيرانيين للتدرب على أسلوب مكافحة المقاومة المسلحة إلى أمريكا . أضافوا عدد المسلمين على أبواب البلاط ومقار الوزارات وأوصوا باستيراد عشرات السيارات المصفحة من ألمانيا لحراسة زعماء البلاد .

أخذت الثورة تحتاج أيضاً المثقفين وكانوا حتى ذلك الوقت لا يرون غير النضال السلمى بالقلم والخطابة وسيلة مع السافاك . قصّ على أخبارهم التى يجدر إثباتها شيخك الذى كان له مداخله فى أمورهم بوساطة أو بغير وساطة وكان قرأ أغلب مؤلفاتهم وقام بشرحها وله صلات ببعضهم . كان حديثنا أثناء السنة الثانية للثورة حين كنت مريضاً ومقعداً ولم يعد لدى شيخك خوف من أن يفشى سراً . كان يقول لم يكن أحد يطاولهم حيلة وخداعاً . كانوا يؤلفون الأناشيد الثورية التى تفيض بالكراهية وتدفع إلى تقويض أساس الظلم والاستبداد ، وكانوا يصورون منها نسخاً ينشرونها على الطلبة ويروجونها عليهم بأسهل مما تروج الحلوى . كان الشباب يلتصقون إما باليساريين أو اليمينيين لكى يتصلوا بالفدائيين وكانوا يسافرون إلى رشت ومازندران ويتعقبون فى الغابات الفدائيين والمجاهدين والمضحين بأنفسهم فيحصلون منهم على المعلومات حول أوضاعهم فى السجون وقسوة القائمين بالتعذيب ووسائل التعذيب المستخدمة . كانوا يدونون منهم سيرهم وسوابقهم والرشاوى التى تقاضوها ويتبادلونها فيما بينهم ويرسلون بها إلى الخارج . وكان هذا الكاتب وذاك الطالب أو المثقف يعتبر صلاته بالانحد بالخارج من بين ما يفخر به .

وقاطعته : المهم يا شيخك من أين يعرف هؤلاء الذين تسميهم مفكرين بما يدور فى السجون ؟ انت ساذج جداً ، كيف تكون سافاكيا وانت لا تعرف السماء من السماء ؟ إذا أردت أن تعرف شيئاً فاتصل بفرزان . إنه

قابع فى باريس فى شقة حقيرة هرمية السقف ويعرف بأحوال كل مكان .
اسأله فهو عليم بأشياء كثيرة . والآن وقد تحطمت خزانة الأسرار فليس
بعيد أنه سوف يميّط اللثام عما يحمله من أسرار . كان لدى صديق تخرج
حديثاً فى الجامعة وله عيادة فى شارع (باماشين) . كنت كلما مررت بها
أرى بحجرة الانتظار مجموعة من الرجال المختلفين كانوا يتسللون خفية ما
إن أظهر لهم ويتركون مجلسهم . كانوا أولاداً مفتوحى الصدور وذوى
أحذية ممزقة بالية قلنرة أو مجموعة أخرى بقمصان بيضاء ونظيفة أو
برباطات العنق وسراويل مكوية وأحذية لامعة ، وكان منهم المشايخ
والأفندية والشباب والمستنون . لم ينطق لى صديقي الطيب كلمة واحدة
تعلق بهؤلاء الناس الذين يتجمعون فى عيادته ، وطبعاً كنت من الذكاء
بالقدر الذى يجعلنى أفوت الأمر . ما أكثر من كانوا يعاودون الطيب
صديقى وهم مكسورى السيقان وحين كانوا يخرجون بسيقاتهم المعبسة
كانت الوثائق مخفية داخل الجبس وتذاع فيما بعد على صفحات جرائد
الاتحاد والجمعيات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا . وقد قتل هذا الشاب فى
الثورة . ومذكراته عندي . كانت عيادته فى حى شعبي مركزاً لجمع
المعلومات ونقلها وتوزيعها . كان طبيباً فى غاية الأمانة والرقابة بحيث لم
يخالجنى شك أنه من أهل السياسة والعقد والإبرام والخصام والكفاح . لم
ير فى أى محكمة وكان يكتب روستاته ويحقق حقنة ويجمع المعلومات
للفدائيين ويوصلها إليهم .

- لماذا لا تذكر لى اسمه ؟

- ما أشد جرأتك لماذا أذكره لك وأنت سوف تدونه وتنصب به على
أحدهم ؟ لا لن يصل إليك شيء عن طريق اسمه . إن بعض هؤلاء
الأيطال كانوا يجعلون أنفسهم أسرى السافاك لأسباب واهية فارغة . كانوا
يدخلون السجن عن طريق أمثال حسين بور ويلقون التعذيب ويشترون

حرياتهم بدفع الرشاوى والاستعانة بهذا وذاك . حدث أن بعض هؤلاء الفدائيين مات فى السجن . قام السافاكيون بقتل واحد منهم بوضع رصاصات ونالوا عن ذلك مكافآت .

ثم صمت عدة دقائق ولم أرد قطع صمته . كان يجيل فكره ولم يكن يعرف هل يفشى آراءه أم يخفيها .

- كتم فى غاية السذاجة وكانت كل تحركاتكم حمقاء . كتم تتخيلون أن الجميع كان يصدق كلام رئيسكم حين يفخر بأن لديكم وسائل أكثر تأثيراً من عذاب العصور الوسطى . كان الأمريكيون الذين يحمونه يسخرون منه . كل ضغط له رد فعل . كتم تستخدمون معهم القوة وكانوا هم يعدون أنفسهم لمواجهةكم بالحيل . ذكر هذا الطبيب فى مذكراته أن الأولاد أبناء الستة عشر أو السبعة عشر عاماً كانوا يحتفظون دائماً بكبولات السم فى جيوبهم وكانوا يضعونها فى أفواههم إذا حاق بهم الخطر . لقد آمنوا بوجوب تغيير العالم . هل تعلم ما هو الإيمان ؟ كانوا يقولون إن الأمور لن تستقيم بمجرد الكلام والكتابة والدعاية . قال أحدهم : لقد أحاطوا عالمنا بسور من الحديد والرصاص وعلينا أن نخترقه ونفجره . لم يكن كلامهم هذا يعدو وهماً لكنه كان أمنية عزيزة . كانوا مفتونين بالإنضباط ولم يسمحوا أن يخالطهم أدنى ريب فى نتيجة تحركاتهم .

استمرت مناقشتى مع شيخك شهوراً فى أيام ما بعد الثورة وأنا الذى كنت حتى ذاك التاريخ أرى الدنيا من خارجها وربما بعين غافلة أيضاً وانتهى منها إلى نتيجة فى صالحى وبعد استشارة شيخك الذى قطع السمكة وذيلها وبعد مراسلة فرزان ، لا أقول اتنى أصبحت مؤمناً بل توجست من أن بعض ممارساتنا لم تكن عاقلة . ومن المسلم به أتبنى تأثرت فى تدوين هذه المذكرات ببعض أفكارهما .

على أية حال تمركز القسم الأساسى من نشاط الجهاز بين عامى (١٩٧١م و ١٣٥٠ هـ) (١٩٧٥ هـ و ١٣٥٤ هـ) على المثقفين والصحفيين والشعراء والأدباء والكتاب . هؤلاء الأساتذة والكتاب والفنانون وشباب السوق لم يعودوا أولئك الذين يجلسون فى إحدى الوكالات فى الخان ، بل كانوا يديرون أعمالهم فى الشوارع الراقية من المدينة بالتليفون والفاكس ويشغلون خاصة الصحفيون الناس بعضهم ببعض . صدرت الأوامر بعدم صدور نحو ستين صحيفة . لم يكن غير تأييد الحكومة سياسة أخرى لها وتنتشر كل أسبوع وأحيانا كل يوم صوراً للحضرة العليا وتفصيلات همة الأسرة المعظمة وأحلامها وتضحياتها وإشعارها . وكانت هذه لا تخرج على نقد كبار المسئولين حتى لا يمكن أن يشتتم . ولا قدر الله - منها رائحة معاداة لأسلوب الحكومة . كانت إشارة أو تلميح بين الحين والآخر كافياً لأن يتصور نقداً وجهه صحفى لأحد المسئولين بسبب غرض شخصى له . أوقفوا الصحف والمجلات . طبعاً . اشتروا مؤسساتها بأسلوب لطيف وسددوا قروضهم المصرفية وعينوهم فى وظائف تدر دخولاً مجزية بدعوى أن التليفزيون والإذاعة فى حاجة ماسة فى الأقاليم إلى تعاون الصحفيين . وأرسلوا البعض الذين كانوا يشاغبون رغم كل هذا الإحسان ممثلين للتليفزيون والإذاعة ووكالات الأنباء والأخبار إلى أوروبا وأمريكا . وكان بعضهم يقوم بالتجسس فيما بعد من أجل مع أنه لم يكن رسمياً موظفاً بالجهاز . بالاختصار قصروا أذياتهم إلى حد أن طامحاً منهم لم تبلغ به الجراءة على التكرار لكل هذا الإحسان .

وفى خلال هذه المعمة نال كثيرون أيضاً نذراً يسيراً من المال فى أثناء هذا الصراع انتحيت بدورى جانباً وأخذت أفكارى . كلفت بالتفتيش على جريدة (زيروزير) . عهد التيمسار الفريق بهذه المهمة إلى . فهمت لماذا اختارنى . حتماً أفهمه (حاجى على ساوجى) الملقب بالدكتور ييجن أو واحد آخر من أولئك الذين استفادوا جيداً عن طريقى . إننى

مساوم جيد وطبعاً أدفع الحقوق والمستحقات لمستحقها . ولسوء الحظ لم يعرفوا أن رجلاً داهية من مثل شيخك قنوعاً حاسماً لم يعد محل اعتمادى . ورأيت أن صحيفة مثل (زيروزيرو) ليست باللقمة السائغة ولا يمكنها إشباع بطن رجل كالتيمنار . ولحسن الطالع ابتسم لى الحظ وعلمت أن من وراء مدير الصحيفة أحد الرجال غير المعروفين والذي يدعى أهليته لشغل منصب رئاسة الوزارة . يجب كسبه . أكدت بقوة لهم أن حق هذا المدير أن يناله أربعة أمثال ما يدفع فى العادة للآخرين نصيباً . وأخذ المدير المسكين نصيباً تافهاً ودخل جيب التيمسار الفريق ثلثا الرشوة وكان نصيب الدكتور ييجن قليلاً . أما ما بلغنى من مال فقد كنت أتخيل أنه سوف يكون ذخيرة ليومى الأسود . ولكن هيهات .

وفى صيف ١٣٥٣ أنهى موت زوجتى صداعى الذى استمر بضع سنوات . بلغ بها الضعف حد أنها لم تكن تسأل عن ولديها . كانت فى البداية تسافر إلى كاشان وتبقى بضعة أيام ثم تعود . ولم يعد فيها قدرة . كانت فى نحافة الشعرة فى الشهور السابقة لموتها وتحول سائر جسدها إلى لون عناقيد عنب آخر الصيف . قضت مدة غير واعية ولا تقدر على شىء . كانت تن من فرط آلامها . كنت أجرى من هذا الطبيب إلى ذلك الصيدلى . كانت تزداد نحافة من يوم لآخر . فقدت كل شهية للطعام وكانت تتقيأ ما يوضع من طعام فى فيها . كانت محمومة على الدوام . أنقذها الموت من عذاب أليم . وقبل موتها بعدة أسابيع أتيت بالولد والبنت من كاشان إلى طهران وتركتهما عند أمى . كانت تبدو سعيدة بهما وراضية كانت تعتبر نفسها من وقت أن هربت رقية من المنزل وحيدة . لم يكن لها اختلاط بأحد . كانت تجلس وتدخن غليونها وتسبح بمسبحتها وتقضى بجوار باب الحجرة وتأخذ الغال بحبات الحمص . وإذ ذاك أصبح الطفلان اليتيمان

يدوران حولها ويشيعان فى المنزل حركة وجلبة . كان الولدان يتشاركان فى اللعب ويضاريان أولاد الجيران فكانوا يسامحونهما بسبب يتمهما . وجدت أمى ما يشغلها . كانت تعتبر نفسها ثانية اكبر الأسرة . لم أكن أفكر فى رقية وكذلك هى ، أو على الأقل لم تعد تظهر لى قلقها بسبب رقية ، إلى حدود علمى وتصورى بينى وبين نفسى فقد كنت أخشى من أن تكون على يقين من أننى سافاكى ولا بد أن تخفى عنى كل شىء . كنت أعلل نفسى بأنها نسيت مثلى رقية التى كانت أنيساً مؤنساً لها ذات يوم . أحياناً كنت ألوم نفسى لماذا لا أفاتح أمى بالحديث عن مصير رقية إلى بضعة شهور خلت كان أول سؤال يتبادر لأمى حين ترانى : هل علمت شيئاً عن رقية ؟ فكنت أشرح كافة مساعى للبحث عنها . كنت أقول لها لم أجد أثراً لها . فمع أننى لم أشارك فى تعذيب المساجين وضربهم لكنى كنت دائم السؤال والبحث عنها من زملائى ورؤسائى . ولم يكن يتبادر إلى ظنى أصلاً هل يمكن أن تكون أمى على اتصال برقية ؟

لم يرد اسم رقية فى أى ملف ، حسناً يمكن أن تعيش باسم آخر . ربما ليست فدائية من الأصل . لم أستطع مطلقاً أن أقبل أنها هربت للارتباط برفيق أو خطيب أو فاسق . كنت أقنع نفسى بأنها تركت لى الحبل على الغارب ولا تريد أن تتآلف مع أخ سافاكى . كنت أستشهد لنفسى بهذه العلة : حسناً إذا أحببت أن تتركنى ولا تتصل بى فلماذا وهى المؤمنة والصادقة أو الشورية تريد أن تمنعنى عن كسب عيشى وتحول دون ارتقائى فى الحياة ؟

كان ابني هاشم حين كنت أراه عند أمي في الأسابيع الأولى يسألني :

- لماذا لم تأت بعمتي رقية معك يا بابا ؟ .

كان معلوماً أن أمي أفهمته أن رقية تعيش معي وحين يأتي أبوك في المرة القادمة فسوف يحضرها معه . لكن هذا المرة التي كنت أذهب فيها إلى أمي لم يذكر هاشم شيئاً عن رقية .

كانت هذه الأفكار تطوف بخاطري حين أكون عند والدتي . كان عملي يحيطني بالمشاغل والمشاكل والسعي الحثيث والتزوير والاحتيال والخداع إلى الحد الذي لم أستطع أن أتذكر رقية . لم يكن لها ملف كذلك . لم تذكر جماعات الفدائيين على اختلافها شيئاً عن رقية . كانت صورة لفرزان استخرجوها فيما يبدو من بين وثائق بختيار قد أضيفت إلى أوراق رقية . لم يكن لديهم أي معرفة بفرزان باستثناء أنه كان ضابط شرطة ثم اختفى فجأة بنريعة سفره لكربلاء وجاءتهم عنه أخبار من بغداد وبيروت .

وبعد قفل أفواه المثقفين بذل الجهاز مرة أخرى فكره وذكره وهمه ومساعيه وأخذ يمارس في سائر إيران الاعتقال والاستجواب والتحقيق والتعذيب وقتل الفدائيين الذين وقعوا لتوهم في المصيدة والمجاهدين وأصحاب الملل التابعين لأية الله الخميني . في أحد الأيام تلقيت رسالة بمنزلي في نياوران غفلاً من اسم المرسل وعنوانه وتوقيعه وليس فيه غير هذه الجملة (أدرك مرضية فهي تموت) . وفجأة لمع ذهني . أسودت عيناى وداخ رأسى . وكانت هذه الحالة تحدث لى لحظة الاضطراب .

- سوف أصل إليه وأسوي حسابي معه وأقتصر منه بشدة .

- هل تريد أن تقطع عيشي هذا معه ؟ .

فأجبتة لا ، كن مطمئنا إنه دكتور ملعون لا يحل المشكلة راد أو نقص .
كنت متألماً حين كنت أودعه . كنت أود أن أشفه . كان هذا الرجل يحب يوماً رقية حين كانت تعاني بعد انفصالها عن زوجها بالطلاق وآلامه .
ضغطت بشدة على يده ولم يضغط هو على يدي . وحين جلست بالسيارة
وكنت أتبع ظله وسط زحام السائرين بالليل لاحت لي فكرة ووجدت
وسيلة المساعدة بدون أن يفهم من أين اتجهت إليه النعمة .

طرت من باريس إلى جنيف وقابلت عن طريق خليفة (مملوك) السفير
المتنقل الشاهنشاهي الذي يتولى الإشراف على جميع الطلاب في عموم
أوروبا . كنت أريد معرفة هل غير نشر صورة رقية كواحدة من بين
المخربين وضعي السياسي والإداري أم لم يؤثر فيه .

كان مسلك هذا السفير الكبير ، الذي يبدو أنه أدرك أهميتي وفعاليتي
بعد فضيحة الدكتور بيجن ، كثير الود وقضينا الليل في الحبور والانبساط .
ذهبنا إلى ملهى ليلي ولا عينا بضعا من الجميلات وعدنا آخر الليل بين
السكر والإفافة إلى مضاجعنا . وحين كان يودع أحداً الآخر كان سيادة
السفير من الإفافة حد أن يقول لي : - تعال إليّ غداً قبل سفرك . أمامنا عمل
مشترك لمدة نصف ساعة . إذا لم يكن لديك وقت أوصلك إلى المطار) .

كان مقصده التباحث بشأن عملائي . سألتني في مكتبه : متى سينتهي
تلاميذك هؤلاء من دراستهم ؟ كم بقي لهم من وقت الكسل والبطالة ؟
متى يعودون إلى إيران ؟ أفكر في تكليفهم بأعمال ألا تسمع أن الحديث
الآن يدور حول حقوق الإنسان ، والشاهنشاه مصمم على إعفاء الشيوخ
والعواجيز ولا بد في مقابلهم الاستفادة من الشباب الموثوق بهم
المخلصين للشاه .

راجعنا ملفات أهارى وخان على ودماوندى . قال حين وصل هذا الثالث : - اهتم به . لا يدرك هو دوره . يلعب على الجانبين معاً . عينه فى الجنة والأخرى فى النار . اتركه يقوم بأعماله . يفى بما نريد بالحالة التى هو عليها .

ضحكت وسأله : - نحن ناره فأين جتته ؟ .

فأجاب وهو يضحك أيضاً : - حيثما يقف رجالنا حتى الآن مستسلمين .

لم أقل شيئاً لأنى كنت أعرف أنه هو واحد منهم .

وتصفحنا ملفات آخرين ، كانوا من أتباعه هو .

أخرت السفر ساعة . درست ملف دماوندى فى مكتب السفير المتنقل حتى استكمل مستنداتى . وعدته بأن أراقبهم بكل حواسى .

سعدت وفرحت لأنى ما زلت حائزاً بهذا الحد على ثقة الشاهنشاه حتى يسمح لى بالتدخل فى اختيار الرجال ذوى الرتب العالية لبلادى . أيقنت أنه لم يلحق غبار قط بوجهى وأن مرآة حظى صافية لامعة . ألقيت نظرة أيضاً على ملف فرزان . لم أجده عندهم أمراً يزيد عما أعرفه أنا نفسى . طرت إلى لندن قبيل الظهر . اتجهت مباشرة إلى مكتبى . كان مكتبى يغص بالخطابات المرسلة من الزملاء والأعداء والحساد بشأن نشر صورة رقية . إلا الدكتور بيجن والتمسار الفريق فلم يصلنى منهما تقرير . فظننت إلى أن هذه المجموعة تدبر لى مصيبة . يريدون إعداد حذاء العثرة لى . كان حسادى (يضربون ويلاقون) أو يتوسلون بكل الوسائل المكيدة ، وكان واضحاً أن على أن أرشوهم وأخدعهم . لا يجب أن أتركهم يسقطون فى بئر الفضيحة من السقف على الأرض . كانوا يتصورون أن بإمكانهم

تكتيف يدي وقدمي ثم يبلغون هم مآربهم . أصبح من الضروري أن أعود إلى طهران وأفتح حافظة نقودي .

تلقيت رسالة من موسى جون تمتلي بالآلم . قص لي أحوال أمي أنها تحتضر وتصر على أن أعود للوطن بأقصى سرعة ولو لبضعة أيام (أمل أن يحدث تحسن) . لم أكن أستطيع أن أخيب رجاء . أردت أن أواسيه برسالة وأتعهد بأن أعود إلى أمي في القريب العاجل وحتى عودتي فإني أرجو من ذلك الذي كان صديقي ومعيني ومرشدي ألا يقصر في العناية بأمي في الدواء والغذاء واستدعاء الأطباء والمرضين لها ويجب أن يطمئن من أنني سوف أعوضه عن كل تعبته ومعروفه . كتبت الرسالة وكنت أرمع إرسالها لولا حدوث حادثة عجيبة منعتني من إرسالها .

كان الوقت جوف الليل . نظرت في ساعتى كانت تجاوز الرابعة بعشرين دقيقة . قال لي شخص بالتليفون إذا كنت بالمنزل فإن أحد أقاربك يريد الحديث معك بصورة فورية . سوف يدق جرس تليفونك بعد ساعة .

كان لي تليفون خاص في حجرة نومي لا يعرف رقمه غير أقرب الناس لي . إذا كانوا يطلبونني من طهران في أى وقت فكان عامل التليفون بالسفارة يذكر لي رقم الطالب وكان بإمكانى أن أتصل بنفسى بطهران . لكنى كنت أعرف صوت عامل التليفون ، أما من اتصل بى فكان رجلاً كبير السن غير انجليزى . فضلاً عن أنه لم ينتظر إجابة منى وحدثنى بالفارسية . وضع السماعة وبقيت أنا حائراً . غلب على الخوف . من هذا الذى يعرف رقم تليفونى السرى ويتصل بى فى مثل هذا الوقت ؟ يصدر أمره ولا ينتظر منى موافقة . وبعد مدة خرجت من حيرتى وقدحت زناد فكرى واستقصيت الأمور ومر بخاطرى ألف دسيسة . تصورت فى الوهلة الأولى أنها مكيدة دبرها لي حسادى وأعدائى . لكن من أين حصلوا على

هذا الرقم . تمثل لى فى الوهلة الثانية أنه جاسوساً أجنبياً تسلل إلى جهازنا
أخذنى الرعب . هل ثم خطر يتهددنى ؟ هل حدث فى طهران حادث ؟
ويريد أحد الأصدقاء وفاعلى الخير أن يحذرنى . قرعت جرس عامل
تليفون السفارة .

- هل أعطيت رقم تليفونى لأحد ؟ هل اتصلت بى ؟ هل يمكن أن
يكون هذا الرقم وقع فى يد غريب ؟ كان النفى إجابة كل هذه الأسئلة .
غادر النوم رأسى . نهضت . فتحت النافذة . كان الهواء رديئاً أقفلته .
خرجت من الغرفة . أخذت أذرع من هذه الغرفة إلى تلك الغرفة . تمددت
على السرير لم يمر نصف ساعة حتى دق ثانية جرس التليفون . رفعت
السماعة . لم يكن الصوت الأول كان شخص آخر غيره هو الذى يكلمنى ،
لكن صوته من الضعف بحيث لم أستطع سماعه . رفعت صوتى ، زعقت
أكثر من مرة . (صوتك غير مسموع . ارفع صوتك . لا أسمعك أترك
السماعة . أذكر لى رقم تليفونك ومديتك وأنا أتصل بك ...) لم تفلح
جميع محاولاتي . ألقيت بالسماعة بشدة . وعدت إلى ذراع الغرفات . لم
يعاودنى النوم كنت أود الذهاب بأسرع ما يمكن إلى مكتبى وأبحث عن
الجاسوس المفسد واستجوب كافة من أعطيتهم رقمى هذا هل يريدون منى
شيئاً . تذكرت أن التيمسار الفريق لديه هذا الرقم .

صار الوقت حوالى السادسة . حلقت لحيتى ، كنت أريد مغادرة البيت
حتى دق التليفون ثانية . كان هو الصوت الأول وقال (كان أحد أقاربك .
كان يريد أن يقول لك) كف عن عنادك قبل فوات الأوان وخلّص نفسك
من الخطر الداهم) .

ترك السماعة ولم يعد يسمع غير الصمت المطبق وبقيت السماعة فى
يدى هل يريدون السخرية بى ؟ سجلت المكالمة هذه المرة . أدت الشريط
وتعمنت بدقة فى كل كلمة فيها . (أحد أقاربك) كان يريد أن يقول لك

(كف عن عنادك) ماذا حدث ؟ ماذا فعلته ولا يجب فعله ؟ أقاربى : رقية ، والدتى ، موسى جون ؟ لا أحد لى غيرهم : ربما كانت أمى فمن أين لها هذا الرقم ؟ هل هى رقية ؟ أرادت أن تفهمنى أنها لم يقبض عليها؟ من أين اتصلت ؟ من طهران ؟ من مدينة أخرى ؟ من فلسطين ؟ من التيمسار الفريق أم من الدكتور بيجن ؟

ذهبت إلى مكتبى يسيطر على الخوف والوحشة والتردد . كنت أنظر حائراً فى وجوه جميع من أعرفهم . هل عندهم أيضاً علم ؟ هل سمعوا شيئاً ؟ هل خطر يتهددنى ؟ اتصلت بشيخك . لم يكن لديه ما يقوله سوى سخريته منى . ضحيت بعطائه تجنباً للقاءه . ذهبت إلى السفير متذرعاً زريعة . كان مسلكه معى عادياً . أمر بإحضار الشاى لى . تحدثنا لمدة نصف الساعة عن الأوضاع من خروج نيكسون من الرئاسة وأحاديث كثيرة متنوعة . سائر هذه الأعمال الشاغلة فى هذه الساعات العديدة لم تكن لتقضى على اضطرابى . كان قلبى يتزل فى قدمى فزعاً عندما يقرع أحد باب مكتبى . عدت إلى منزلى بعد الظهر . نمت نصف ساعة ، نهضت من نومى وصممت على السفر إلى طهران حتى أتفحص الأمر برمته .

رتبت أسباب السفر خلال يومين أو ثلاثة . استدعيت فى اليوم التالى كل الثلاثة إلى مكتبى خان على وآهارى معا ودماوندى منفرداً . آهارى الذى ذاق مكربى من قبل كان يحسب حسابى كالكلب . بل كان طوعاً لى ويرسل لى خطابات الانقياد ويتملقنى فى السنوات التالية حين كان يمكنه مضايقتى .

لم يكن الاجتماع بخان على وآهارى صعباً كثيراً . بدأت بالغلظة والخشونة : إلام يا سادة سوف تظلان معلقين ؟ إذا كتتما تحبان وضعكما هذا فاتركا الأمر ونخسر القضية . ألا تعلمان أن جميع هؤلاء اليساريين

وأعضاء الاتحاد أعداؤكم ؟ ويجب عليكم ألا تعطيانهم الوسيلة التي يهدرون بها كرامتكم . القضاء على جرائمهم بأن نكتب رسائل الدكتوراه وهذا الأمر يستغرق دائماً من أربع إلى خمس سنوات وليس أمامنا أكثر من سنتين أو ثلاث قبل أن نصل إلى هذه المرحلة نحاول أن نسلم رسائلنا للأستاذ المشرف بعد عام واحد ، والتبريرات التي سقمتها في هذا الموضوع لم تقنعني تماماً . ثم تلطفت في الحديث وشجعتهم وحفزتهم لكي ينهيا دراستهما بأقصى سرعة وأضفت : إيران بلدنا العزيز يتجه بسرعة إلى الارتقاء . سمعنا أوامر الحضرة العليا إن علينا أن نسبق خلال عدة سنوات البلدان الخمسة العظمى في العالم .

من يحقق هذا المطلب ؟ يجب أن يتحقق على أيدي أمثالكم من الأفراد فمن أين نحصل على الأفراد ؟

ألا ترون كيف أن الشاه يهتم بكم أيها الدارسون ؟ أنظروا إلى السيد آزمايش كان سيادته طالباً مثلكما قبل عدة سنوات وهو اليوم أحد مستشاري شاهنشاه ، يتولى رئاسة محافظة كبيرة بإيران ويديرها بعقل وتدبير ويدين كل شعب إيران بخبرته وبراعته . كيف حدث أن السيد دماوندى يتقدم عنكما ؟ صحيح أنكما تزيدان نشاطاً عنه في الأمور السياسية ، لكن هذا لا يكفي ، عليكم إنهاء دراستكما أيضاً بأقصى سرعة ولا تتخلفا عن دماوندى .

فقالا كلاهما بلسان واحد : أنه لم يدرس يا سيدى شيئاً في الأصل . وهناك من يكتب له رسالته : حسناً إذا كتما تواجهان مشكلة بسبب اللغة فاستعينا بأناس غيركما يعيشون في باريس وهم مستعدون لمساعدتكم .

وكان قصدى أن الفت انتباههما إلى فرزان . ولم أدع لهما فرصة لمداومة المناقشة والجدال . قمت من مكنتى ، فأطاعانى طوعاً أو كرهاً ونهضاً .

- أنا الآن ليس عندي وقت . تعاليا إلى منزلي الليلة في الخامسة والنصف لكي نتناول معاً كوباً من الشاي . أفصحنا لى عن أفكاركما وعداني بأن يعودا إلى إيران بلقب دكتور .

كان قصدى أن يذهبا إلى فرزان ويطلبيا منه أن يعد لهما رسالتى اجتهدهما وأرسلهما إلى إيران بلقب مزور .

وحين أتيا منزلى بعد الظهر تحدثت معهما بنحو أكثر صراحة . أفهمتهما تلويحاً وإشارة بأن يستفسرا من أصدقائهما ومعارفهما من يعمل بهذا العمل فى هذه المدينة ويمكنه أن يقدم لهما عوناً فى هذا المجال . لابد أنهما فهما مقصودى . إذا تطلبت مساعدته نفقات فإنه مصرح له من قبل وزارة التعليم بأن يتعهد أمرهما . وعدنى أهارى ورفيقه بأن يأتيا إلى بعد شهور عدة ومعهما رسالتان إحداها فى القانون والأخرى فى القانون السياسى .

ولم تكن ملاعبة دماوندى بمثل هذه السهولة . فما أن بدأت بالقسوة حتى غضب وشخط فى بأنه ليس من أهل العلم ولا يعرف هل العلم المسمى بالبوليتولوجى يشكل صعوبة خاصة للأجانب الذين يريدون نيل درجات الدكتوراه فى هذا البلد - لقائى بهذا الصبى الممخط الأنف وجه انتباهى إلى نقطة كانت قد صادفتنى حتى ذاك التاريخ لكنى لم أنفذها عملياً . تذكرت معاملة الدكتور بيجن والدكتور جهانجير وغيرهما لشيخك . فما أن يزج الجواسيس بأقدامهم داخل جهاز آخر حتى يبدأوا فى إظهار قوتهم وتهديدهم ويظهروا أن عظامهم ليست طرية . لكن هذا المغشوش كان قد دخل الميدان لتوه ولم استطع تحمل خداعه لى . فسددت عليه الطريق وكسرت متقاره وقاطعت حديثه قائلاً .

- ياسيد دماوندى ، اذهب وقل هذا الكلام لأبيك . نحن أيضاً على علم بهذه الحيل ومارسناها . أنت هنا أجير عندنا وعليك أن تنفذ مهماتنا .

لا يهمننا البوليتولوجى والسائس هل تظن أننى لا أعرف من يعد لك رسالتك؟).

حملته بعنف مالا يطيق حد أنه لم يجد مناصاً من أن يسحب ذيله ويمضى لحال سبيله . أخرجته من المكتب وقلت له (أنا ذاهب إلى طهران بعد عدة أيام) . وحين أعود عليك أن تخبرنى متى تنتهى رسالتك ، لا تخذعنى ولا تخذع أصدقاءك ، كونوا معاً هذا أفضل لكم . قال الشاهنشاه أن الشباب المتعلم يعود بأقصى سرعة إلى وطنه ليتسلم زمام الأمور) لقي من الخجل والإحراج ما لم يكن يصدقه هو نفسه . كان كفار مبلى يزحف داخل الشق رتب أسباب السفر . كلفت أحد كتبة السفارة بأمور الطلاب . أخبرت السفير بالهاتف أننى مسافر إلى طهران ، سقطت في يده ، فسألنى هل هناك أخبار جديدة ؟ .

- لم يحدث أى جديد . هدفى هو إعداد وظائف وأعمال للخريجين حتى لا يتشتت حالهم فى إيران وينشغلوا بأعمال فى أسرع وقت .

حجزت تذكرة الطائرة متعجلاً ، اشتريت بعض الهدايا للمعارف والمتظرين . اشتريت لرئيس الجهاز وعاء للفاكهة من الكريستال بسعر (٧٥٠) جنيها وأعددت بعضاً من علب السجائر الذهبية والمذهبة ووضعت ساعات وخواتم وهدايا أخرى لصغار الموظفين . امتلأت حقيبتى بالهدايا . دخلت طهران آخر شهر بهمن عام ١٣٥٣ واتجهت مباشرة إلى منزل أمى ، نفس هذا المنزل الحقيق الذى ولدت فيه وعشت فيه . كانت آثار الفقر والعجز والانهيال تثير من الباب والجدران الاشمتزاز . هزتنى الحفارة والبؤس بعد أن اعتدت النعيم والنعمة . طرقت الباب كثيراً حتى تمكنت والدتى من الوصول إلى درجات الباب وفتحه . تغضن وجهها كثيراً . لم يغط هيكلها غير الجلد والعظام الباهتة . كانت من الهزال بحيث كنت أخشى أن أحطمها على صدرى . انعقد لسانها ما أن رأتنى . أصيبت بالخرس . لم تقدر على التفوه بكلمة . كأن عينيها لم تعودا تريان .

تعرفت على صورتي . تحسست بأناملها الميتة وجهي . لا طفتني . رفعتها من فوق الأرض . ألقيت بساعدها على عنقي .

كانت أنفاسها تنقطع . حملتها إلى الحجرة وأرقدتها على السرير وجلست بجانبها ورفعت بكلتا يدي أصابعها الذابلة التي استحالت عظماً وقبلتها وسألتها :

- أمي كيف حالك ؟ .

-إذا لم تأتِ ماكنت رأيتني ثانية .

مكثت بجوارها بضع دقائق . غطيت وجهها . أخذت يديها الشديديتي الهزال في يدي :

- أمي العزيزة ماذا حدث لك ؟ .

أجابتنى بأنفاس متقطعة وبصوت خفيض : - ليس فيّ أي شيء . أنا بخير . أنا على ما يرام . كل ما هنالك أنني كنت متألّمة لأنني لن أستطيع أن أراك ورقية مرة أخرى ثم رفعت رأسها من فوق وسادتها . كانت تريد أن تقترب إلى أذني . قربت أذني إلى شفتيها ، وبيضاء كأنها تريد أن تفضي إلى بسر لا يجب أن يعلمه إنسان قط :

- رأيت صورتها ؟ .

هزّزت رأسي .

- هل هي نفسها . عيناى لا تريان جيداً . هل الصورة لها ؟ .

أخرجت من تحت المرتبة صورتها . ألفت بنظرة حواليتها وأرتنى صورتي رقية ، إحداهما من عهد خطوبتها والأخرى صورتها وهي محجبة . لم أسألها من أين حصلت عليهما . أغمضت عينيها . حركت شفتيها .

- طلب ألا أفضي بشيء لأحد . جاء بها خطيئها . يقول ان صورة المحجبة ليست صورتها . لاطفت والدتي . قبلت ما بين عينيها . كأنها

كانت تريد أن تنام . صمت كلانا بضع دقائق . كنت حيناً أنظر إلى وجهها .
و حيناً كنت أنظر من النافذة إلى الفناء الذى بدا لى أقل اتساعاً .

بدأت أمى تزمزم . كانت تريد أن تغنى . نفس الأغنية التى كنا نتغنى
أنا ورقية فى سن الرابعة والخامسة بها بعد موت أينا . كانت أمى تغنيها
وكنا نحن الاثنين نتراقص معها .

ليس فى القلب رغبة فى المراتع والصحراء .. ولا ميل للتريض أو
الفرجة .

لم تكن تعرف باقى الأغنية من الذاكرة فكانت هى تنسج الشعر بنفسها
الزمان لا يفكر فى التوافق معنا .. فلا راب لنا شئ لدينا ... لم أفهم
بقية الشعر . الصقت أذنى بشفتيها . سمعت رنينها . لم يكن يأت صوت
آخر ... برزت فى مخيلتى من الظلام آلاف الأخيلة ، وثمت وشبت
وانفصلت وولت هاربة . استعرضت حياتى فى بضع لحظات .

تبعث فى عالم الخيال الحجرة التى كنت أقوم بأعمال التجارة فيها .
كانت شجرة البقس تبدو من خلف زجاج النافذة . وكانت شجرة الخوخ
بذاك الطرف من الحوض الصغير كنا ونحن صغار نقطف ثمارها قبل
نضجها ونأكلها ونبصق تفالته . لم تظهر حجرتى . كان حائط طويل
بارتفاع مترين يخفيها . سمعت سابقاً أن أمى أجرتها لكسب معاشها ثم
باعتها . ذهب حدسى إلى أن الجهاز اشتراها لكى يطلع على من يتردد
على منزلنا . لا تزال سجادة عهد الطفولة مبسوطة فى الحجرة بقليل من
التغير . كان كرسي موضوعاً فى زاوية منها . فى مواجهة الباب لا زالت
المنضدة وعليها مفرش الحرير المشجر الذى أتيت به من لنجة من قبل ،
وشمعدان شمعتين ومراة هذا ما بقى ولا شئ آخر من آثار العهد الذى يوكى
فى هذا المنزل الحزين وكانت أمى المسكينة قد اشترتها أساساً لزواج ابنتها
عن طريق الاقتراض والاستدانة . وبجانب الشمعدان كان يرى المصحف
هدية رقية إلى أمها .

لم تستغرق هذه الراحة المبهجة غير بضع دقائق لكنها انقضت عمراً بالنسبة لى . استفاقت أمى شيئاً فشيئاً . قالت : - سأقوم لأعد لك شاياً . أذهب لأعد لك طعاماً للغذاء سألتها : - أمى من الذى يخدمك ؟ .

- موسى المسكين . أخذ إجازة منذ بضعة أسابيع ويظل على كل يوم . يشتري لى كل ما أحताجه يحمله لى . لم يقصر فى أى شىء يخص الطبيب والدواء . امرأته حين تجد فرصة تظل على ، الاثنان يحباني كثيراً جازاهما الله خيراً . والآن أخبرنى عن نفسك . هل أنت على ما يرام ؟ رزقك واسع ؟ .

ثم خفضت ثانية صوتها حتى لا يسمعها أحد مطلقاً .

- هل تعرف شيئاً عن أختك ؟ يقولون إنها صارت فدائية ؟ .

لم أكن أدري بأى إجابة أجيب قلت : هى فى الأمان إن شاء الله . - الحمد لله .

سألتها : - أمى الحبيبة ، ما أحوالك الآن ؟ .

- لا شىء . منذ أن عرفت أنك آت وصحتى فى تحسن يوماً بعد يوم . رأيت البارحة فى منام أن رجلاً أخضر العمامة يأخذ بيدك ويسلمك لى . تلك الحالة التى رأيتنى فيها بجوار الباب كانت بسبب جزعى عليك . أنا بخير الآن . سوف أرتب الآن كل شىء من أجلك . يمكنك أن تنام أيضاً هنا إن أردت . بيعت الحجرات التى بذاك الطرف . كنت فى احتياج . الآن أحوالى أحسن .

نهضت أمى على قدميها بينما كانت تتحدث . وضعت على رأسها طرحة سوداء وقامت بترتيب أثاث المنزل . كان المطبخ ودورة المياه بجوار

نفس هذه الحجرة . ذهبت برفقتها وغسلت رأسى ووجهى تحت صنوبر الماء . اضطربت لأننى لم آت بحقيبة سفرى معى ، سأمضى الليل هنا إذا لم أصحب أمى إلى منزلى .

ظننت أنى بحضورى إلى منزل أمى سوف أنفخ فيها وهى تقضى أيامها الأخيرة روحاً جديدة وأسعدتها ولو لمدة قصيرة . يجب العمل على أن نقضى فترة معاً . كان كلانا يحاول ألا يذكر كلمة عن رقية . كانت أمى قد أعدت لى حساء اللحم والخضار والكفتة وأتى موسى جون بخبز طازج معه . بهت حين رآنى . لم يكن قد سمع من أى مكان ولا من (العريس) الذى كان يراه حيناً حول البيت والفناء أننى راجع . وما إن سنحت لى الفرصة حتى اختليت به . سألته أسئلة عويصة عن أحواله وعمله وعن التوقعات التى لديه عنى عن حالة أمى وعن المصاريف التى أنفقها على علاجها ، ثم استقصيت منه عما يعرفه عن أحوال رقية ومآل حياتها . لم يكن يعرف شيئاً . رأى كغيرة الإعلانات الملصقة على البيوت والجدران . أخبرنى بأن أحد أقارب زملائه اعتقلوه فى قمشة ثم هاجموا منزله وقلبوا رأساً على عقب سائر أثاثات منزله وأخذوا معهم بعض الأوراق والكتب . اعتقلوا أيضاً زميله فى العمل لثلاثة أيام ثم أطلقوا سراحه . ولا يزال أحد أقارب صديقه هذا معتقلاً ولا يعرف عنه أحد شيئاً . رأى (العريس) أحياناً فى الشقة ذات الحجرة الواحدة التى باعها أمى . لم يستطع أن يحصل منه على معلومات أخرى .

قلت له : - لن أستطيع أن أبقى فى طهران أكثر من بضعة أيام . وأنت تود أن تجد هنا فى طهران عملاً أفضل . سوف أجد وسيلة أجعلك بها تستقر هنا . والأمر الهام الذى أريده منك هو أن ترضى والدتى بأى طريقة بأن تنتقل إلى منزلى . ترددنى على هذا البيت بعد هذا ليس من صالحى . نؤجر هذا المنزل أو نبيعه .

دست یدی فی جیبی لاناوله مالا . رفض . لم یکن یرید أخذه .
قلت له : - لا ترد یدی بلا مبرر . أنا لا أعطیک إحساناً . وإنما أقرضک
هذا المال وحين تجد وظيفة أفضل فی بنك أو فی السوق سوف تعیده لی .
ولا بد أنك أنفقت مصاريف علی علاج أمی ودوائها . باقی المبلغ أنت
تدين به لیّ وسوف ترده لیّ حين تحوزه أعطیته ألفی تومان . لم یقل كلمة
أخری . وضعها فی جیبه وقبلنی . کان استباطی هو أنه لم یکن يتخیل أن
المال الذی سوف أعطیه له بهذا القدر من الوفرة .

أمضیت کل یومی مع موسی جون . رأیته یجهل کثیرا عن العالم
الخارجی . لا یعلم شیئا عن أى شئ خارج ما یجرى فی أردیل وقم ولا
هیجان وفيما حوله .

كنت أريد أن أستدرجه لأعرف من کلمنی تلك المکاملة الغامضة . من
الذی أعطی رقم تليفونى إلى غریب ؟ سرعان ما زال الاشتباه لدى بأن
موسى وأمى یمكن أن یكونا هما اللذان أعطیاه . إذن تبقى رقیة نفسها
وأعوانها وأنصارها .

هذه الجماعة بالوسائل التى تحت تصرفهم یمكنهم أن یفعلوا ذلك . هل
یمكن أن یحدث شئ من هذا القبیل ؟ ربما یكون من بین زملائها
سافاكون ، یمكن لهؤلاء أن یتدخلوا بالشر بین اثنين . لیس الأمر صعباً
عليهم . وربما الروس لم یخترقوا الجهاز وأعطوا رقمی لأحد أعدائى الالداء
سراً . ویوجد من یعلم کم یدر عملی من ریح عظیم علی صاحبه . هم
من یريدون أن یسحبوا البساط من تحت قدمی . ظلت الف فكرة باطلة
تجتاحنى . لم أکن أجد أى مفر وحل . وفى النهاية حین أعجز یعود أيضاً
منظر التیمسار القبیح ویطانته یتصب أمام عینی . لن أستسلم لهم لو کان
علیاً جمالاً فإنه یعلم أين یتجمل .

استأذنت موسى جون واتفقنا على اللقاء السريع فى منزل والدتى وإذا أمكن فى منزلى . وفى الخامسة بعد الظهر استأذنت أمى واتصلت هاتفيا برئيس الجهاز وأبلغته أنى وصلت نفس ذاك اليوم من لندن وأود مقابلته قبل أى شئ آخر : (إذا سمحتم بمقابلة سيادتكم الليلة فى أى وقت تأمرون بمنزل سعادتكم لأداء فروض الطاعة والاحترام) . أبدى شديد اهتمامه . فهم على الفور أننى لم آت صفر اليمين . دعانى على العشاء أول الليل وتيقنت من عدم وجود مؤامرة .

اشتريت باقة ورد وذهبت بالتاكسى إلى منزله .

كنا فقط نحن الاثنين على مائدة العشاء . أفصحت له عن كل ما بقلبى . كان رجلا وديعاً . أعلن أن الفظائع انتهت تماماً فى سجن أوين وفى معازل السافاك من وقت أن تولى سيادته الجهاز .

رويت له بالتفصيل ما أضمره بقلبى . ذكرت له جميع مشاكل من نشر صورة رقية والمكالمات الغامضتين وتأييب أتباعى ومنهم دماوندى وكان هو يسمعنى ويعطينى من وقت لآخر الطعام والشراب ويبتسم . بحث له بكل ما يداخلنى وشعر هو أننى لا أبلغه شيئاً بل أبحث عن مخرج . وبعد العشاء وضعت على المائدة باقة الورد فى وعاء الفاكهة الكريستالى . مكث ينظر إليهما بضع دقائق وقال :

- ذوقك راقٍ جداً .

ثم جلس على كرسى وجلست فى مواجهته .

-قم بأعمالك ولا تشغل نفسك بهؤلاء المحتالين . الجهاز ليست لديه أدنى فكرة عن موضوع أختك . ولا يعلم أن هذه الصورة الثانية صورتها . الصورة الأولى كانت لها وقت خطوبتها أو زفافها . أنا لم أحط علماً بالطبع بجزئيات الملف ولا أعرف ما السبب فى ورود اسمها فى ملفات

الفدائيين . إذا لم تخنى الذاكرة فإن مدار الكلام عن سوار ظهر في منزل أحد الماركسيين الإسلاميين وادعى أحدهم أن السوار كان يتعلق بأختك .

وكنت قد درست ملفك قبل أن أقبل طلبك وأقرر مقابلتك . أنت منذ نحو ستة عشر عاماً حتى الآن تعمل في الجهاز ويعلم الجميع بوضعك ووضع أختك لم تقصر مطلقاً في عملك . كنت على العكس من ذلك سباقاً وجاداً في البحث ووصلت من وظيفة متواضعة إلى هذا المنصب الحالي . لا أعرف بالضبط من يتدخل بلا وجه حق في أمورك . لا بد أن الفريق التافه الذي لا يعرف السماء من العماء ويريد أن يسيطر على جميع الأمور في الجهاز هو من وراء ذلك . لقد حكموا دون أن يحققوا فسألت : - ذكرتم سيادتكم أن سواراً اكتشف في محل لتجمع الماركسيين ؟ .

- يقال إنه كان ملك أختك ، لا تبال . هذا ليس أمراً مستجداً . يوجد حول القائمين بالخدمات أشخاص منحرفون . يمكن أن أذكر لك أسماء بعضهم . راجع الشعبة المختصة فيما يتعلق بالسوار . انظر هل سبق أن رأيت هذا السوار أو تعرفه ؟ هل هو فعلاً ملك أختك ؟ .

كنت أستاذة السيدة زوجته في القاعة الكبرى حين ناداني ثانية وقال :

انتظر . تفضل اجلس دقيقة . لدى مذكرة تتصل بعملك . حسناً طالما أنت هنا فأجل سفرك واشترك في المؤتمر الذي سيعقد بوزارة الداخلية بناء على الأمر الملكي حول إعادة النظر في أسلوب إدارة البلاد وفق المقتضيات الراهنة . هل لديك الفرصة في أن تعود إلى محل عملك متأخراً بضعة أيام ؟ .

فقلت : - أنا طوع لكل أمر تأمرون به . مهماتي في السفارة تسير سيرها العادي وهم يحيطونني علماً بها كل يوم . ولو اقتضت الضرورة أعود لمدة يوم ثم أرجع .

- حسناً جداً . قال هذا وهز رأسه ونهضت أنا .

وفي صباح اليوم التالي عرجت على شعبتى بدون انذار سابق . بهت الدكتور جها نجير حين رأى متصوراً أنهم أنزلوا بى الهوان . وما أن رآنى أدخل بعنجهية وكبرياء وأصدر أمرى بأن يأتوا إلى بملفات الفدائيات حتى فغرفاه دهشة . رفع السماعه ولم أفهم هل كان يطلب إذناً من رئيسه أم كان يأمر بأن يأتوا بالملفات . لم يأت أحد بالملفات وأتى سافاكى مبتدئ ومغمور وأدى إلى احترامه واصططحبنى إلى شعبة الاستجواب وكان معلقاً على حائط فيها صور خمس من النسوة . نفس الصور التى نشرها فى المدن ورأيت فيما مضى نسخة منها فى باريس عند شيخك . وجدت فى الملفات صورة خطوبة رقية والصورة الثانية بعدها بعشر سنوات أو اثنتى عشرة سنة يمكن أن تكون لأختى ، غير أن الحجاب الأسود الذى غطى كل وجهها ولم يكن يظهر غير دوران الوجه . لم يمكنى أن أحدد إذا ما كانت أم لا . هى . وقد زاد من الغموض وجود نظارة سوداء على عينيها طبعاً يمكن أن تكون صورة رقية لكننى أنا أخوها أشك فى هذه الحقيقة .

أمرت بإظهار كل ما حرّروه من منازل النساء والفتيات الفدائيات لى . فقمّت بفحصها وكانت بعض الكتب وبعض أشياء وأغراض أخرى كان المسئولون يحققون فيها .

كان السوار فى كيس من النايلون وهو الذى اشتريته من ميناء لنجة . لم أبدأ أكثرأناً سألتهم : هذا السوار ملك من منهن ؟ .

أجابوا : كانت واحدة فقط تعيش فى هذا المنزل حتى الآن من خمس نساء ، فقبض عليها واختفت الأخريات . أدعت هذه المرأة أن ليس لها علم بأى شئ ، وأن أمها التى ماتت أجرت الحجرة لامرأة تجهل هى اسمها وكانت تتردد على هذه الحجرة بضع نسوة أخريات لم تكن تعرف

أسماءهن . ويبدو أن المخربات خدعن تلك المسكينة الجاهلة واستأجروا منها
الحجرة . ولم يضبط أى شئ آخر .

فسألتهم : فمن أين جاءت صورة رقية ؟ .

- السوار كان ملك رقية . أكد هذا أحد معارف رقية .

تنبّهت للحقيقة ، اكتشفت آثار الدكتور بيجن و (العريس) .

ذهبت أبحث عن الدكتور بيجن و (العريس) . حكيت له عن كل
شئ . كان الخطيب أو العريس قد أكد أنه رأى هذا السوار فى يد رقية
وقت حبه وولعه بها ولا بد أنه ملك لها أو كان ملكاً لها . دقت الفكر .
إذا افترضنا الآن أن هذا السوار كان يوماً ملكاً لرقية فمن أين نستنبط أن
رقية كانت تعيش بين النساء الخمس فى هذه الحجرة . ربما أيضاً كانت رقية
باعت السوار ثم وقع فيما بعد بأيدي إحدى المخربات اللاتى كن يردن بيعه
للانتفاع بثمنه فى أمورهن . صورة رقية الأولى كانت نفس الصورة التى
بحوزة العريس لكن من أين أتوا بالصورة الثانية ؟ الأخ نفسه لا يتعرف
على اخته منها . ليس من دليل على أن رقية كانت على علاقة بهولاء
النساء الأربع المفقودات الأثر . طبعاً يمكن أن يكون السوار بلا شك قرينة،
ولكنه ليس دليلاً .

تشاجرت و الدكتور بيجن . اتجهت إلى منزله . كانت لافتة منزله
لا تزال تحمل اسم الدكتور بيجن . تخلصت من زوجته . أمسكت به .
قبضت على الحاج على الساوجى وحيداً فى منزله الذى اكتسب إذ ذاك
مظهر بيوت الأعيان وتجهيزاتها وتخلّى عن حالة منزل (العريف أول) .
قلت له بمجرد مقابله : (يا حاج على ساوجى) مع من أوقعت نفسك ؟
هل تظن أنك تستطيع أن تطعننى من الخلف ؟ هل وبقوة التيمسار الذى
كنت يوماً جندي مراسلة لمنزله ، تنظف دورة المياه فيه تستطيع أن تقضى

على ؟ الآن انكشف المستور . ما الذى يمكن للتمسار أن يقدمه لك ولا أقدمه أنا لك ؟ كف عن عنادك . تعال وضع يدك فى يدي . لو كان لديك فهم وشعور لكنت أدركت حتى الآن أننى كنت على الدوام ظهيراً ومسانداً لك . أنت من الذكاء بالحد الذى يجعلك تفهم قوتى الآن .

كنت كلما حاول أن يقاطعنى أمنعه وأحبطه تماماً . لم يكن يكفينى جمل مثل (أنا دائماً كنت صديقك وخادمك) (لم أتجاسر) (الآن أيضاً أطيع كل أمر تأمر به) قلت :

- ماذا حدث ؟ وتذكرت فجأة رقية . لماذا ؟ هل تريد أن توقع بى ؟ ماذا ؟ هل بإمكانى أن أملاً جيوبك أكثر أم تيمسارك البائس الذى صار موضع غضب الحضرة العليا الهمايونية ؟ .

كان « يهاجم مرة ويهادن أخرى . » ويقول (ليس الأمر هكذا) (ظهرت فى النهاية وثيقة وكان لا بد من التحرى عنها) . كنت أشخذ المثقب أكثر حتى قطعت به عرق منامه . كشفت له عن قضية مرضية . قلت : (أطلقت سراح عدو للشاه اشترك فى اغتيال العقيد أركان الحرب مقابل رشوة قبضتها منه) .

ارتفع صراخه .

- لا تزعق . هل تعلم معنى هذا ؟ .

أراد أن يقول (كنت ...) فكتمته بقولى : من الذى سوف يقبل دلائمك الفارغ ويرمى بكلامى على الأرض ؟ .

أجبر على التراجع ، ارتبك وتلعثم . خاف أن تضيق منزلته ووضعه الذى ظل لسنوات طويلة بينه بطلوع الروح وتديير المكائد والغش . ترفقت فى حديثى آنذاك وقلت (لا يمكنكم أن تطرحونى جانباً كيفما اتفق .

زعماء أعداء الحضرة العليا من أعضاء الاتحادات تحت ركابى . أقوم بترويضهم جميعا . تحركاتهم مرصودة . أراقب أيضا تشكيلات رجال الدين فى أوروبا . جرابى مملوء . لن تستطيع أنت والتمسار السيطرة على . قل له أن يسترو مونيكاً صاحبة القدرة ولا يثرثر . وانتع جانبا ولا تتدخل فى الأمور العالية . وإلا سوف تنال أجرك منى) .

وأخرجت من جيبى علبة سجائر ذهبية ونحاتما فيروزي الفص وقلت :
- أتيت بهذا هدية لك ولزوجتك لكن بشرط ألا تصب يا حاج على الماء فى طاحونة الأعداء ثانية وإلا فسوف ألعب بالرهان الأخير .

وعدت بالليل إلى منزل والدتى . كانت قد أحسنت ترتيب الحجرة فرشفت فى وسطها سفرة بيضاء وكانت الشمعدانات تبرىق ، وبوسط السفرة كان مصباح مرتفع القاعدة مضاءاً ، بينما أنارت سقف الحجرة لمبة بقوة مائة شمعة . سألتها .

- ما كل هذه المصابيح التى تنير بالجاز والكهرباء ؟ هل ستستضيفين بلداً بأكملها ؟ .

- كل ما فى الأمر أن الكهرباء تنقطع أحيانا . تعودنا هذا . فلدينا مصابيح الجاز ومصابيح الكهرباء .

فسألتها : ولماذا كل هذه الترتيبات ؟ .

- دعوت موسى وزوجته الليلة - وهذا من أجلهما .

حقاً استردت أمى حياتها بعد خمود ولم تكن تلك التى كانت متتهية نهاراً وما أن سمعت طرقات الباب حتى همست أمى ببطء فى أذنى :

- لا تقل شيئا عن رقية . أمراته غريبة لا نعرفها .

جاء الضيفان . كانت مینجة هاتم زوجة موسى جون جميلة وجذابة ، اهتمت كثيرا بزيتها وماكياجها . بمجرد أن كان أحد يخاطبها ، كانت تبسم لم أفهم هل كانت تعرف الحقيقة أم تجهلها . كانت تفهقه بشدة أحيانا إذا طاب لها الكلام . عرفت أنها كانت جاهلة تماما بأمرى وعملى وكانت تظن فيما يتصل بى أننى ذاك العظيم ذو الوقار والعقل الذى سقط من الفردوس الأعلى على بلاد الخراب العتيقة هذه .

وبدا موسى جون الشكوى من عمله . أموره لم تكن على ما يرام . الحياة فى المدن الصغيرة لا تكلف كثيرا . كان يوفر أيضا بعض المال . لكن صبره يكاد يتفد فزوجته لا بد أن تعود إلى أسرتها شهريا ويبقى هو وحيدا . أهل مدينة (فا) وديعون لكنهم محدودو الفكر ويلا تجارب . لا تزال كثرة من نسائهم تخفى أموالهن فى جواربهن وزوجته لا يمكنها الاختلاط بزوجات رؤساهم الأقسام لأن لكل منهن مشاكلها الخاصة وكانت تبالغ فى الذهاب إلى ضيافاتهن . كل هذه الشكوى أول خيط يمهّد به موسى جون فى حضرة زوجته المجال لانتقاله إلى طهران وكنت أحفظ كل هذه الحكاية وأفهم أنه يريد إرضاء زوجته .

كانت أمى مع شيخوختها ووهنها مدركة كيف أن موسى الذى كان يباهى يوما بحديقته وحوض سباحته يتملقنى الآن وينافقنى ويسعد بهذا النفاق . لكنها كانت متجاهلة ولا تسعى بكل ما لديها إلا أن يسعد ضيفها . كانت ليلة هائلة وكانت روح رقية الخفيفة ترفرف فوق رؤوسنا . كنت راضى النفس ، فلن يؤدي نشر صورتها إلى القضاء على . كانت أمى تهتم بأن تضع وسط المائدة طبق الأرز حين انتفضنا جميعاً بغته من مجالسنا على صوت تحطم زجاج النافذة المواجهة للفناء . أصاب ظهري حجر مدبب وكنت جالسا وظهري إلى الشباك . وثبت من مكاني كطائر الكركى .

أخرجت مسدسى من جرابه المعلق بصدري . قلت لموسى : انتبه للمرأتين .
أنا ذاهب لأرى ماذا حدث لم يدر بخيالهم قط ما سبب هذه الحيرة
والارتباك . أيقنت أن الهدف إذا لم يكن اغتيالى فقد كان إرهابى على
الأقل . هذا هو مسلك رفاق رقية الذين يراقبوننى على الدوام فى لندن أو
(كذا كلاتر) . فى منزل والدتى كان الجيران فى الحارة قد خرجوا من
منزلهم ، سألتهم : هل ألقى أيضا بأحجار على منازلكم .

فأجابوا جميعاً معاً دفعة واحدة : لا ، رموا بجذاذات من الورق .

رأيت (العريس) يختطف مرتبكا الأوراق من أيدي الناس ويجمعها .
أخذت من يده واحدة وقرأتها . قرأت نفس الجملة التى سمعتها منذ فترة
مضت فى التليفون : (كف عن عنادك قبل فوات الأوان . إمضاء جمعية
الإرشاد) .

كان الخطاب هذه المرة بصيغة المفرد . لم أشك فى أننى كنت الهدف .
سألت (العريس) :

— ماذا تفعل هنا ؟ ! .

— (كنت أحرسك قلت لى أنك أنت موجود هنا وكان لدىّ خبر عن
أن الماركسيين الإسلاميين هم أعداؤك الألداء . ومكان تواجدى فى الأصل
هذا . أقضى أغلب الوقت فى هذه الحجرية فى نفس هذا الفناء الصغير
الذى اشتريته من السيدة والدتك . وحين تولى غيرى الحراسة الليلية أعود
إلى منزلى .

— هل كنت تراقبنى أيها النذل أم تراقب كافة المنزل ؟ .

— لو تكلمت لاتسألنى .

— أنت الذى سلمت صورة رقية للجهاز ؟ .

- وهل كان بإمكانى أخفاؤها ؟ أنا ربيب نعمتكم .
- وكيف وصلتهم الصورة الثانية ؟ .
- الصورة الثانية ليست لرقية .
- ومن أين تعلم هذا ؟ .
- سيدى اتركنى اكل عيشاً .
- أجب على هذا السؤال وسوف أحملك ولن أسمح بقطع عيشك .
- ذلك الملعون هو الذى أعد تلك الصورة حتى يحطملك .
- من الملعون هذا ؟ .
- من لم يعد الآن كما كان ويعملون على طرده .
- الدكتور بيجن ؟ .
- أنا لم اذكر اسماً .
- أخرجت حافظتى من جيبى ووضعت فى جيب معطفه ورقتين أو ثلاثاً من أوراق النقد من فئة المائة تومان . ربتُ - اى كتفه ومسحت بلطف على قفاه . انحنى العريس ليقبل يدي . لم أدعه
- أمضى يا بنى وباشر عملك . انتبه بأقصى ما تستطيع إلينا أنا ووالدتى . أنا سأغادر هذا المكان ، لكنى على يقين الآن من أنك سوف تحافظ دائماً على حياه والدتى .
- أنا محسوبيكم .
- ماذا تعرف عن رقية ؟ .

- لا شئ على الإطلاق .
- أصدقنى القول .
- أقسم بريشة تاج الحضرة العليا أن أحداً لا يلدى عنها شيئاً .
- أذهب وياشر عملك .
- سوف أبقى هنا حتى شروق الشمس وأعمل متبهاً على ألا يقوم أحد بخلل . ولو أمسكت بأحد من هؤلاء الإرشاديين فسوف أحاسبه حساباً شديداً .
- انقضت نصف الساعة وأنا أتحدث فى الحارة مع العريس وبقية الجيران وظل موسى يفتح باب المنزل مراراً ويطل برأسه ، هدأته وقلت :
- لم يحصل شئ ، هدى السيدتين . قل لهما إن الأطفال القوا علينا أحجاراً وأصاب أحدهم رجاء نافذتنا .
- كان موسى أكثر حنكة من أن يصدق هذه الكذبة . قلت له ثانية حين أطل برأسه فوق السرير من النافذة رتبوا البيت قليلاً . سوف نغادره الليلة . أعد أمى لكى نتقل سوياً إلى منزلى .
- وحين أقمنا منفردين أنا وأمى فى سكنى فى نياوران سألتنى :
- هل كان الملقون بالأحجار هؤلاء أعداء رقية ؟
- قلت : لا يا أمى كانوا أصدقاء رقية .
- كيف ؟
- يا ماما أى انكار فيه تحطيمى .
- وحين ذهبت إلى الجهاز فى صباح اليوم التى علمت أن أحجاراً كثيرة

أقيمت في أحياء (باجنار) و (خيابان ما شين) و (سنكلج) و (تجريش) و (يناوران) واعتقل العشرات . ولم يكن الوقت يبلغ العاشرة حتى اتصل سكرتير رئيس الجهاز تليفونيا ليقول : سوف يعقد الليلة في الثامنة مؤتمر (إعادة النظر) فادرس ملفات الجميع حتى تكون على علم بها . قال سيادته لا بأس في هذا .

ولم يكذب يضع سماعته حتى أتى ذاك الموظف السافاكي المبتدئ إلى مكتب الدكتور جهانجير واقتادني إلى شعبة أخرى . رأيت هناك على المكتب ملفاً ضخماً جديداً تصفحته لعدة ساعات حتى أتعرف على المشاركين في المؤتمر . تعرفت على بعضهم من خلال صورهم أو من خلال أسمائهم .

دونت ملاحظات حول بعضهم واستعددت . كان جميعهم من المخلصين للشاه ومن منهم يجرؤ بالتلميح أو التصريح علي مناقشة الحضرة العليا . كان لكل منهم فضيحة لكن إخلاصهم للشاه كان غطاءً لأخطائهم . وصلت إلى قاعة المؤتمر قبل بدء أعمال المؤتمر وصافحت أولئك الذين كنت أعرفهم في أوروبا وتغاضيت عن أنى على علم بما ارتكبوه من تزوير وخداع ، وأنى أعرف ما قاموا به من حيل حتى وصلوا إلى ما هم فيه . قاموا بتقديمى إلى أصدقائهم وسرعان ما أدرك الجميع من أكون . أفتح رئيس الجهاز المؤتمر . كان الجميع حاضرين ، المديرون العموميون ، رؤساء القطاع الخاص ، رؤساء البنوك والشركات الحكومية وإمام المسجد الجامع وكبار الوعاظ ، وممثلوا أركان حرب الجيش والشرطة والأمن والمشرف على المرافق العامة . أثنى رئيس المؤتمر على معرفتى بجميع الطلاب في أوروبا وباطلاعى الكافى والوافى على آمالهم وحاجاتهم وأيد الرأى القائل ان الأمور المستقبلية للبلاد يجب أن تظل فى أيدي المخلصين للوطن سواء فى الخارج أو بداخل البلاد وأن الصلاح فى الإفادة بخبراتهم ، وأضاف : -

- إنهم لم يتمكنوا من الاشتراك بانتظام فى المؤتمرات فى كل الأحوال لكنهم سوف يحضرون حين تقضى الضرورة .

أظهر الجميع سعادتهم وهزوا رؤوسهم وابتسموا لى وكانوا جميعا من الذكاء لكى يفهموا من أكون . رأوا جميعا أهمية التفاهم معى .

كان النقاش فى الطريقة التى يجب اتخاذها والوسيلة التى ينبغى استخدامها حتى لا تنقضى قوة الشاهنشاه وحكمته وتوجيهات الحكومة وتصل الصلاحيات تدريجياً إلى أيدى ذوى الخبرة . ولا شك فى أن الشرط الأول هو أن يتأكد بقوة أساس الدين والثقافة والشعب تحت الشعار العظيم (الله . الشاه . الوطن) . وفى الأمور الفورية والمصيرية والحتمية التى تهيمن على المصالح العليا للبلاد والتى لا يفهم الشعب ضرورتها فسوف يعلن عن طلب الرأى والمشورة بالشكل الذى يتصور الجميع به ويتيقنون من أنهم بأنفسهم أخذوا مثل هذا القرار غير الشعبى .

وألقيت كلمات تفيض حماسة ، كان كل منها أبلغ وأغر من الأخرى حتى أثارت شوقى ، وكنت غافلاً ، وتمنيت أن تتحقق كل هذه الأمنى . وأخذ خطيب آخر يتقد ويرفض ويبين أن الرؤساء ذوى النوايا الحسنة وقعوا تحت تأثير أفكار البلاد الغربية التى تجر أوروبا وأمريكا إلى ورطة الهلاك . وكان البعض يتفلسف بكلام مستغلق حيناً ويستشهد بالشعر إلى حد إنى لم أكن أفهم لغوهم ولا أسمعهم أصلاً وكنت أرى خلف خيوط عنكبوت أقوالهم وخطبهم شكل الخطيب وصفاته التى وضعتها فى ذهنى من خلال الملفات .

منذ سنوات عديدة خلت ، قضى رئيس الشرطة بضعة شهور فى سجن البوليس الحربى بتهمة بيع أسلحة لعشائر (البوير أحمديين) . ونجح محاميه فى أن يثبت أن موكله لم يرتكب جرماً وأن هذه التهمة رماه بها رؤساء العشائر المعارضون له واستند بخاصة على هذه النقطة وهى أن كافة عشائر فارس وقبائلها استقبلت أثناء رئاسة موكله الشاهنشاه الحبوب بالاحتفالات المجللة أثناء سفر الحضرة العليا إلى الجنوب ولم يتقدم أحد بشكوى ، فبرئت ساحته .

كان وراء كل منهم مصيبة أو كما يقول المثل : (حين تمسك قربة كل منهم تخرج منها دودة) . كان ممثل أركان حرب الجيش عقيداً مدمناً للمخدرات . أثناء مكافحة المخدرات هاجم الجنود المبتدئون منزله ووجدوا فيه بعض الكوكايين . كان بدرجة نقيب فى ذلك الوقت . وعلى أثر التحقيق فى هذا الحادث . أذيع أن الجنود أنفسهم هم الذين أدخلوا الكوكايين إلى منزله ، ولم يستطيعوا معالجة الأمر مع أنهم أخبروا أحد نقباء الجيش . وكانت فضيحته آخذة فى الزيادة حتى تدخل أهله ومعارفه ونجدوه . وفى النهاية أجبروا موظفاً صغيراً على الاعتراف بأن الكوكايين المسروق من أحد المهربين أدخل على سبيل الخطأ إلى منزل النقيب ونسى أن يحمله معه . حبس هذا التعيس عدة شهور حتى توسط من أجله سيادة النقيب واشترى حريته .

والأجمل من كل هذا قصة رئيس المرافق العامة الذى يصل بنسبة إلى الشاه طماسب الصفوى . كان عليمأ بكل الفنون . اشتغل فترة فى الكتابة الصحفية ، ثم سمساراً ، ثم رفع علم (جمعية مكافحة الفساد) عمل مع البغايا والدواعر وشغلنهن لحسابه ووصل الأمر إلى المحكمة وأهدرت كرامته

أثناء الانتخابات حتى تدخل أتباعه وسويت المشكلة بتوسط أحد الوزراء وأنقذوه . أخرجوا أسمه من صناديق انتخابات مدينة (باسوج) شمال غرب شیراز - فلم يعد أمامه مناص من أن يتصرف وكأن علي فمه خاتماً بخاتم علي فمه فلا يتحدث بغير الحمد والثناء على القائد العظيم الشأن . وسوس إليه الشيطان ، وانتقد يوما في مجلس الشورى الوطنى وزيرا أنجاه من مصيبة من قبل ، وكان هذا وقت أن أسس الشاهنشاه حرب (إيران الجديدة) ، وحيث أن جميع الصغار من الأتباع . كانوا يجترون الأوامر الملكية فقد أصدروا الأوامر وسمحوا علي سبيل التمويه لبعض النواب البارزين يهاجموا ويدافعوا ، وهذا يظهر إيران بلداً ديمقراطياً وهكذا تكلم أفواه الشيوعيين وأتباعهم فى أوروبا الغربية بهذه الحيلة . لم يكن يعلم أن الشاه كان قد طلب خياطين لا سروجيين ولم يدقق نائب ياسوج البائس كثيراً فلم يعيدوا انتخابه ولازم بيته متعهداً برئاسة المرافق العامة حتى لا ينقطع رزقه .

لو أردت أن أكتب - شرحاً فى ارتفاع أمر كل منهم لنقد صبرى وصبر القارىء ولضاعت تلك القروش التى ربما تكون من نصيبى

لكن لا بد من ذكر أن أحد هؤلاء الدواهي لأنه سىء الطوبة كثيراً ولا يحب أن يقلع عن شره . هذا السيد هو رئيس (شركة الأقمشة المنسوجة) وهو أحد أشد النصابين وأكثرهم وقاحة ومكراً فى العالم . كان فى البداية إمام مسجد سوق صناع الصفيح . كان أحيانا يقرأ الروضة ليلاً فى سوق الحدادين بمنازل الحرفيين . كان يركب حماره ويطوف به من هذه الحارة إلى تلك وإذا لم نقل أنه شحاذ فلا أقل من ذكر أنه كان يفرح بجمع

الصدقات، ويرفع كف الضراعة بالشفاء للمرضى لينقلهم من المرض ويعد ذلك وعلى أثر علاجه لعدد من المرضى بردهم إلى طيب الحى ذاع صيته وأخذ يمارس التنبؤ . كان يعلم أن فلاتا الزبون يعجل بالسفر ويجمع ثروات ويرتقى مكانة عالية ويعطية الله ولداً وتترل به مصيبة كبرى فيعجل لمساعدته ويعيد إليه سعادته . كان يأخذ الفأل ويقرأ الطالع ويستشير الرمل والاصطرلاب ويعيش . وفجأة انتهى وتزوج أرملة غنية عملت ضررتها بالسحر والمندل وكانت تريد أن تدس السم اليه قفز إلى منزل الأرملة السابقة وأقام فيه . خلع العمامة ولبس القلنسوة وأدار وكالة فى سوق الأتراك وشغل الصبيان والكتبة وأفلس . طلقت الأرملة نفسها منه فاضطر إلى الفرار إلى منزل زوجته الأولى خلع القلنسوة الطويلة وعقد الكرافته حول عنقه ولبس البنطال المكوى وأراد هذه المرة أن يأكل عيشا من السمسة . كان يتوسط بين الباعة والإدارات الحكومية ينهى المشاكل بين الطرفين فكون ثروة وأسس شركة (شراء البضائع الوطنية وبيعها) واستطاع أن يقترض مبلغا عظيماً من البنك التجارى وبيع البضائع المستوردة فى شركته التى أنشأها ويعد من كبار رجال الاقتصاد بإيران . وتصالح مع طليقته وخذعها لكى تترك ثروتها تحت تصرف زوجها . ازدهر أمر (شركة شراء البضائع الوطنية وبيعها) وبهذه الصفة يحق له بلا شك أن يشترك فى مؤتمر (إعادة النظر) .

كانت خطبة رئيس الشركة هذا حول تعميم اقتصاد البلاد وإعطاء الدور للرأسماليين الصغار بحثهم على تأسيس الشركات وإلغاء الاحتكار الحكومى وأشار إشارة قصيرة إلى وجوب

سحب المحيطون بالبلاط أيديهم من الصفقات الكبيرة الأجنبية خاصة في مجال شراء الأسلحة والآلات الصناعية والفنية العسكرية والملاحية في البحار والفضاء وترك ذلك للشركات الوطنية لأن ذلك سيعّد من أكثر الدوافع تأثيراً على دفع سائر أعضاء المؤتمر إلى التفكير والتحمس للتوفيق بين مصالحه الشخصية والمصالح العامة . أضيف أن ممثل وزارة الثقافة والفنون وهو أحد أساتذة الجامعة وصديق وزير أمور الشاهنشاه أيد نظرية الليبرالية الاقتصادية هذه حتى رئيس الجهاز كان يعتبرها - جديرة بموافقة الشاهنشاه إلى حد أن هذا الأستاذ تناسى أنه بعد أمتهارة خاصة حول تأسيس جامعة همدان وتحديد مكان إنشائها بسيارته ، اشترى لنفسه بضعة آلاف متر وباسم وزارة الثقافة والوزير وسجل عقدها قبل أن يعلم أهل المنطقة بهذا القرار وترفع الأسعار نتيجة ذلك .

وشاعت من ذلك الوقت كلمة (الليبرالية) وأعتبرت الخطوة الأولى نحو (الاقتصاد الحر) في البلاد .

لم أستطع الاشتراك في هذا المؤتمر أكثر من عدة مرات وعدت بعد ثلاثة أيام بتصريح من رئيس الجهاز وتقرر أن يبلغنى حينما يتخذون قراراً يحتاج إلى مساعدتى .

عدت إلى لندن واستدعيت الطلاب المؤيدين للنظام الذين يتجسسون لحساب الجهاز واحداً واحداً وأفراد الجمعيات المختلفة المؤسسة في مدن أوروبا المختلفة ونبهت الجميع إلى أن إيران فى حالة التطور والتكامل تحت قيادة حضرة الشاهنشاه العليا ومن أجل تنفيذ المهام الصعبة التى تواجهنا من قبل بناء المفاعلات النووية وصناعة الغواصات والكمبيوتر والسفن العابرة للقارات فإننا فى حاجة ماسة لوجود الطلاب الفدائيين المخلصين للوطن المحين للشاه ويجب أن يشمر الجميع عن سواعد المهمة حتى نفوق الدول

العظمى فى العالم بناء عن بشارة شاهنشاه مملكتنا - ارتقاء فى مجال الصناعة والاقتصاد والعلم والثقافة والفنون وخلال خمس سنوات ، يجب أن يتحقق هذا البرنامج . أتى أهارى بخبر مفاده أنه سوف ينهى رسالته بعد عدة شهور . وطلب خان على مهلة عام لإنهاء رسالته وقال دماوندى الذى صار هذه المرة مؤدباً ومطيعاً أنه سلم رسالته ومنتظر أن يأذن له الأستاذ المشرف بالطبع ويمكنه أن يضع قبل اسمه لقب دكتور . وبعد الانتهاء من أمرهم عدت إلى تحرى أمر رقية . ذهبت للبحث عن فرزان . أرسلت إليه تذكرة ذهاب وإياب لـ لندن - باريس . فأعادها وأفهمنى بأدب أنه لا يستطيع الاستفادة منها وقدرته المالية لا تمكنه من السفر على نفقته الخاصة .

لم يكن يريد أن تناله فائدة ولو كانت مفيدة تفيد حالتى أنا . فهمت من لهجته الرقيقة فى التليفون أنه سعيد بسفرى إلى طهران ويجب ألا تنقطع العلاقة بيننا . ربما فهم أيضاً أنني أرسلت إليه الطلاب المزيين لكى يعد رسائل الدكتوراة الخاصة بهم . ماذا يفعل المسكين ؟ كان يقوم بإعدادها ويكسب منها عيشه .

ولم ينقض شهران أو ثلاثة من سفرى إلى إيران حتى وصلت قرارات توصيات مؤتمر (إعادة النظر) إلى لندن . كانت افتراءات متداخلة النسيج لا أول لها من آخر . هم أنفسهم لم يكن بمقدورهم مضغها وهضمها فماذا يحدث حين يقدمونها للناس . ومن بين هذه التوصيات ما أعد بعد استشارة الخبراء الأمريكين ويفيد فى تعمير صحراء (نيفادا) أكثر مما يفيد مدناً .

وأصبح من نتائج هذه التوصيات أن الجهاز نفسه عليه أن يتخذ إجراء عاجلاً ليحرك عجلة التقدم .

الفائدة التى جنيتهـا من هذا المؤتمر هى أننى أكتسبت ثقة رئيس الجهاز .
فضلاً عن أننى رتبت بناء على تعرفى على رئيس البنك عملاً لموسى جون .

كان الرئيس فى مكالماته التليفونية وتأكيدـه على انتقاء الطلاب والتدقيق فى خبرتهم وحب وطنهم والشاه وغير ذلك يبلغنى من وقت لآخر بتوصياته الخاصة . مثلاً ابته سوف تمر على لندن فى طريقها إلى لوس انجلوس والأفضل أن أهتم بها حتى لا تقع لها مشكلة . بعث مرة إلى إشارة شديدة الخصوصية مفادها أن الأسعار ارتفعت فى إنجلترا أو تأملت زوجته كثيراً لأنها لم يكن معها ما يكفى من المال لتشتري به (البالطو) المفضل لديها . طبعاً فهمت الإشارة ووضعت تحت تصرفهما ما يغطى الثمن . وجدته من أهل الضبط والربط وأن وعاء الفاكهة الكريستالى وحده ليس يكفى لإرضائه . تيقنت من أنى كسبته ولن يتجراً ثانية على مثل التيسار والحاج على الساوجى الذين يلقوا بالعراقيل فى طريقى .

فكرت فى أن أقيده بمعروف كبير ألقيه حبلاً حول عنقه أجذبه به حين أحب . وكان هذا الأمر شديد الحساسية . فمع أنى لم يكن لدى شك فى تعليمه عبادة المال وأعلم أنه يشابه أيضاً الآخرين فى التفكير فى يومه الأسود ولكن سمعته الطيبة كانت تحذرنى بالألقى بنفسى فى البحر دون تحسب . لأننى كنت أعرف بالتجربة أن السمعة الطيبة ليست دليلاً على الطهارة والعفة ، بل هى إشارة إلى وجود الحيلة عند الإفادة من كل نعمة حتى لا تحرق رائحتها أنوف الحساد .

ظل فكرى وذكرى طوال شهور فى البحث عن أثر لرقية من ناحية ولهذا السبب نفسه كنت أسعى إلى ألا أقطع علاقتى معه ، ومن ناحية أخرى (كنت انتظر فرصة أمنحه من خلالها) رئيس الجهاز منفعة ضخمة .

كان عملي اليومي هو إعادة الطلاب المتخرجين إلى إيران وإعداد الوظائف لهم في المناصب الحساسة وأسفاري المتوالية إلى البلاد الأوروبية والاتصال بالجهات الأمنية لهذه الحكومات وبأساتذة الجامعات وبالسافاكين المقيمين بهذه البلاد . أصبحت في الواقع بسبب معرفتي بل صداقتي برئيسي الطيب السمعة كل شيء في جهاز الاستخبارات والأمن الإيراني في غرب أوروبا وشرقها .

وبعد ستة شهور من عودتي إلى إيران ولقائي برئيس الجهاز أرسلت آهاري بمجرد إخباري أن رسالة الدكتوراة وافق عليها أستاذه وقبل أن يقدم لي شهادته أعدته إلى إيران وحشرته بناء على توصية الرئيس في وزارة البلاط . أفهمته أن الطريق أمامه أصبح مفتوحاً وأن تقدمه ووصوله يرجع إلى مهارته وذكائه وخبرته ونشاطه . عليه أن يتصرف بالنحو الذي يصبح به موضع اهتمام الشاهنشاه ولا يغضب منه رجال البلاط .

ومن البلاط يمكنه أنه يرنو ببصره إلى الوكالة والرئاسة والوزارة . كنت موقناً بأنه تعلم جيداً ما ينفعه ويضره ووجد المنفذ بما جمع من تجارب من أيام سرقة تبرعات يوم واحد من الحزبين وهروبه إلى باريس وأثناء عماله في خدمة السافاك وأنه سرعان ما سيصل إلى هدفه وسوف يراعى مصلحة الشاهنشاه ومصلحتي أيضاً .

أمرت مساعدي الموظف بالسفارة لشهور أن يتصل كل عدة أيام هاتفياً بدماوندي ويشغله ويشجعه على العمل . ذهبت مرة أو اثنتين للقاء فرزان ولم أحب أن أخفي أمامه أنني شجعت أتباع الجهاز على أن يأتوا برسائلهم إليه ليترجمها إلى الفرنسية الفصحى . اهتمت كثيراً بشكواه (في النهاية أنا لست معداً للرسائل . أنا أستطيع فقط أن أعيد صياغة عباراتهم الركيكة بالفرنسية الصحيحة . لكن واحداً من هؤلاء السادة وكان لا يعرف الألف

من كوز الذرة كان يطلب منى أن أعد له رسالته . كان يقصد دماوندى الذى كان يود أن يجعل بلا وعى لنفسه مكاناً فى حلقة الرجال .

طلبت دماوندى وهاجمته بشدة جعلته يفزع ويتراجع . قلت له :

- يا سيد دماوندى أنا أفهمك جيداً . ست سبع سنوات وأنت تأخذ منا الفلوس . بلا جدال لم نأت بك هنا للتجسس . كان المقرر أن تدرس وتصبح موجهاً لدفة البلاد . كف عن هذه الألعاب التى تلعبها فى الخفاء والعيبها مع والدك . إما أن تقطع صلتك بنا وإما أن تذهب وتواصل التجسس للأجانب . أنت فى حالك ونحن فى حالنا . انهض واذهب من هنا لا أريد أن أرى وجهك ثانية :

- انخرط فى البكاء . وجدت أنى قرصت عرقه الحساس . صبيت الماء البارد على رغبته فى الشهرة والجاه . خرجت من الغرفة وعدت بعد ثلاث دقائق حين عدت كان قد جفف دموعه وأخذ ينظر إلى الأرض .

- حسناً نظرت فى الأوراق على مكتبى . سلم محتواها إلى الأجانب . لا يمكن أن يكون للخادم سيدان .

انفجر غضبه مرة أخرى : - ماذا تريد منى يا سيدى ؟ ماذا فعلت حتى تعذبنى هكذا وتكرهنى هذا الكره ؟ .

- أنا لا أعذبك أنت الذى تخدعنا . وهذا يكفى .

- أى خطأ يا سيدى صدر منى ، أى غلط أرتكبته ووقعت فيه . سامحنى . أعلك من الآن أقسم بحياة أبى أنى لن أخط قدما واحدة إلا فى طريق تنفيذ النوايا الملكية .

- قبلت وعدك وقسمك أمر يتعلق بك . أنا رجل رؤوف وبإمكانى

وأود أن أغفر جميع ذنوبك بشرط أن تتابع دراستك وتحصل على شهادتك للدكتوراه بأقصى ما تستطيع . ما فات مات ونحن أولاد اليوم . الأجانب يمتصون عصارة الإنسان كمن يضغط على الرمان لمصه ، ويقذفون بالتفاحة بعيدا . الوطن هو الوطن . إن الشاهنشاه لا يحون وجهه قط عن الأوفياء له .

لم تبق هذه النصائح والتهنيدات بلا نتيجة . أظهر عجزه انتم . عرفت من خلال بلاغات خان علي وغيره أنه لم يعد يسافر بعد لقائى به فى منزلى الخاص بلندن وأنه رأى مراراً عائداً من المقهى الذى كان يتحى جانباً منها فوزن يقرأ ويكتب وأنه يسعى هذه المرة جدياً لإنهاء رسالته بعون فرز . لم يعد يتذرع بصعوبة البوليتولوجى والساينس كما كان يفعل أمانى وأمام غيرى .

فى نفس هذا العام بعد عودة أهارى نشر فى الجرائد خبر مفاده أنه تسلم رئاسة المكتبة الملكية وأن خطة وصعت لتجديد هذه المؤسسة وأن الشاهنشاه ضمن ذلك وافق على إنشاء بناء جديد على طراز مكتبات أمريكا . شجعت أيضاً دماوندى على أن يعود بأسرع ما يمكنه إلى طهران وإلا سوف يتخلف عن القافلة .

أخبار عن ذكاء أزمايش وحنكته فى إدارة إقليم فارس وأنه من الممكن أن يصل إلى منصب رئاسة الوزارة وشائعات أخرى من هذا القبيل . وفى النهاية عاد إلى طهران بعد أهارى بعام وبضعة شهور . وبعد أكثر من تفاوض من قبلى مع رئيس الجهاز فى طهران ولندن وباريس أعطوه وظيفة فى وزارة العلوم وأدخلوه أيضاً الحلقة . وكان هو القطعة الثانية لى من قطع الشطرنج التى استقرت فى مكانها .

حسناً ، أذكر أنه فى أثناء لقائى برئيس الجهاز فى لندن حين كنا نبحث

ما يتصل باختيار الطلاب المتخرجين وتعيينهم فى المراكز الحساسة للبلاد
سألنى فيما يتعلق بدماوندى :

- هل تثق فى هذا الولد ؟ إن أباه من الفضوليين الحاذقين .

فقلت : - سعادتك تعلمون أفضل منى أن الإنسان لا يجب عليه أن
يثق فى نفسه . لكن شريط تسجيل محادثتى معه موجود على الدوام
ومسجل بدقة ووضوح . يمكن الاستفادة منه إذا لزم الأمر . خاصة ذلك
الجزء الذى وعد فيه و من الذى يجرو على أن يرقص إلا على
الحاننا ؟ .

ضحك رئيس الجهاز وقال : - أعمالك لا يخر منها الماء .

وكان فى نفس رحلة لندن أن رتبت أمر إرضاء خاطره . ذهبنا معاً إلى
باريس وأنهينا الموضوع تماماً كنت قضيت شهوراً فى رسم خطة وهى أنه
يجب - لاسترضاء الطلاب المحايدى والمخلصين للشاه والمعادين للاتحاد -
بناء مبنى فخيم فى أحد أحياء وسط باريس وفى شارع معتبر ومعروف
تفتتح فيه المؤسسات الاقتصادية والثقافية مثل البنك الوطنى والبنك
الصناعى وشركة الطيران وشركة النفط الوطنى وشركة السجاد أفرعاً لها فيه
وتتولى الإنفاق عليه فى كل متطلباته من حيث شراء الأرض والرسوم
الهندسية والبناء والديكور وغير ذلك . وتكلفت الخطة نحو ثمانية ملايين
فرنك سويسرى . ومن الطبيعى ألا يستطيع الجهاز تنفيذ هذه الخطة مع ما
تحت تصرفه من ميزانية ضخمة . ولا بد أن تمولها المؤسسات المذكورة .
وفى مقابل هذا تعفى من دفع الضرائب الفادحة للحكومة الفرنسية . كان
شراء الأرض على الأقل يتكلف مليونين أو ثلاثة . وافقت على هذه
الفكرة وزارة البلاط والجهاز والحضرة العليا ذاتها . ظلت المفاوضات
والمباحثات حولها لشهور عديدة فى البنك الوطنى والمراكز الاقتصادية .
وفى النهاية اعتمدت ميزانيتها .

وفى نهاية (١٣٥٣ س / ١٩٧٤ م) أخذت فكرتى هذه صورتها العملية وقمت بكل حيلة لكى أسجل شراء العقار باسم رئيس الجهاز . المهم أن يكون التسجيل بصفته الشخصية لا بصفته الرسمية . أى كان ملكية الأرض والبناء الذى لم ينشأ قط باسم السيد والذى لا يزال باقياً أيضاً تحت تصرفه بعد الثورة .

وحين أظهر له محاميو القضاء الفرنسي العقد أخذ لأول وهلة وامتنع عن توقيعه .

امتشارنى بالليل . أفهمته انه الصلاح أن تكون إدارة هذا المبنى تحت تصرف الجهاز وليس صلاحنا فى أن نترك إدارته للشركات المستأجرة .
و حين يتم بناء العقار سوف نسجله باسم الحكومة الإيرانية . أما الآن فإننا نراعى الظاهر حين نأخذ فى الحسبان قوانين فرنسا ونكتب العقار بعقد شخصى ما بين بائع ومشتر وطالما أن البناء لم يتنه بناؤه فإنى أرى الصلاح فى أن يحرر العقد باسمكم الشخصى . تأخر التوقيع عدة أسابيع فكان يضاف إلى سعر الأرض بضعة آلاف فرنك كل يوم . مسافر الرئيس إلى طهران وعاد إلى لندن وذهبنا معاً إلى باريس ووقع العقد .

وبناء على أمر الحضرة العليا الشاهنشاهيه فإن لدى رسالة من طرف الجهاز إلى المسئول عن هذا البناء وهو العبد الفقير تحكم بأن الحكومة الإيرانية هي المالك للعقار في المستقبل . لم أقيد هذه الرسالة في أى ملف مطلقا ولأن الرسالة تعد ضمن أسرار الدولة الغاية في السرية فهي ليست بحورة غيرى ، ومالك تلك الأرض فى الواقع هو . . . بشرط ألا أفشى هذا السر وكانت هذه هى القطعة الثالثة للشطرنج التى غرستها ، وإذا لم توجد رقية هذه ولم يتزل كل هذا البلاء على رأسى تصوروا أى حياة كان بإمكانى أن أحيها .

لم يكن أمر خان على صعبا . كان ولداً مطيعا . كان يأتى بلا تأخير دقيقة فى الميعاد الذى أطلبه فيه وكان ينفذ تعليماتى بالحرف الواحد . طلبت منه مرة أن يشترك بأى ثمن فى مؤتمر الطلاب المقيمين بألمانيا المعقود فى دوسلدرف أبلغنى قبل انعقاده بأسبوعين أو ثلاثة أنه لم يختر من بين الممثلين وبسبب ذلك لن يمكنه حضور المؤتمر . شخبطت فيه :

- أى نوع أنت من الطلاب بحيث لا يدخل فى الحساب ؟ حتما ولا بد أن تسافر إلى دوسلدرف .

وبعد ثلاثة أيام أخبرنى بأنه سوف يسافر ويمكنه الحضور مدعواً بدون حق إبداء الرأى فى أعمال المؤتمر . كان متقنا الدرس جيداً وترتيب الأمور لم يكن يشكل لديه مشكله . كانت إدارة الأملاك السلطانية تحميه أيضاً وبدون مراعاة المقررات العادية وطبعاً بتوصية الجهاز فاز بكرسى الأستاذية فى جامعة تبريز .

وأثناء وداعه كررت على مسامعه نفس الورد الذى سبق أن تلوته على أسمع زميليه :

- هذه الوظيفة متكأ لكى تصعد منه . دقق جيداً وانظر ما هى الوسيلة التى اتبعها زميلاك الآخرون حتى وصلا إلى ما وصلا إليه . حاول أن تصل إليهما وتسبقهما . أرمايش وزهارى المثل الأعلى لك . سوف يكون على الدوام الجهاز والذات المقدسة للحضرة العليا حاميين لك .

اطلب منى المساعدة إذا تعثرت قدمك بحجر ، يمكننى أن أزيل كثيراً من العراقيل أمامك

حسناً كان هذا قطعة شطرنج أخرى وإن لم تكن بقوة الآخرين . لم يعد لدى شك فى أننى أصبحت مقضى المرام . يجب أن أعترف أننى

تغلبت أيضاً تدريجياً على الهم والغم الذي كان يضغط على من ناحية أختي . وكنت أتصور أنه ليس بمقدور أحد أن يصيبنى بلدغة .

إذا كنت أرى في إحدى الليالي مناماً وهو أن أقنعه بشكل رقية كانت تدخل على بنحو من الانتحاء وفيما يشبه الكابوس تأخذ في تفتيتي وهرسى وأصحو من نومي مبللاً بالعرق ، فكنت أنهض من السرير وأحاول أن أحافظ على هدوئي . وكنت أستعرض ساعة ذكرياتي حول أختي فكنت أصل بعد التعقل والتفكير إلى هذه النتيجة وهي أنه لا يوجد اعتداء على مصالحى من ناحيتها فقط بل إن رقيه لم تفعل شيئاً يستوجب تعقبها . هربت من منزل والدتي وذهبت فأى ضرر فى هذا ؟ ذكرت اسم مرضية ، وجدوا سواراً فى أحد المنازل ، علق صورة يشبه فيها على جدران المدينة .. ذكرت مرضية ، كان قلبها يحترق أسى على بنت بريئة - هذا ليس ذنباً . أى إنسان من طراز الخاج على ساوجى يمكنه أن يصنع صوراً مزورة ويخدع بها الناس . كان لها سوار باعته ، ثم وقع بعد ذلك فى أيدي المخربين . لم يثبت فى أى موضع قط أن رقية قامت بخطوة ضد مصالح البلاد العليا أو عاونت فى قتل إنسان أو تعرفوا على خطها فى كتابة المنشورات السرية ضد الشاه والحكومة ، أو أوردت المجموعات الشيوعية اسماً لها أو عاشت فى أماكن تجمع مع المجاهدين والفدائيين منقذى العمليات الانتحارية والمباركسين الإسلاميين أو كان لها اختلاط مع أعضاء اتحاد الطلاب أو اتصلت بالفلسطينيين . فأى جرم اقترفت يوجب عليها القصاص ؟ لماذا على أن أخاف ؟ من أى شئ ؟ كان أكبر اتهام هو ذكر اسم مرضية التى يقال إنها أشرت فى قتل العقيد أركان الحرب ، لكن هل كانت هى الوحيدة التى احترق قلبها من أجلها ؟ كانت كل هذه أفكاراً تؤرق مضجعى وكنت فى عراك معها بمخاليى وأسنانى .

إذن فلو كان الأمر هكذا فلماذا لا تظهر وتدلنى عليها ولماذا لا تطلب مساعدتى لكى أحميها ؟ فى هاتين السنتين أو الثلاث بعد لقائى برئيس الجهاز فى منزله وتناولى العشاء معه وانشغالى بالمشاكل المختلفة فى لندن ، كنت أعود إلى زيران مراراً فى أسفار يستغرق الواحد منها يوماً أو اثنين بصورة خفية وحيناً بصورة علنية وكنت أطل على والدتى كلما كانت تستدعى الضرورة . كنت أحافظ على علاقتى بموسى جون ووساطته مع (العريس) . فى هذه السنين العديدة لم يحصلوا على وثيقة واحدة يمكن الاستتاج منها أن قضية رقية تشتعل بحيث تزلزل قواعد حياتى . بعد تسوية أمور أتباعى وصلنى فجأة خبر من موسى جون - الذى كنت أرسل إليه بانتظام المال لكى يؤمن به حياة والدتى فى منزلى فى نياوران - أقلقنى كثيراً . كان (العريس) وقتما لا يكون مكلفاً من قبل الجهاز بمهمة . يراقب هذا المنزل يبيت فيه نفترات متقطعة حين كانت تسنح الفرصة . قال لى موسى بالتليفون : - يوم أن ذهبت إلى منزل نياوران لم أجد الوالدة ثم سمعت من العريس أنها حملت صرة ملابسها وسجاداتها وهربت . وحين استدرجها موسى وسألها لماذا تركت عمارة بهذا الرونق والاتساع والتجارت إنى هذه المغارة قالت : - هذا المنزل لا تصح الصلاة فيه وأشتري بالمال الحرام لم تذكر لى حتى من تشكك وتكره تلك اللجنة المفرحة .

الملدوغ من الأفعى يخاف من الحبل الأبيض والأسود . عدت للخيالات والأوهام . فكرت ألف فكرة . كنت أضع هذا أيضاً فى حساب المختلفين معى والمتربصين بى والاعداء الذين يريدون حياتى كلها محرماً . كانت أمثال هذه الأخبار والشائعات السبب فى رؤيتى بالليل الأحلام المفزعة وكنت أنهض فزعاً تحت ضغط كابوس قاتل من منامى وأذرع الحجرة حائراً .

لكن لم يكن ترك أمى لمتزل نياوران غير مقدمة للمصائب التى كانت قد أعدت لى . بعد عدة أسابيع لم تجعلنى أغفل ثانية مكالمة تليفونية مباغته من شيخك وجلسة استمرت ساعات مع فرزان الذى لم يكن يذيع أسرارہ لى عن طريق التليفون . كنت أتوقع مصيبة .

كان الوقت أوائل عام (١٣٥٥ / ١٩٧٦ م) حين هبّ الجميع . كأنما تطل حشرات الأرض برؤوسها من تحت التراب وتطلب الطعام مع مقدم الربيع . الأسوأ من كل هذا تطاول الطلاب . كل يوم كانت تصلنى أخبار سيئة عن ممارسات الشيوعيين الشيطانية وكان أتباعهم فى الصحافة بأوروبا الغربية يلقون على مسامع الشيوخ من الرجال والنساء أباطيلهم المبالغ فيها وتفرعهم هذه المكالمات التليفونية .

فى نفس تلك الأيام هجمت الطلاب على قنصلية ميونيخ وارتهنوا عدة من الموظفين وسرقوا وثائقهم وانتزعوا صورة الشاهنشاه من الجدار ومزقوها . ونفس تلك الواقعة حدثت فى جنيف فى مكتب السفير المتنقل . وبلغت الفضيحة واشتعلت . ففى الحفل الذى أقامته السفارة بمناسبة عيد النيروز وحضره لفيف من كبار الأمريكيين ووكلاء بعض الوزارات ، قفز طالب فوق مائدة (السيئات السبعة) وهاجم جميع مقدسات إيران والأمرة الملكية وأطلق على ممثلى إيران فى السفارات اسم سماسرة المؤسسات الاقتصادية ومصانع الأسلحة وقال كل ما فى جوفه . ووصلت الوقاحة بطالب آخر حد أنه أهان إحدى الفنانات المشهورات فى باريس والعالم كله وكان يقال إن لها علاقات وثيقة بسفير إيران . بلغ إفساد الطلاب حداً جعل أغلب المدعوين يغادرون مكان الحفل وحين وصلت شرطة واشنطن هرب أغلب المعتدين بإشارة من أحد الصحفيين المؤيدين لهم واختفوا من باب خلفى للسفارة ولم يحدث أى إجراء يعاقب

الطلاب ، بل وفرت وسيلة في أيدي صحافة اليسار واليمين للبلاد المتحالفة التي تكتب أحداث إيران بالنحو الذي يشيعه الشيوعيون خاصة وأن اثنين من الخبراء الأمريكيين قتلوا في إيران إبان هذا الوقت وثارَت جلبة لا نهاية لها .

زادت هذه الحوادث وتشجع الصحفيون نتيجة جراءة الشيوعيين يوماً بعد يوم . ففكرت جماعة من الكتاب والفنانين في تشكيل اتحاد لهم وعدم الخضوع لاتحاد الكتاب الذي نشأته الحكومة عن طريق الجهاز وبلغت بهم الجراءة حد أنهم أرسلوا عدداً من الممثلين عنهم لمقابلة رئيس الوزراء وطالبوه بإلغاء الرقابة وبحرية الصحافة . استبظت من بلاغ سرى كان أرسله لى رئيس الجهاز أن رجال الدين بدورهم نشطت حركاتهم وتحركاتهم وحرصوا الطلاب هنا وهناك في قم ومشهد على تكرار رفع تلك الشعارات التي سمعت في (خرداد) عام (١٣٤٢ / ١٩٦٣ م) ألقي الجهاز القبض على بعضهم ورمى بهم في السجن . لم يقعد حظراتهم بلا عمل في مغاراتهم وكانوا يتشاورون كل يوم مع الشيوعيين . وبسبب تحركاتهم كان العمال في مصفاة البترول في تبريز ومصانع الأسمنت في (صوفيان) ومصنع سيارات إيران القومي يقومون بالإضرابات . وكان الهجوم على الخبراء العسكريين الأمريكيين في إيران ضمن الأحداث العادية . وكان لدينا معلومات عن أن تعاون المعارضين والمجاهدين والفدائيين والماركسيين الإسلاميين مع الفلسطينيين يزداد إحكاماً .

الخلاصة في مثل هذه الأوضاع والأحوال - التي لا يجد المرء فرصة فيها لكي يعيش بدون إزعاج أنه قد أصابتي مكالمات شيخك التليفونية ومقابلات فرزان بالقشعريرة كنت أقول لنفسى عادت رقية في صبب شؤمها على من بعد . وهذان الشخصان فهما شيئاً من ذلك . أو أن شرفة

التي مسار الفريق دبوا خطة جديدة لي كانت من الحماسة بما جعل هذين الساكنين في باريس يسمعونها . لم يكن لدى فرزان تليفون ولم أكن أستطيع ضرب موعد لقاء معه وجدت بعد ثلاثة أيام شيخك والمعلومة الوحيدة التي عرفت منها أن فرزان لديه رسالة لي والأفضل أن تجده بنفسك وترى أي علاج في حوزته يمكن أن يكون لمشاكلك دواء ناجحاً . فذكرته ورجوته أن يعمل شيئاً يجعله أي السيد النقيب يتصل بي هاتفياً الليلة أو ليلة الغد في آخر السهرة لكي أتفق معه على موعد اللقاء طالما ليس لدى وسيلة اتصال هاتفية بفرزان .

وفي الليلة التالية أبلغني مركز الهاتف بالسفارة أن ضابط بوليس متقاعدًا يطلب من أورويا المركزية أن يحدثني فوراً . فأوتهم بتحويل الخط على منزلي .

لم أسمع صوت فرزان في التليفون . كانت امرأة تريد أن تنقل لي رسالة من شخص آخر سألتها (من أنت أيتها السيدة وماذا تريدني ؟) .

- أنا لا أعرفك أيها السيد ونيس ضرورياً أيضاً أن تعرف من أكون . لا أريد إلا أن أبلغك رسالة . أما من أكون وماذا أريد فليس من شأنك .

لم أعود أن يحدثني أحد بالهاتف بهذه الطريقة . ذهلت لكنني تغلبت على غضبي بسبب زيادة خوفي وقلت لها بأقصى درجات التحمل:

- عفوا يا هاتم . اعطيني رقم تليفونك حتى أتصل بك .

- لا أعطى رقمي لأحد قط فلماذا أعطيه لك .

قلت لنفسي إذا لم تكن هذه رقية فعلى الأقل أحد زملائها . سيطرت ثانية على أعصابي .

أجبتها : حسنًا جدًا قولى لى رسالتك .

(كان كلامى محدداً ودقيقاً) . - صرت معقولا فى كلامك الآن .

كنت على وشك أن يفذ صبرى . مضت بضع ثوان من السكون .
تصورت أن المرأة كانت تحدث شخصاً ما .

- أوامرك .

- أحد أصدقائى وهو ضابط شرطة يطلب منك أن تقابله بأقصى
سرعة . معه رسالة لك قلت . - ليس عندى عنوان هذا الضابط فمن أين
أعلم من هو وأين يمكننى أن أجده ؟ كانت إجابتها واضحة :

- تعال إنى نفس المقهى الذى قابلته مرات سابقة فيها .

فهمت الموضوع . انتهت المكالمة وضعت المرأة سماعتها قبلى كان
فرزان . وصلت فى اليوم التالى إلى باريس .

كان الوقت شهر فروردين (١٣٥٦ / ١٩٧٧ م) حين لم يكن قد
ذابت ثلوج حمامات السباحة فى باريس ذهبت إلى السفارة تصفحت
لساعات ملفات الإيرانيين المعروفين . أخفيت عن السافاكين أن قصدى هو
بحث حالة فرزان .

لم يكن بالملف خبر هام . فهو منعزل ليس له أى اختلاط بأى انسان .
أغلب لياليه يقضيه فى الجلوس فى مقهى ومطالعة الكتب . إذا أطل عليه
أحد وكان يشرب السجائر وقدم له سيجارة كان يأخذها منه . يقضى
أوقاته فى ليالى الشتاء حتى يبرد الجو فى ذاك المقهى الذى تستأجره امرأة
إيرانية من أقاربه . المقهى محل تجمع الإيرانيين . يلقي بالتحية على
أغلبهم لكنه يجلس منفرداً عنهم . يأتى شيخك أيضاً إلى هذا المقهى .

تلف حوله دائما جماعة تتحدث وتضحك يرفعون أصواتهم متحدثين بالفارسية . ليس هناك ما يلفت النظر في أحاديثهم .

اتصلت هاتفياً بشيخك بعد الظهر . لم أجده . اتخذت مكاناً أول الليل في مقهى بالقرب من شارع Dupont خلف النافذة وأخذت أراقب مكان جلوس فرزان . نظرت في ساعتى كانت الساعة السابعة والربع . أمرت السائق بالجلوس إلى مائدتى وما أن رأيت فرزان أرسلت إليه السائق : - قل لهذا السيد من تنتظره جالس بهذا المقهى .

رأيت السائق وفرزان يتبادلان الحديث . أتى كلاهما صوبى وأشار أحدهما إلى الآخر نحوى . حاولت أن أظهر أنى هادئ . نهضت من مكانى . صرفت السائق . صافحت فرزان وطلبت إليه أن يجلس إلى مائدتى لكى نتناول معاً العشاء . قال :

-- تعال نخرج لتناقش موضوعنا .

-- أى موضوع ؟

- لدى رسالة يجب أن أبلغها لك .

- ممن ؟

- سيدى . . لا تحقق معنى . لن أجيب على أى سؤال تسأله . أنا أتحدث مع أخى رقية وليس مع الموظف النافذ الأمر فى جهاز استخبارات إيران وأمنها ورئيس السافاك فى إنجلترا وأوروبا والمشرف على الأمور الثقافية وأى لقب آخر عندك .

وجدت أن مثقبه فى غاية الحدة وانه فى غاية الود والقوة . كان بصحبة اسم رقية الذى ذكره راحة البال كما كان هلع القلب .

- لا نستطيع أن نجلس هنا وتبلغنى رسالتك .

خرجنا من المقهى . وقفنا على ناصية شارعى Marousg Dupont وانتظرنا حتى أتى تاكسى ركبنا . ذكر اسم شارع لم أستطع أن أحفظه وقال:

- عليك بلا تكليف أن تدفع أجرة التاكسى . إذا لم يكن معك مال أدفع أنا الأجرة و عليك أن تردّها إلى .

- لا عليك معى نقود

ظللنا فى الطريق نحو الساعة والنصف راكبين . حاولت حيناً أن أحفظ أسماء الشوارع . كانت أسماء الشوارع كانت تبدو لى غير مألوفة بالحبر الذى صعب معه حفظها . توقف التاكسى فى شارع واسع لم أجد له اسماً . نزل فرزان أمام فندق فخم كان يقف على باب خادماً أسود فى ثياب البوابين العادية بأشرطة وياقة وسجاف أزرق غامق . حيّانا الخادم وصعدنا بالمصعد حتى الدور الخامس .

دق فرزان باب الغرفة رقم (١٣) وقادتنا امرأة منقبة حجب النقاب وجهها من حجرة إلى الصالون . كانت امرأة فارعة الطول وتيقنت من أنها ليست رقية . كانت فكرة أن رقية متخفية تحت عباءة فكرة واهية . كانت حجرة الصالون مظلمة يشع نور فى ركن من أركانها من مصباح خافت الضوء . وضع كرسيان للجلوس فى مساحة متر ونصف متر أمام المصباح . كان يبدو أمامنا جهاز تليفزيون وجهاز آخر عرفت فيما بعد أنه كان جهاز فيديو . جلس كلانا على الكرسيين . فتحت المرأة المنقبة التليفزيون قطع فرزان الصمت :

(يا سيد .. عليك أن تعدنى ألا تتحرى عن أى شئ قط حول هذا

الفندق والا تحاول أن تتحقق من شخصية هذه السيدة المضيفة والا تفشى لأحد مهما كان عما سوف تراه . لا تبلغ جهاز الأمن والاستخبارات الإيراني بأى تقرير مكتوب أو شفوى عما رأيته أو سمعته . اننا لا نريد وعداً من أحد السافاكين . لا نريد الا وعد من هو أخ لرقية .

- ما الذى تريدون أن تظهروه لى وتقولوه ؟ .

- لم يكن من المتفق عليه أن تسأل .

- يا سيد فرزان أنا أعرف أنك رجل صادق وأنا أعدك .

- حسناً جداً . بما أنك وعدتني فلا بد أن أنبهك إلى نقطة . ما أقوله لك ليس تهديداً بل هو حقيقة . إذا تصرفت بخلاف ما وعدت لن أكون أنا وحدى فى معرض الخطر بل سوف تقع فى المخاطر أنت نفسك أكثر منى . لا بد من أن تتيقن من أن ثروتك ومنصبك ومكانتك والمحيطين بك كل ذلك لا يساوى شيئاً عند من يعرضون عليك هذا المشهد . اعلم جيداً أننى أشرت فى هذا العمل من أجل رقية ليس إلا وليس لى أدنى علاقة بمن عقدوا هذه الجلسة . واعلم جيداً أننى لم أجعل من نفسى هدفاً لرصاص السافاك بسبب عقيدتى وإيمانى .

سألت نفسى : ما سبب كل هذا ؟

- ماذا أقول ؟ أثرت الصمت

وتقدمت المرأة المنقبة وكان تقف حتى تلك اللحظة خلفنا بالقرب من المصباح الخافت فتحت التلفزيون ثم مدت يدها إلى جهاز الفيديو وضغطت على زر آخر به ، ظهر على شاشة التلفزيون الملون بضع صور سوداء وممتدة ، ثم ظهرت حجرة وفجأة لاح على الشاشة شكل أختى . كان هى بنفسها . كانت رقية لم تكن رقية الصغيرة تلك التى أحبتها

بُهِتَ . لم يخطر على بالي هذا التصور قط . دق قلبي . ارتعشت يداي .
كان إبراً وخزت ظهري أنا الذى كنت أتصور أنى ذقت مر الزمان وحلوه
وحنكت الأيام شعرت بالذعر الشديد كطفل جبان أدركت أنى لا أزال ذاك
الصبي الحقيير أمام الدكتور بيجن وخاطبى رغم ثروتى ومكانتى ورئاستى
لمئات من السافاكين ومعاشرتى للكبار . بدوت فى صورة دودة أمام قدرة
هذه المرأة التى كانت قد نظرت إلى بدهشة . كانت تغطى رأسها
وضفيريتهما بالطرحة السوداء المعقودة بأعلى جبهتها ولم يكن يظهر منها غير
امتدانة وجهها . تماماً مثل الصورة التى علقت لها على جدران المدينة .
أما تلك الصورة فلم تكن تعبر فعلاً عن رقية . كانت عيناها نافذتين
وتلمعان وتنفذان فى قلب كل ناظر إليها .

كان قلدها الطويل الفارع يخفى خصرها النحيل فى قميص طويل .
عقدت يديها خلف ظهرها . مالت إلى الأمام بصدرها كأنها هيات نفسها
للقتال والجidal أو كأنها كانت تريد أن تلعب دور بطلة الشاهنامة (كرد
أفريد) . كان وجهها يبدو كثير العبس بغير تظاهر .

كانت الكلمة الأولى التى خرجت من فمها هى (أخى) :

- أخى كم كنت أحب أن نتكلم سوياً . لسوء الحظ لم ير رفاقى
الصلاح فى أن آتقاك وجهها لوجه . لم ياذنوا لى إلا أن أمد لك يد العون
بإخاء وأنقذك من الهلاك الذى ابتليت به ارتكبت ذنوباً كثيرة ، ذنوباً لا
تغفر . لن يرحمك الله . لكن الله رحيم لا يزال أمامك متسع لطلب
المغفرة . . .

لا أستطيع أن أعيد كل ما قالت . كنت أريد أن أدون أهم كلامها . لم
يسمح لى بذلك فرزان الجالس بجوارى . حاولت أن أحفظها فى ذاكرتى
هل كان يمكن حفظ عتابها وخطابها الذى دام ساعة ونصف الساعة . أروى

ما ظل باقيا فى ذاكرتى :

« لا حوار هناك بيتنا فأنا التى أتحدث وأنت الذى تستمع . سوف نسمع كل كلامك لو انتهى الأمر إلى المحكمة . لا جعل الله ذلك اليوم من نصيبى ونصيبك . لن أحضر تلك المحكمة التى يدينونك فيها . كل ما تقوله فى هذه الحجرة مسجل وربما يستخدم دليلاً ضدك . إذن فأنا التى أتكلم وأنت الذى تسمع »

كانت تكرر هذه النقطة وهى أن أتخلى عن هذا العمل الشيطانى . كان هذا تكة كلامها أطلب : المغفرة . كن معنا . لا بد أن تلقى جزاءك . كلما كان أسرع كان أفضل . .

لم تكن هذه رقية التى كانت تشخط فى وتتحكم كأن أنساناً آخر كان يلحن أختى هذه الكلمات .

أى تهمة كانوا ينسبونها إلى ؟

لقد تهمت يديك عشرات من الأولاد والبنات ، الشباب والشيوخ من المسلمين العذاب . لم يطق عدة مئات منهم ما تلقوه من العذاب فماتوا

كنت أود أن أصرخ : هذا كذب . أنا لم أعذب أحداً

أشار إلى فرزان بالصمت . أسمع وأنظر ماذا تقول

كانت تكشف لى عن ثرائى . عن أموالى التى بالبنوك .

أشرت إليك مراراً بأننى أراقبك . فلم تكن تهتم . أشفيت أسرتك شردت ولديك . أمضت أمنا عمراً فى الفزع والخوف والارتياح ، سوف تكون أنت قاتلها . لماذا خربت منزلها فى « كذر كلانتر » لماذا شردتها ؟

وعادت إنللك إلى النصيحة والتهديد بأن كف عن عنادك وبأمثال هذه

العبارات . أسلك الصراط المستقيم . تعال وتعاون معنا قبل فوات الأوان .
أنت سبب كل شقائي وتشردى وهيامى على وجهى . الآن أمنحك
الفرصة للندم .

كانت تصرف بكل أعمالى الفاسدة . تعلم ما الدور الذى لعبته فى
محاكمة المجاهدين والفدائيين والوعاظ تعلم كيف حرمت - الطلاب فى
أوروبا من الدراسة وألغيت جوارات سفرهم وشردتهم بالمال . تعلم جيداً
كيف تسترت على جرائم الشاء والبلاط ونهبهم لأراضى الشعب فى
مازندران وجيلان ونياوران هل أنت على غير علم ولم تر بنفسك أن الفريق
كان يحضر أوقات الاعتداء على البنات البريئات وكان هذا الفسق مجازاً
فى حضوره ؟

كانت تدعى معرفتها بتواطئى مع الكبار : هل تذكر تلك المرأة ذات
الخمس والعشرين عاماً التى هربت من السجن ؟ كم عذبوها وأهانوها .
قتلوا أخاها وذهبت أنت آخر الأمر حين عجز الجلادون تبحث عنها لكى
تنصحبها . وكان قصدك أن تستسلم .

كانت تتهمنى بقتل الشاب الذى قتله الجلادون وأشاعوا أنه قتل أثناء
فراره ثم لماذا قتلتم سيد محسن مجاهد ؟

كانوا قد لقنوها افتراءات لا يمكن تصديقها وكانت هى تكررهما بغير فهم
ولا تدقيق .

- كتم جميعاً تعلمون أن الشاء ووزراءه - لا يشرب ماء بدون إذن من
الأمريكيين وسميتم هذا بالوطنية الإيجابية . لم تعلموا أن ملايين
الدولارات من كد الشعب الإيراني كانت تنفق فى أمريكا وإفريقيا للدعاية
لصالح الشاء . ثم ما معنى بناؤكم أحياء فى أفريقيا ؟

قالت كل ما بداخلها . نسبت إلى من التهم ماكنت أجهله تمامًا . لماذا كانت تلقى مسئولية قتل ابن الشيخ فى العراق بدوره على عنقى ؟

أحصت فى الربع الأخير من الوقت صور عقابى . أستقيل من عملى . أدون ما حصلت من التجارب فى هذه السنوات السبع عشرة وأضعه تحت تصرف اتحاد الطلاب ، لا أقيم فى أوروبا وأمريكا ، أتوجه إلى إحدى البلاد الجنوبية أو إلى الهند . هذا البلد هو الملجأ التقليدى للفارين الإيرانيين . أهب كل أموالى للمستحقين . أضع تحت تصرف الفدائيين مائة ألف جنيه إنجليزى بأقصى سرعة .

ثروتك فى إيران نحن الذى سنصادرهما .

كانوا يتخيلون أنى مليونير ويمكنتى بلا مشقة دفع مائة ألف جنيه إليهم . يؤمن الفدائيون حياتى فى أمريكا الجنوبية أو فى الهند .

بشرط أن تكون مطيعا خادماً للشعب المسلم .

تذكرت جيداً الجمل الأخيرة : (أنا رقية وأنت أخى . أحبك . أحبيتك . أرسلت لك هذه الرسالة بدافع الأخوة بيتنا . لكنك عادت إيران والاسلام . عليك أن تلقى القصاص إذا عصيتنا . لا بد أن تحترق بنار جهنم . سوف يعذبونك فى هذه الدنيا ولن أفعل لك شيئاً . ليس على بالنسبة لك : إلا البلاغ

صمت التليفزيون . كنت قد تيسست من المفاجأة : خدلت قلماى . لم أستطع تحريك ساعدى .

كانت الغرفة لا يزال يلفها الظلام . أخرجت المرأة المنقبة شريط الفيديو . وضعت فى الكيس الجلدى الذى كان بيدها وغادرت الغرفة .

نهض فرزان وأثار الحجرة . كنت أنظر إلى الأرض . لم اكن أدري
ماذا أفعل .

كان لا يسبح فى عقلى غير فكرة واحدة . من الذى أواجهه ؟ امرأة
جاهلة ومتعصبة كانت فى إحدى الأيام أختى ؟ لا تريد مالى وحسب بل
تريد روحى أيضاً ؟

أخذ فرزان بمرفقى . نهض من فوق كرسية واتجه إلى باب الحجرة .
أطفا المصباح وأوصد الباب بلا إقفال . ثم نتبادل كلمة . دخلنا الأسانسير
وخرجنا من باب الفندق .

كان عدد من التاكسيات، ينتظر أمام فناء الفندق المسافرين . سألتى فرزان
: أين تهب أن أوصفك ؟ بل تريد أن ترجع بمفردك ؟ فى هذه الحالة
استودعك الله

أقيت بنظرة إلى وجهه . هل تريد أن تتركنى وحدى فى مثل هذه
الحالة الآن وأنا أمتلى بالعجز والانهيار ؟
رأيت كثير الاضطراب والقلق . تجرات فسألته :

: لنذهب يا فرزان ونتناول العشاء فى نفس ذلك المقهى بشارع
Dupont . تذكر اننى لازلت أخال رقية أيضاً .

كانت الدموع على وشك أن تنهمر من عينى . كنت أحاول السيطرة
على نفسى وحلت دون تغلب العواطف على . بدا لى أنه كان حزيناً من
أجلى .

ركبنا التاكسى وذهبنا إلى نفس المقهى الليلى . انتحينا منها جانباً .
طلبنا العشاء . سألته :

- هل تحب أن تتناول كأساً من الخمر ؟

طاطاً فرزان برأسه . بقينا صامتين . هل لم يعد لدينا كلمة واحدة نتحدث بها . أتزلقت في تخيلي ذكرى . تذكرت عهد أن كنت ورقية وأمي نعيش معاً في (كذر كلاتر) وكنت عائداً لتوى من رحلة لنجاة وكنت عاطلاً وكانت رقية تعمل في معرض مع نفس هذا الرجل الجالس أمامي . قالت أنذاك لى أمى هذا الرجل يحب رقية ، أما البنت نفسها فليست راضية به . كان هذا بعد زواج رقية أو حملها . . وفجأة انقطعت الأفكار وذهبت بدداً . . صب الجرسون نصف ما بالزجاجة في كأسينا ورفعت كأسى وتعلقت عيناي بعيني فرزان ضارعتين . طال هذا التضرع والدعاء بعضاً من اللحظات . رفع هو كأسه أيضاً وسمعت قرع الكأسين وصوت جليسى يقول (فى صحة رقية) واستيقظت فجأة من نوم عميق ملئ بالرؤى الحلوة .

- فرزان ماذا أفعل ؟

- الملوك يعرفون صلاح مملكتهم .

- لم أشترك فى قتل أحد .

- لست قاضياً عليك . قضاتك من رأيت على الشاشة واحداً منهم . عليك أن تجاوبهم

- لم أعذب أحداً .

- لكن حين رأيت الآخرين يعذبون الأبرياء لم تحرك ساكناً لمنعهم .

- أنت الآخر تقرأ نفس تلك الأشعار . ألم تقل أنك لست من أخوانهم ؟

- لكنى حين رأيت شهاتهم وشجاعتهم كيف يمكن لى أن أبقى
محايلاً ؟ .

- كيف ترى موقفى ؟ .

- أراه حسنًا .

- كيف يكون حسنًا .

- استطعت القوة والمال وغصت أعمق فى قعر البئر كل يوم .

- كانت الحياة فى (كلر كلاتر) ضيقة على وطار قلبى فى الهواء
الحر .

- من هنا البداية .

- ما الذى يبدأ من هنا ؟ .

- كل ما حل ويحل بك .

- تقول أنك لست قاضيًا على وها أنت تدينى ؟

- أنت بنفسك تدين نفسك . ألم نقل إنك هويت الطيران فى الهواء
الحر ؟

- لو كان بختيار هو الذى سيتولى الأمور هل كنت ستعامل مع
أعدائه بأشد منا .

- ممكن .

- كنت متسير نفس الطريق الذى سرتة ؟ .

- لا أدرى هل لو توفر لدى العزم كنت رجعت من متصف الطريق .

- أنا حاولت مراراً أن أعود ، لكن الأحداث كان أقوى منى . لم أرق نقطة دم من أنف أحد .

- الفريق يدعى نفس هذا الادعاء أيضاً ويعلن أنه لم يصنع أحداً فى حياته .

- هل تعتبرنى زميل الفريق ومعاونه ؟

- لم أرد أن أعقد مثل هذا التشبيه . لكن ما الداعى إلى أن تتلوث يد الفريق بالدم مع وجود الدكتور بيجن وجمالخير وأرمایش والدكتور فريد وخاطى : أنت أيضاً توليت نصيباً من ممارساته .

ولم أجد للكلام المعقول إجابة . ولم يكن لدينا شئ نتحدث فيه لبضع دقائق .

- لم أمتلك مرة مائة ألف جنيه لو سلمت ما أملك هل كنت تصفح عن ذنوبى ؟

- لست قاضيك . ولو كنت لقلت لا . فضلاً عن ذلك فإمكانك أن تستخرج هذا المبلغ من الخزانة وتدفعه إلى أصحابه الأصليين .

- ماذا تريدون منى ؟

- أنا لا أريد شيئاً منك ، إلا أن تتجاهل ما حدث اليوم . اسأل اختك ماذا تريد منك

- هل تعطينى هذا الشريط ؟

- ليس الشريط تحت تصرفى لأبد أنهم احرقوه حتى لا تصل إليه يد.

- هل رأيت رقية بنفسك ؟

- ليس مسموحًا بأن تستفسر منى عن هذا الموضوع .
- هل تحب أختى ؟ .
- لا تسلى .
- فهمت إجابتك . أدفع شيكا فى حدود إمكانياتى بشرط أن أرى رقية إذا كان لدى أصدقائها هذا القدر من القوة على أنهم يمكنهم الاطلاع على دقائق حياتى فلن يكون صعبا تدبير لقاء مواجهة مع أختى .
- أنت لا تزال سافاكيا . لا يتقون فيك .
- الحق معك .
- جلست صامتا لبضع دقائق . كان فرزان يراقب بدقة حركاتى وسكناتى . قلت له بعد ذلك :
- معلوماتكم ..
- قاطعنى فرزان : - ليس لدى أى معلومه عن عملك
- أجبتة : - قصدى معلومات زملاء رقية . لا تتفق والحقيقة ما ينسبونه إلى
- هل أنت على يقين ؟
- تماما .
- اتذكر واقعة نقل تلك الفتاة إلى أحد أصدقائك كانت طالبة اسمها مرضية ..
- أنا الذى أنقلتها .
- أنا لا أعرف هذا . لكن بضعة من السافاكين أطلقوا سراحها بعد

ابتزاز اسرتها ، وبالمال الذى حصلوه بطريق الرشوة . كانت البنية الطالبة متهمه فى جناية فظيعة . سل كل واحد من هؤلاء الجلادين هل كنت السبب فى قتلها لا بد أنه سوف يثور ويعترض ويعد هذا الاتهام بلا أساس . ربما . . .

لم أقطع كلامه . أيقنت أن شيخك روى هذه الواقعة بالنحو الذى يكون فى صالحه هو . أعطيته الفرصة لكى يكملها .

ربما كان لهؤلاء السافاكين الحق . لكنهم صاروا سبب قتل هذه الطالبة بدون أن يقصدوا هذا بأنفسهم أو يعلموا به . فقد أنقذت هذه الفتاة بسبب ثروة أبيها ودخلت مرة ثانية ميدان الكفاح وكانت دائمة الثقة فى مقلرتها على النجاة بثروة أبيها متغافلة أن جسدنا النحيل لن يطيق الحمل الثقيل الذى حوّل إليها . ودق أبوابها كل الأبواب لكى يجد من يمكنه التوسط لأجل ابته . لكن مساعيه خابت . ماتت البنية فى السجن بسبب التعذيب . المشكلة هى : من الذى قتل مرضية ؟ ذلك الذى أنقلها أول مرة من السجن ، فى حين أنه كان يتصور أن الرشوة تحل جميع المشكلات أو جهازكم الشيطانى . .)

ها أنت يا سيد فرزان تدقق فى الأمور وتفصل فيها . أما هذه المقدمات ؟ ! وقولك لو كان هذا هكذا أو لو أصبح كذلك ؟ !

هذه التساؤلات نفسها ، الحديث عن الموت والحياة . الكلام عن فناء أمة وخراب بلد . مثل تلك الأرضية التى تنخر عظام البناء ولن يفهم أحد عمق الفاجعة مالم يتداعى البناء كله . ولن يعترف أحد من بعد بالذنب

– أنا لا أدرك امتدالك

- لسوء الحظ لم تكن أنت ولا زملاؤك مرة من أهل الاستدلال
- ما الذى عندي أقوله ؟ كان هذا الرجل من أهل الكتاب والدراسة .
حصل فى حياته التجارب . ومع هذا لم يكن براسة شئ ، لم يلق من
قبل سوط الواقع ولم يكن يعلم ماذا يخبئه القدر من الاعيب متنوعة تسحر
المرء . كان رجلاً منعزلاً يقنع بالقليل يقضى ضروراته اليومية بالعمل الشاق
إلى حد أنه عدم المال الذى يشتري به سبائره أو يدفئ حجراته .
- لم أكن أستطيع أن أجاريه . تشبثت ثانية بجدار الحب الذى كنت
أغوص فيه فلعل فرجا يلوح من هذا العمود إلى ذاك
- لم تجب على سؤالي يا فرزان .
- ليس مسموحاً لك بأن تسألني عن شئ . أنا ليس بيدي شئ قط .
إذا تدخلت فى هذا الأمر والذى يمثل لى خطراً فليس إلا بسبب الحب الذى
زرعته رقية فى قلبي . هى التى طلبت أن أكون أنا الواسطة لإبلاغ هذه
الرسالة التى ليس لدى أدنى علم بمحتواها . لم يقع نظري قط على وجه
تلك المرأة التى اقتادتنا إلى الحجرة فى الفندق وربما لن أراها مطلقاً . تأخر
الوقت بى لأبد من العودة إلى حجرتي . أعطيت شريكاً آخر ملجأ ولكلينا
مفتاح واحد .
- وكان يهم بالنهوض (إذا لم ترد الإجابة على سؤالي فاشرح لى على
الأقل وجهة نظرك)
- ماذا كان سؤالك ؟

- لو دفعت هذا المبلغ فهل يمكن مقابلة رقيه ؟
- (اى رأى آيئته لك ؟ لا أعرف من المسؤول . تجربتى هى أن هؤلاء الانتحاريين أو القذائيين كما يسمون أنفسهم لا يخضعون للشروط .
- ماذا أفعل ؟

- سألتنى يوماً هذا السؤال . كنت أتصور إذ ذاك أن رقيه فى خطر .
أمسكت بذيلك من أجل إتقاذها وقلت سافر إلى إيران ، وسافرت وعلت
كفرع البقس أكثر وقاراً وأبهة لكن أختك اليوم هى التى ذكرت لك أنها
ليست فى خطر . أنت الذى فى خطر وأنت تعلم هذا بنفسك .
نهض من مكانه وصافحنى ومضى .

كان لا يزال بالزجاجة قليل خمر فصبيته فى الكأس نظرت فى لونه
القانى . فجأة ظهر سائق السفارة بجوارى .

- ماذا تفعل هنا ؟
- أبحث عنك من أول الليل حتى الآن . لما يأت من كل موضع
أتيت إلى هذا المقهى الذى كنا سوياً فيه على أمل أن أجد ذلك السيد .
وإشاء الله أن أجدك أنت هنا .

- ماذا حدث ؟
- (يطلبونك بالهاتف من لندن وطهران من الصباح حتى الآن)
نهضت متعجلاً وحاسبت الجرسون وركبت سيارة السفارة وانجهت إلى
السفارة مباشرة واتصلت بطهران فأوصلونى على الفور برئيس الجهاز .
كان موجوداً بمتزله . سمعت أولاً صوت امرأته ثم أمسك هو بالسماعة :

- كنت أحب أن اسبق الجميع وأزف إليك بنفسى التهيئة فبناء على أمر
الحضرة العليا الهمانيوية أنت من اليوم مساعدي مبروك عد بأقصى سرعتك
وباشر مهامك أبلغ أمر تعيينك فى الوكالة العامة للجهاز اليوم اليكم عن
طريق برقية بالشفرة أبلغ السفير أيضا عن طريق وزارة الخارجية لكى تعفى
من العمل كممثل ثقافى . الشاهنشاه سعيد جدا بطريقة عمل أهارى
وتجهيزه لمكتبته السلطانية وحين وصل سمعه المبارك بأنه ربيب جنابك العالى
ودارس تحت إشرافك أظهر لك رضاه بك واستقر رأيه المبارك على أن تتولى
مهمة أعظم مسئولية .

لم أضع من يدى السماعه لفترة .

جلست أكثر من ساعة و أمعنت الفكر . عجزت عن رفع يدى من فوق
التليفون . فرجما يندق وأسمع ثانية اوامر رقية .

كيف يلعب القدر بالمرء . كأس الخمر فى يد و ضفيرة الحبيب فى اليد
الأخرى أى حياة مثيرة للشفقة هذه التى رتبها لى رفاق رقية هؤلاء أقبح فى
جب فى أمريكا الجنوبية فى كوبا أوفى بنارس وأنتظر لقمة من أناس
لأعرف من أى قبر خرجوا . يعرفون كيف ينصحون البنات الفججات
ويلقون بهن للإيقاع بالناس . يريد هؤلاء أن يصنعوا الأقدار أى جراءة هذه
التى لهم يريدون قلب ملكية دامت فى إيران ألفين وخمسمائة سنة . أى
افتراءات هذه التى يلصقونها بالإنسان ؟ من أين لفقوا هذه الأخبار
الصحيحة والكاذبة معاً . الإنسان تأخذه الريب لعلهم اخترقوا أيضا جهازنا
أى نفس مؤسستنا بنفس شاكلة علاقتى مع شيخك وفرزان وأختى . وربما
يكون على ساوجى والتحميسار الفريق ورئيس الجهاز نفسة صلات بهؤلاء
المطاريد ويفشون الأسرار المحظور معرفتها إلى هؤلاء الأتذال .

كانت رقية تتحدث كأنها ليست عبداً لله ، تتكلم عن الجزاء والعقاب

والعذاب الاليم كأنهم يملكون نواصى الأمور وأن القوة بأيديهم .

وهل يمكن تصور أن تتزلزل حكومة الشاه وتجبى على الاستقالة بواسطة أشخاص مجهولى الهوية لا إذا نقص من رأس الشاهنشاه شعرة فأى صلعة سوف تصينى ؟ يمكننى بالمبلغ التافه الذى ادخرته أن أعيش به فى اسكتلنده وميامى وكاليفورنيا لماذا أذهب إلى بنارس ؟ لن أعطى مالى لمن يسخر منى و يتظاهر أمامى بالجدية ؟

كان التردد يأكلنى كنت أحس مع كل ضربة ألقاها فى صدرى أن الثقل يتجه إلى حيث يوجد المال . عصفور فى اليد خير من مائة على الشجرة . ماذا كان يقول ؟ أنت لست من أهل الاستدلال ما أعظم معرفتى بالاستدلال واستخدام العقل .

أى كلام هذا الذى كان يقوله ؟ أنت عدو للإسلام وإيران . على العكس لقد أسديت للإسلام خدمات . لم أؤذ سوى الكفار . يوم أن أطلقت سراح الأساتذة من الحبس فى الجامعة ألم أقدم للإسلام والدين خدمة حينما توليت أمر أهارى وخان على ودماوندى الدين إذا لم أدركهم لاعتنقوا الشيوعية ألم تكن خدمة للإسلام ؟ التجسس على الحزب الذى كان أعضاؤه جميعا عملاء لروسيا ألم يكن خدمة ؟ عقاب تيمور بختيار طبقا لأوامر الحضرة العليا وكان يريد إقامة حكومة للوك الطوائف فى إيران ماذا كان إذن ؟ أى ذنب اقترفت حين كان الشهبانويون التابعون للشمسار الفريق يريدون الاعتداء الجنسى على النساء السجينات هم كانوا يتهموننى أنا أيضا بقتل ابن الشيخ

كم لديهم من الحكايات . وأى توقعات هذه التى لديهم ؟

ما شاهدته خلال هذه السنوات السبع عشرة أدونها لكى ينشرها الطلاب فى جرائدهم . لا أنا لست من يقوم بهذا العمل . فتاه كانت تنشر هذا الشعر فى السجن ؟ أذهب وأنصب هذا الشرك لطائر آخر .

كانت الأفكار والتخيلات تتماوج فى مخيلتى آتية ذاهبة .

كنت أقارن منصب وكالة رئيس الجهاز مع قرار الاعتزال فى كوبا وبنارس . والانتظار كل يوم ويدى على فمى لمؤونة حقيرة والتسول من ناحية و التنعم والتلذذ وامتطاء صهوة القوة من ناحية كان قطبا مصيرى متضادين . لم يكن بين القطبين طريق وسط كان أفضل شئ أن أبقى فى نفس لندن وإذا حدث وترلزلت لأقدر الله مكاتنى وخرس لسانى فى أركان السلطنة الشاهنشاهية لمجوت بنفسى وعشت كيفما اتفق .

كنت أغوص لأكثر من ساعة ويدى على سماعة التليفون فى الظلمات المهولة والرؤى المعذبة وليس أمامى أو خلفى طريق .

نهضت من مكانى وأستقللت نفس الليلة تاكسيا إلى مطار أورلى . جلست فى المقهى وشربت القهوة ونجمرت الويسكى وبقيت حتى الفجر حين حل موعد إقلاع طائرة لندن .

بعد ساعات عدة من التفكير و التلبر حسمت أمرى واتخذت قرارى بأن اضطلع بعملى .

تغلب عقلى على عاطفتى . لم تكن محبة الأخ لأخته لدى بالقدر الذى يمنعنى من مواصلة طريقى فتصورت أنه بإمكانى أستصال شافة محبتى لأختى من قلبى . فاق حب البقاء الرحمة والرافة لأشخاص غير مستعدين على الموافقة على رؤيتى لرقية ومشاورتها . أقنعت نفسى أنه

لا يمكن توقع الشفقة من امرأة كانت تواجهنى بهذا العنف ولما هبطت من الطائرة على أرض مطار هيثرو، كنت مصمما على الاستعداد لقبول المنصب الجديد .

فلنر من لذي يجرؤ على أن يطلب منى مالا ؟ وصلت إلى السفارة فى الساعة الثامنة والنصف . سمعت بعد دقائق معلومة صوت السفير فى الهاتف يدعونى إلى مكتبه أظهر لى البرقية وبدا غاضبا نسياً .

- .. اذا كنت ترى أن تستبدل بهذا العمل الهام منصبا آخر فكان من الأفضل أن تطلعنى مسبقا على رأيك

لم يكن لدى ياسيدى أدنى خبر عن هذا التعيين ولم أعرف به إلا البارحة . ما أعرفه هو أنه العطف الملكى شمل حالى الحفير . كنت سعيدا بعملى وأعرف جيداً مقدار النجاح الذى حالفنى تحت توجيهات جنابكم العالى فى إبطال أعمال اتحاد الطلاب والمعادين بأفعالهم التخريبية .

-أنا ممنون جداً وسعيد لأننى أسمع هذه الحقيقة من لسانك أنت . وأنا أيضاً راضٍ كل الرضا عنك . وتقاريرى فى وزارة الخارجية تؤيد قولى . هذا حسن جداً القرار كما تذكر اتخذته صاحب أتخلة المقام العالى وكلنا مطيعون له منصاعون . متى ستسافر إلى طهران

أسعى يا سيدى إلى أن أتولى المنصب بأسرع ما يكون ، لكن السفر فوق ذلك يتعلق بالقرار الذى يتخذه رؤسائى)

- (إذن لابد أن تخبرنى قبل سفرك ببضعة أيام . أحب أن أدعوك بمناسبة توديعك وأدعو رجال الثقافة البريطانيين والطلاب إلى حفل شاي وجاتوه . لابد أن يكون رحيلك مشرف . ألا تعرف شيئاً عن سيخلفك ؟

قلت لسيادتكم أتى علمت البارحة فقط بالأمر من مكالمة تليفونية.

قررنا أن أحيط سكرتارية السفارة علماً بسفرى قبل الموعد بأسبوع حتى ترتب أمور الدعوة الفخمة ومضى أكثر من أسبوعين ولم يأت إلى لندن من يشغل التمثيل الثقافى ويخلفنى .

خبر تعيينى لسوء الحظ فى مثل هذه الوظيفة قد خرج من بريطانيا وتسرب من هنا وهناك . وتحرك من يتظرون الخدمة . كان كل من الرؤساء الكبار يسعى إلى إجلال أتباعه الأصغر . كانت تصلنى آلاف من برقيات التهئة . لم يكن يتقطع جرس التليفون بمكالمات طهران . كانوا يوصونى بالعودة فى أسرع وقت لأنهم سمعوا قبل ذلك أتى على أن أختار من يشغل المنصب الجديد مكانى . حتى السفير المنتقل المقيم فى جنيف جاوبنى بالهاتف وأخذ ينصحنى بأن أكون دائماً مسيراً للأمور . كانت كل هذه الرسائل والمكالمات التليفونية والبرقيات تمنعنى من أداء عملى ولما لم يكن باستطاعتى أن أبقى فترة أطول من لندن رأيت الأفضل أن أفوض الأمور الثقافية مؤقتاً لأحد الموظفين ذوى الخبرة فى السفارة و ثارت جلبة تجاهلتها كان السفير الكبير قد رتب دعوة فخمة . اشترك فيها بعض العاملين فى وزارة الخارجية ولفيف من أساتذة جامعات إنجلترا .

كانوا يكبرون على حساب التجار وموظفو شركات الطيران وغيرهم من كلمات التملق والدهاء و كانوا يحسنون منافقتى وخداعى بإظهار تبجيلهم ولم يتركوا خصلة طيبة لم ينسبوها إلى وكنت أتواضع قائلاً إننى لم أفعل شيئاً وإنما أديت وحسب واجبى . و كل ما حققته كان بسبب اهتمام اللات الملكية وسوف أحقق من هذا الوقت فصاعداً النوايا الملكية حتى أعجل بتنفيذ أهدافه السامية وهى ضرورة أن تسبق ايران خلال بضعة أعوام الدول

الخمس العظمى فى العالم .

وفى خضم هذا التملق والملاهة التى وجهتها إلى المتملقين مقابل ما ألقاه . منهم أسراً إلى بعض الجواسيس قائلاً : سيدى .. الطلاب متجمعون . اجتمع نحو مائتين وخمسين منهم أمام باب السفارة يهتفون يريد ممثلوهم تسليم السفير رسالة . بصحبته جماعه من المراسلين والمصورين والصحفيين ومصورى الأفلام أيضاً ماذا تفعل ؟

وكان آخر يحدث السفير سراً فطلب السكرتير الأول وخرج هو من القاعة ثم عاد بعد ربع ساعة وتوجهت نحو السفير وسمعتة يقول :

- أبلغ ضابط بوليس السكرتير الأول أنهم شباب فيما بين الثامنة عشره والخمسة والعشرين ولا ينون تخريباً وإهانة أو على الأقل لم يصدر منهم حتى الآن ما يخل بالأمن ويريدون توجيه رسالة إلى ممثل الحكومة الإيرانية فى حضور الضيوف ويبلغون شكواهم إلى سمع أولياء الأمور . وطالما أن المظاهرة تمت بموافقة الجهات المعنية فليس للبوليس حق التدخل ماداموا ملتزمين الهدوء فماذا يجب أن يتم فى رأيك ؟

قلت : - اسمح لى باللهاب إليهم ومخاطبتهم

- تفضل .

وما أن خطوت فى فناء السفارة حتى صاح بضعة نفر منهم : (أيها السافاكى ، أيها السافاكى لا نريدك . اذهب إلى طهران وقم بأعمال الجلد بها) .

كان التراحم من الشدة بحيث حال أفراد الشرطة بينى وبينهم . وفجأة وصل سمعى من وسط الهمهمة والألفاظ البذيئة صرخة . لا أعلم هل

كنت خيالياً وقتها أم كانت الصيحة حقيقية : - إليها السافاكي بم سترد على
أختك ؟

احمرّ لونى ولولا أنى كنت أراعى وجود الشرطة - لكنت وجهت إليهم
سبابى وشتمى . أتى السكرتير الأول وتدخل قائلاً : - هدوءاً أيها السادة .
السيد السفير لديه الليلة ضيوف كبار . هم أساتذتكم أرجو ان تعطونى
رسالتكم وأنا ساقوم بتسليمها فى حضورهم .

إذا كانت رقية تقصد من استعراض قوتها هذا إلى أن تحذرنى فلا بد من
الاعتراف بأن هذا كان أول لطمة أصابت وجهى . ثم إن أمثال الحاج على
ساوجى والتيمسار الفريق ليسوا من يوجهون إلى ضربة كهذه وإذ ذاك
كانت جمهرة المتمردين تركلنى وتذكر اسمى وتظهر لى عداوتها العلنة : -
بم سترد على أختك ؟

كنت أتصور أن أحداً من ناحية رقية ورفاقها لا يمكنه أن يوجه إلى ضربة
لكن الصرخة هذه التى خرجت من بين المتجمهرين أشعلت فى النار
رحمت استجمع قوتى وأتابع عملى ..

كان عملى الجديد قد بث النشاط فىّ وكان خيلائى الجموح يدفع بى
إلى العدو إلى حيث ما لن أرى الحقيقة مرة أخرى وكان طلبى للجاء يناطح
الفلك .

ولم يكن معارفى وزملائى يكفون عن تشجيعى . كانوا يزدوننى
إصراراً لماذا لا أتى ؟ قال مرة رئيس الجهاز نفسه أثناء طرح موضوع : -
أبرق إلى الجهاز قبل يوم وصولك حتى نبلغ الشاء . كان هذا إخطاراً .
رتبت أمورى وصممت على السفر من لندن إلى طهران . لم يأت سائقى

الذى كان مقرراً قدومه مبكراً ساعتين إلى منزلى ليساعدنى فى جمع أغراضى . بعد نصف ساعة أبدى عامل التليفون بالسفارة سعاده حين سمع صوتى ولم تمضِ بضعة ثوان حتى هتأنى السيد السفير : - أنا سعيد لأنك على قيد الحياة . وقع لسائقك حادث أليم . انفجرت السيارة وأنا أت بنفسى إلى منزلك لأوصلك إلى المطار

فزعت بشدة . لم أفزع إلى الحد إلى مطلقاً فى حياتى . الأمور تأخذ مسارها الجدى . نفوذ الغدائين والمجاهدين والفلسطينيين وصل مداه حتى لندن . ذرعت الغرفة وأنا أنتظر . وقفت بجوار النافذة خلف السيارة وكنت أرى فى كل امرأة تعبر الشارع رقية أو مرضية الفتاة الهارية من السجن . خلعت . معطفى . أدخلت الخادم العجوز التى فتحت باب مسكنى وأقفلت الباب بنفسى .

أتى أيضاً قليل من زملاء السفارة كانوا جميعاً مرعوبين وأنا افوقهم رعباً أتى السائق فى الحال . كان الجميع ينظر أحدهم إلى الآخر .

كان السفير شاحباً جلس فى نفس المدخل على كرسي وأمرت العجوز بأن تأتى له بالشاى الساخن كنا اثنين على انفراد .

- السيد الوزير أمر أن تسافر إلى طهران نفس هذا اليوم . رأيه هو ألا نعطى الصحافة فرصة إثارة جلبة جديدة .

لم يستطع أحد من الموظفين أن يتحدث أو يتصور من وراء هذه الفاجعة . قدم إلى أحد موظفى السفارة . كنت قد رأيته فيما سبق فى أحد مقار السافاك الخفية ولم أره من قبل فى منزلى إلا فى ظروف التخفى . أبلغنى أوامر الجهاز . أعود فى نفس اليوم إلى طهران على الخطوط البريطانية بقدر

الإمكان . هو نفسه المكلف بالتحقيق فى الحادث .

-أمر بالآ تضيع وقتك ويجب أن تسافر قبل نشر هذه الحادثة فى جرائد المساء . كنت فى الطائرة وسمعت آباء الحادية عشرة من إذاعة لندن . كان انفجار قبلة فى سفارة ايران وقتل سائق الملحق الصحفى هو الخير المؤلم لذلك اليوم وألحق به مظاهرة الطلاب السلمية فى فناء السفارة . لم ترد إشارة إلى اسمى . ثم أذيع فيما كانت تنقله إذاعة لندن من تعليقات صحف الصباح أن الطلاب لم يميلوا إلى مقابلة الممثل الثقافى وأوردت جريدة يسارية أن الممثل الثقافى موظف بالسافاك وتقرر أن يختار فى منصب وكالة جهاز أمن إيران واستخباراتها . وأنا أقصد بلاشك الجرائد الرسمية الصادرة بالإنجليزية . وفى المقابل وقعت فى أيدى طلاب الاتحاد الذين كان لديهم أكثر مما كنت أتوقع معرفة بحياتى وعلم تفصيلى بخط سيرى للدرجة أنى أيقنت أن أناساً من نفس جهازنا هم من أخبرهم بمجريات حياتى وخط سيرى فى الجهاز وكان ظل رقية واضحاً فى بعض المواضع .

طغمة الفريق ورقية فى تعاون معا فى ذاك الوقت كنت أفكر فى هذه المصيبة ، لكنى أستطيع القول إن حياتى من تلك الساعة فصاعداً أصبحت كدراً وآلاماً . عشت كل لحظة فى خوف وفزع . مع هذا أقيت بنفسى مقهوراً فى ألم .

بعد لقاء دام بضع ساعات مع رئيس الجهاز ورؤساء الإدارات العامة والشعب والعاملين الكبار استأذنت فى قضاء بضعة أيام للراحة ولكى أشغل نفسى بحياة أمى التى كانت تجهل حادثة تفجير السيارة وقتل سائقها .

أو كنت أود أكثر من أى شئ أن اتقص أمر رقية منها . هل تعرف جديداً عنها وهل تدرى شيئاً عن شريط الفيديو أم تجهل كل ذلك . إذا كان

بإمكان رقية أن تظهر نفسها إلى ولو على الشاشة، لا يعد قط أنها لم تنسى أيضا أمها . كانت والدتي تعيش في نفس منزلها بكزر كلاتسر . وجدتها سعيدة فرحة . لم تشك من حالتها أدنى شكوى . ولم تورد خلاف ماسبق ذكراً في هذه الأيام العديدة لابتها . حاولت أن أتفهم سر سعادتها . كانت حياتها تضي بمساعدة موسى جون (هذه المرأة وزوجها متآلفان معي كثيراً . منذ أن ماتت أمه وانتقل إلى البنك الوطنى وهما يعيشان في نفس تلك الحديقة ذات البركة . هو سعيد بعمله . له دخل مجز وشئ عليك كثيراً ويقول دائماً لاحسر الله ظله يأتى لى كل يومين أو ثلاثة بالدواء والغذاء . أنفقا على كثيراً . لا بد أن نحاسبه . كيف حالك يا ولدى العزيز ؟ هل يمكنك مساعدته ؟ أنا مدينة له بمبلغ من المال كان كل كلامها معي عن موسى وزوجته : (أعطاهم الله بتا جميلة ، كم هي لطيفة . .) فى الفناء الضيق كان يجرى كلب له شعر مجعد أسود ينبع حيناً ، سالتها :

- من أين لك يا أمى هذا الكلب ؟

- اشتراه موسى لابتته . يأتى به إلى هنا فى الأيام التى يغيب عنى فيها . نفذ صبرى من الوحدة يقفز هنا وهناك وأسعد به

- ماذا تفعلين يا أمى حين تكونين وحيدة غير اللهو بالكلب ؟

- أخيط لمنيعة ثياب الطفلة . لا تعرف كم تكون سعيدة

لم تذكر شيئاً عن رقية . لم أكن أريد أن أكذب قائلاً بأنى ليس لدى خبر عن أختى . قلت : أحب يا أمى أن أرى موسى . هل لن يأتى إليك هذا اليوم ؟

- يأتى هنا كثيرا ، لكن هل سيأتى اليوم أو الليلة فعلمه عند ربي .
فكرت قليلا . ثم قالت أمى :

- اذهب أنت إلى منزله واصطجهم معك إلى هنا .

قلت - ربما لا يرضيه أن أتى إليه على حين غفلة .

- اذهب واتصل به بالتليفون

- أين التليفون هنا ؟

- نفس بيت الجار فيه تليفون . نفس نصف منزلنا الذى بعته يوم
إحتياجى . إذن (العريس) لديه تليفون . اكتشفت بقية الموضوع . إذن
هنا مركز آخر من مراكز مراسلات السافاك .

- أمى العزيزة الاتحيين أن تأتى معى إلى منزلنا فى نياوران . أنا
وحيد . يمكنك أن تعطى لحياتى شكلاً ومعنى .

- لا ، لا يا عزيزى . لن تخطو قدمى داخل ذاك المنزل ثانية .
تجهيزاته واثاثاته كثيرة بالنسبة إلى .

- كيف يكون كثيرا عليك ؟ هل تحتاجين أكثر من سرير ؟ وهل تأكلين
أكثر من الغذاء والعشاء ؟

- لا لا ، بيتك ليس محلاً للصلاة

من لفتك هذا الحديث وهو أن منزل الابن ليس محلاً لصلاة أمه ؟

- بيتك ليس محلاً للصلاة . إنه ملك مختص

- من قال هذا ؟ من الذى وضع فى أذنيك هذا الكلام المبالغ فيه تماماً .

- لا تجادلنى يا بنى العزيز . كل الناس تعلم هذا يقولون كل السافاكين أعداء الله والرسول .

- ومن السافاكى ؟

- لا تسألنى . اذهب واسأل الشيخ تقى إمام مسجد الحى . أنظر أى كلام يقول من وراء السافاكين .

- أمى العزيزة لست عدو الله والرسول . من يلقى بهذه التهم يخونون بلادهم .

ليس من فائدة أن أجادل أمى أكثر من هذا . مافهمته هو أن دعايات رفاق رقيه نقلت إلى عمق المجتمع حد أن الناس يتجراؤون على الإعلان بأن السافاكين خائنون مجرمون .

خرجت من عند أمى إلى منزل (العريس) طرقت الباب . فتح الباب شخص لم أكن أعرفه .

سألته - عفوا ، أزعجتك . صاحب المنزل يعرفنى . لم أكن أقصد سيادتك . كنت أريد إذا سمحت أن استخدم تليفونك وأتصل بأحد أصدقائى . أنا مسافر غريب وعدت اليوم من السفر .

- تفضل ، على الرحب والسعة ، أنتم ابن الهائم الجارة . تفضل بالدخول واتصل . وجدت موسى جون . أتى وروجته نفس تلك الليلة لرؤيتى . لما ذهبت أمى إلى المطبخ ومعها مينة تحمل على صدرها ابتها وبقيت أنا وموسى منفردين انتهزت الفرصة وجعلته يتحدث :

- يا موسى ما الذى حدث ؟ أمى صارت صعبة جدا . لم تعد تنفق

معى . من أين لها بأحاديث السافاك هذه ؟

- (كأنك لاتدرى شيئا عن الدنيا . هذه الأحاديث صارت على السنة الجميع . ولاشك أن التقصير من السافاك نفسه . بل إن الخبز المستوى بالحجر إذا دخله رمل فهذا بسبب تقصير السافاك . حين يفضل أولاد الناس طريقهم أو يصابون بالعمى فاعتبر السافاك مسئولا عن ذلك أيضا يلوكون ألسنتهم بكلمة السافاك بخفوت حتى لا يسمعها غيرهم . زال عن الناس خوفهم ويدون أن يفهموا ما هو السافاك يتخادفون الحديث عنه بهذا الشكل . أما الفاهمون فهم يعتبرون أن الشاء هو المقصود من كلمة السافاك . أمك لا تعرف ما هو السافاك ولا تعلم أنك اشتغلت فى الجهار . لكن فهمت هذا وهو ان كل ما هو شامى سافاكى . أمك صارت الآن تقرأ الجرائد أيضا . كانت تسألنى منذ بضعة شهور عما قرأته أنا من الصحف .

كانت تأخذ الجريدة منا وتقرأها بنفسها . اشترينا لها نظارة ، ومضى أسبوعان ثلاثة ويائع الجرائد يلقي بواحدة منها من ثقب الباب إلى الفناء . أمك بنفسها تقرأها . فلماذا تستغرب الآن أنها تخاف من السافاك ؟

- ألا يخاللك أنت أدنى خوف وأنت تقول لى هذا الكلام ؟

- لاتتحدث هكذا . تعال يوما إلى البنك الوطنى وانظر ماذا يحدث ؟ ليس لهم شغل شاغل غير الحديث فى مثل هذا الموضوعات معا . حسنا أنا ومثلى يبلغ عنهم . ولافائدة . لا بد أن تجدد الرؤساء ، كأنهم لم يعودوا يتحكموا . فيهم ولا يمكن أن ترمى جميع خلق الله فى السجن

- صارت أمى الآن عدوا للشاء حتى أنها سعيدة بهذا الحد ؟

- لا ، فى رأى هناك سبب آخر لسعادتها .

- ماهو؟
- اسأل نفسك
- إذن أنت عارف ولا تريد أن تبوح لى ؟
- أنا لا أعرف ولكنى أحس
- أى أحس ؟
- عزيزى لماذا ترمى بى فى المهالك ؟ هى أمك وتتق فىك .
- اترك هذا وادخل فى صلب الموضوع
- أنا نفسى لم أر شيئا . فى أحد الأيام تركت زوجتى منبجة تقضى بضع ساعات عند أمك . حين ذهبت إليها رأت أمك تقرأ رسالة . وما إن وقعت عيناها على زوجتى حتى أخفت الرسالة
- من الذى يرسل خطابات إلى أمى ؟
- اسأل نفسك
- أنا الذى أسألك
- فى النهاية ليس لأمك أحد غيرك ورقية وهى لاتخفى عنا خطاباً منك .
- قطعت الكلام . حين رحل موسى وزوجته وبته هجمت على أمى :
- أمى ماذا تعرفين عن رقية ؟
- لاعلم لدى بشئ عنها ، لكن خطر بفكرى أنها سرعان ما ستأتى وسوف يلتئم شملنا جميعا أنت ورقية وأنا

- هل كانت رقية ترسل لك خطابات ؟
- ألم ترسل لك أيضا خطاباً ؟
- لم ترسل لى شيئاً
- ارسلت إليك رسالة مفادها أترك عملك وأرح نفسك
- من أين علمت هذا؟
- وهل تقول لى كل شئ تعرفه حتى أقول لك أنا كل شئ أعرفه ؟
- أسمى إنك تقامرين بروحك وبحياتى وأنا لا أريد أن تتورطى
- فكر أنت فى نفسك . ليس لى أحد بعد موت أبيكما فى الدنيا إلا أنت ورقية . وأنا أعرف الآن أنه لم يعد لى أمل آخر حتى موتى إلا أن تجلسا كلاكما أمامى ماذا تساوى حياتى ؟ اذهب وفكر فى نفسك . أنا أيضا جالسة وانتظر رقية وكلما طرقت زوجة موسى الباب ودخلت أشعر بالسعادة لأنها تقرأ لى شعر حافظ وأسعدحين تشرح له قول : « أبشر أيها القلب فالمسيحى الأنفاس قادم » وأذهب إلى نومى هادئة على أمل أن يطرق الباب على فى الصباح وتدخل أنت ورقية متشابكى اليدين كما كنتما فى عهد صبا كما وتحتضناني وأموت سعادة . . .
- لم تكن تسمح لى بقطع حديثها . كانت تبختر فى عالم الأحلام . كانت تحكى أحلامها السعيدة . كانت هاتيك الأمانى تستلب لى بقدر غمضة العين . كنت أرى رقية حييتى وأنا جالس على حافة الخوض نجعل الماء يتلاطم بأقدامنا فتفر الأسماك الحمراء مذعورة ثم تعود . وكان هذا الحلم يفر سريعا لأرى « صورتها المفزعة والمحنقة على الشاشة وهى تتحدث - ويلها فى خصرها - عن التعذيب والضرب والعقاب . كان كل

منا عدو للآخر ويتعطش للدم . أثارت هي الشجار ولم يكن لدى حيلة سوى الدفاع عن نفسى ولم يعد أمامى مناصر رضيت أم آيت من أن أخط حولها خطأ وأتجاهل وجودها .

لكن الحياة على الصعيد الآخر لم تكن سهلة . ففى خضم مشاكل أسرتى ورحمتها الداخلية ماقونى إلى ميدان كنت جاهلاً كيف امتحن قوتى . فيه كان عملى إذ ذاك ينحصر فى منع بعض الشباب الأغرار الباحثين عن الشهرة عن طريق جلبتهم وصياحهم من إدانة سياسة البلاد . كنت أستطيع سد الطريق عليهم بالوسائل التى لدى . كنت أهددهم . أصادر جوازات سفرهم لا أعطيهم حقوقهم المالية وأعزلهم بالتقديم إلى المحاكمة فى محاكم البلاد المضيفة . كان العمل الأساسى هو أن أوقع المخلصين للشاة فى اتباع الاتحاد أضبط صور المعارضين وأسجلها . أبلغ طهران وآلاف من الحيل الأخرى . حصلت التجارب وكانت بداية الخط ييدى . كان يلزم هذه الأفعال بلاشك الدقة والدراسة والعون والإيقاع بين طرفين وآلف حيلة أخرى . لكن كل أمرى بإمكانه أن يؤدي هذا العمل .

أما العمل والمنصب الذى فوضوه إلى فكان يحتاج إلى العلم والثقافة والمراسل السياسى والمرونة والأخذ والعطاء وآلف فن آخر . و كنت محروما من كل ذلك . لم أكن أفهم ما هو الغرض من الدخول فى لغة الأحزاب التى أعلنها الشاهنشاه بعد حادثة شهر خرداد (١٣٤٢ هـ / ١٩٦٣ م) لم أكن أفهم بالضبط ما معنى سياسة التوازن ، فمثلاً حين كنت أشتبك مع اليساريين فى طريق مكافحة الشرعية وأضيق عليهم الحقائق وأذلهم لا أفهم كيف يقول الشاهنشاه القلند العظيم الجاء بلسانه فى موسكو (لو كان بإمكاننا اختيار جيراننا لأخترنا الاتحاد السوفيتى) - فلا بد من حكمة ولاشك مسترة فى إبدائه هذه النظرية . ثم ما العلاقة بيتنا وبين السياسة الأمريكية

التي صارت في فيتنام شعباً بلداً بشكل حقيقى حتى يأمر الحضرة العليا بالآلا يخوضوا في بحث هذه المشكلة على أوراق الصحف . كان المعارضون يثيرون الصخب والجلبة حول الفائدة التي سيجنيها بلدنا من وراء ازهاق أرواح شبابنا في ظفار ومساندة بلطجى جلف غير متحضر .

فكيف يمكتنى الإجابة على هؤلاء الحضرات ؟ هل المقصود هو أن علينا الحفاظ على المصالح الأمريكية في الخليج الفارسى ؟ كان اليساريون يقولون أن الحضرة العليا عميل أمريكا ولا يستطيع فعل شئ بدون رغبة أمريكا . وهذا لا يتفق مع سياسة القومية الإيجابية . كنت أنا الحقير مبتلداً جداً ولا أفهم خبايا الأمور وأقرأ خطب الحضرة العليا بكل دقة من الجرائد وأحفظ منها بعض الجمل لكنى كنت أقف عاجزاً كالحمار في الطين في حضور رؤساء الجهاز ، ما إن يجرى النقاش حول مشكلة جديدة كنت جاهلاً ولا أفهم من خلال التجربة والذكاء غير أن حسادى يراقبون بكل حواسهم كل حرف يخرج من فمى و يفسروه على أنه يخالف أغراض الشاهنشاه . كانت الذات الملكية هي الكل وكل أو امره مطاعة . بدون أى نقاش . والمخزى هو أننى لم أكن أعى بعض الموضوعات . لم يكن هروب الفلاحين من القرى إلى المدن يمثل فى نظرى مشكلة يجلسون من أجلها ويتناقشون فيها بالساعات ويوظفون متخصصاً من أمريكا ويرسلون القرويين الهارين بالعصا والهرأوة إلى الصحارى الجنوبية كنت أقول بعقلى الناقص : ماالضرر فى أن فلانا الفلاح يتجه إلى المدينة بحثاً عن عمل أسهل ويصطحب أولاده معه يبنى له سكناً كالكثيرين من هذه المسائل التي لم يكن أحد يجرؤ على إعلان معارضته لها .

لم يكن لدى من استشيريه فى مثل هذه المشكلات . كنت منفتحاً على

موسى جون . لكنه أيضا لم يكن يعرف كل شئ . كان متمرسا فى أعمال البنوك من خلال عمله الذى دام ثمانية عشر عاما . كما أنه حصل على دبلوم متوسط . كان يفترق عنى مع أنه لم يحط علما بالأسرار السياسية وكان فى الأغلب يكرر نفس الموضوعات التى سمعها من الآخرين فى البنك أحيانا . كان يقول بشأن اندفاع القرويين على المدن :

- هرب نحو ثلاثة ملايين قروى إلى المدن

- لماذا ؟

- السلع التى نستوردها من الخارج وهى أرخص مما يتتجه الفلاحون تباع فى السوق . فلم يعد يستفيد الفلاح من شرائه للخبز لأن جبن الدنمارك أفضل من جبن ليقوان وأطعم وأرخص .

- حسنا فلماذا نستوردها ؟

- من أين أتيت ؟ ماذا كنت تفعل إذن فى لندن خلال هذه السنوات العديدة ؟

- تحدث

- إذا لم تكن سيادتك موجودا لقلت ما فى قلبى

- قل

- سيدى أما أنك غافل أو تتظاهر بالغفلة . من الذى يستورد ؟ أنهم هم كل أولئك المشاركين فى هذه اللعبة . يتبادلون فيما بينهم المنافع . إنهم هم اتباع البلاط . الحاضرة العليا ذاتها تعلم هنا قلت فى نفسى : ما أشد جرأة موسى هنا . رأيت الأفضل أن أتركه يتحدث سألته :

- حسنا ما الضرر فى هجرة الفلاحين إلى المدينة ؟
- يهاجرون ؟ ماذا يعملون ؟ هؤلاء يريدون الماء والخبز . يريدون العمل .
- إذن لماذا بنينا المصانع ، لمن هى ؟
- مصانعنا يلزمها خمسة آلاف ، عشرة آلاف ، وليس مائة عامل ولا ثلاثة ملايين كما أنها تحتاج إلى عمال مدربين على الصناعة لجلبهم من باكستان وغيرها لا الفلاحين الأجلاف
- إذن فالاصلاح الزراعى والشركات التعاونية كلها بلا فائدة ؟
- عزيزى ليس لدى رأى أنا نفسى . ولم أسكن أيضا فى القرى . فلا يمكننى أن أدلى برأى . لكن موظفى البنك يقولون أن كل هذا كلام فارغ . أبلغت عشرات المرات عن هؤلاء المعارضين المشفقين . يقبضون عليهم عدة أيام ويدفعون مالا ورشاوى ويطلق سراحهم . ليسوا يساريين ولا اسلاميين أو شيوعيين فماذا يفعلون بهم ؟ يقول هؤلاء الفلاح الذى لديه هكتاران من الأرض وهو بهما أيضا مرفه لا يمكنه أن يؤمن حياة لأسرة مكونة من بضعة أفراد . الأراضى الجيدة يملكها الملاك أنفسهم وأعطوا الأراضى التى لا يصلها الماء إلى الفلاحين بعد ذلك جاءت الحكومة لكى تعالج وضعهم فزادت الأمور سوءاً رجاجة الحليب المقنونة تجعل رأس الطفل يتقوس مثلها . جاءت الحكومة لكى تثبت أسعار المنتجات الزراعية فصار نتيجة ذلك أن ترك الفلاح أرضه وماشيته وماءه وهاجر وجاء إلى المدينة هنا يعمل فراشا أو خدما يتسول أو يسرق لكنه لا يموت من الجوع

- ما معنى كلامك ؟

- (معناه أن الإنتاج الزراعى يقل يوما بعد يوم وتزداد ضرورات المدن يوما بعد آخر فماذا يفعلون ؟ يستوردون البضائع اللازمة من الخارج من ناحية ويقل الإنتاج من ناحية أخرى . سمعت هذا من مدير البنك . كان خبيراً فى الإحصاء . بلغت عنه . كان قد درس بضعة أعوام فى اليابان الإحصاء بالكمبيوتر فنقلوه من قسم الإحصاء إلى قسم آخر)

- الله أكبر أنا لا أفهم شيئاً من هذه الموضوعات

- وأنا وحياتك مثلك لكن الأسوء من كل شئ هو التضخم

- ما هذا التضخم هو الآخر ؟

- والله لا أعرف عنه شيئاً أيضاً . عليك أن تسأل متخصصاً

- كيف يتورم المال ؟

- أنا كنت أشتري حذاء مثلاً فلنقل بمائتى تومان وكان يمكننى أن أشتري برائيتى الشهرى مائة حذاء . الآن تضاعف مرتبى مرتين ومع هذا فلا أستطيع شراء مائة حذاء ارتفعت أسعار الأحذية أكثر من معدل ارتفاع مرتبى .

- فهمت هذا . كان نفس الوضع كما تقول فى لندن

كنت أريد أن استفسر منه عن سبب استياء العمال . قال :

- والله أنا لا أعرف هذا . عليك أن تسأل للمختصين . يقال أن الشيوعيين هم الذين يحركونهم

- أنا لا أدرى من هؤلاء الشيوعيون أولاد الحرام الذين يستطيعون إبطال جميع خطوات الشاهنشاه اليسوا هم أنفسهم المساهمين فى الشركات ولهم النواب فى المجلس النيابى ؟ ماذا يريدون بعد ذلك ؟ إيران الآن أكبر بلد فى الشرق الأوسط من ناحية عدد العمال . خمسة ملايين يتقاضون أجوراً من اقتصاد البلاد . هم مؤيدو الشاهنشاه . وإذا ذاك أتى بعض الشيوعيين من طراز أولئك الذين كنت أحرق جلودهم فى لندن ليهزأوا بالجميع .

كانت هذه موضوعات لم أكن أفهمها . ففى ذلك الوقت رأيت أحد أولئك الأطفال المتدينين الشيوعيين يدعى فى رسالته للدكتوراه أن الأزمة الاقتصادية سوف تتقلب إلى ثورة اجتماعية . لم اسمع لوزارة التعليم بقبول رسالته . واجهت فى عملى الجديد مثل هذه المسائل المعقدة . كنت إذا قابلت أصدقائى القدامى مثل أهارى وخان على ودماوندى وهم الآن أصحاب مناصب رفيعة أقف أمامهم عاجزاً . الحاضرة العليا نفسه استقبل نخبة من العلماء من بينهم أصدقائى القدامى فى حضرته المباركة وأمرهم بقوله :- اذهبوا وابحثوا سبب استياء بعض هذه الطبقات وأبلغونى نتيجة دراساتكم وسوف أتخذ قرارى على أساس تلك الدراسات . أشار أحد هؤلاء العلماء إلى أن شخصاً واحداً فقط يحكم البلاد وليس لغيره حق المشورة وهذا سبب الفوضى والقلق ويجب انتهاج أسلوب آخر . فأبلغونى وأنا أدير جلساتهم من وراء ستار فأمرت بأن يركلوه خارجاً .

وجدت دراسة أسباب سخط بعض طبقات الشعب أهمية خاصة أيضاً فى مؤتمر رؤساء الأجهزة على مستوى إيران أخلب بلاد أوروبا وأمريكا . رأى واحداً أو اثنان أن النزاع المتعل بين ممثلى حزب (إيران الجديدة) و (حزب الشعب) يوجه - النقد والشك والريبة إلى - سياسة

الشاهنشاه فيجب قفل هذا المنفذ . ودار جزء هام من المباحثات يدور حول نفس هذه المسائل التي وضعت موضع الدراسة في مؤتمر (إعادة النظر) . يجب أن تصل الحريات بالتدرج إلى أيدي الشعب لكن ليس بالحد الذي يتجاهل سلطة الشاه .

ودار الحديث عن تعميم اقتصاد البلاد وضرورة مشاركة رؤوس الأموال الصغيرة في تكوين الصناعات الجديدة . كان شراء جميع المصانع الكبيرة محصوراً بأيدي بضعة أفراد من بينهم أشخاص كانوا يلصقون أنفسهم بالبلاط - بحق وبغير حق ولا بد من إزالة هذا الحاجز . من كانوا يُحسنون انتهاز الفرص كانوا يعلمون أن المقصود هم رؤساء الجيش والجهاز الذين و كانوا يعتبرون التجارة في المعدات الفنية العسكرية والبحرية والجوية حقاً مسلماً به لهم . بلا شك كان المتحدث بهذا أكثر تجربة من ألا يفهم أن انتقاده يمكن أن يتحول إلى حلقة مشنقة تحيط بعنقه . ولكي يلزم الرماذ في العيون أكد أن الشاهنشاه يجب أن يشجع رأس المال الخاص ولا أحد يعلم إلا أنه بنفسه لا يقصد إلا أن تكون الرفاهية العامة وكل أملاكه هو لصالح الجميع : إذا لم تكن خطواته الجدية ما كانت الرأسمالية ازدهرت في وطننا مثل هذا الازدهار حتى أصبحت موضع حديث الخاصة والعامة . كان قصد المتحدث أن مجموعة ضئيلة وهي التي استقرت على رأس الاقتصاد والتجارة بإيران لا ينبغي لها أن تعوق الأمور وتمنع عمل التجار الذين لا يملكون رأس المال الضخم حتى يستفيدوا هم أنفسهم فائدة أكبر . على أي حال كان من اللازم أن تبقى قوة الحضرة العليا الهمايونية على المستوى السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي مصانة من أي نوع من التعرض . كان هذا خلاصة نتائج المباحثات في المجلس الأعلى للخطة .

فى نفس الفترة كان ارتفاع اسعار النفط قد رلزل بشدة اقتصاد الغرب وصناعاتهم وكان لدى الشاهنشاه برنامج يتغله فيصل بقفزة صناعية واحدة إلى (حضارة الدول الخمس العظمى) . كان يوجب هذا الأمر إعادة النظر بشكل متزايد شراء أسهم شركة (كروب الألمانية) وإعطاء الاعتماد للبلاد الأخرى والأرياح الكبيرة التى كانت من نصيب رجال الاقتصاد وسوء استفادة من وضعوا أنفسهم على رأس الدولة وزيادة أسعار ضرورات الشعب .

كل هذه العوامل والمناقشات والمؤتمرات والمنافسات التى لا مبرر لها والثروات الضخمة التى كان يجمعها أصحاب المناصب الكبيرة وخروج كبار رجال القوة والثروة عن الحدد حتى وصل الأمر بوزيرين إلى أن أشهر أحدهما مسلحه فى وجه الآخر بسبب القمار . ووصل الأمر بضابط برتبة فريق إلى أن يشتري خاتماً من الألمان المصقول كان الشاهنشاه يريده للشاهبانو فاشتراه فى السر من بائع المجوهرات بسعر أعلى والفتن الكامنة والنشريات المفرضة ليس فقط فى جرائد الشيوعيين والحزبين بل فى مطبوعات المشايخ المطبوعة على الحجر . كل هذا كان باعثاً على أن يتأذى بشدة الخاطر المبارك فصمم على الحيلولة دون مثل هذه الممارسات الهوجاء و تحجيم المتمردين لهذا الهدف أمر يوم الحادى عشر من إسفند (١٣٥٣ م / ١٩٧٤ م) بحل الأحزاب وتأسيس دولة إيران) . وجاء فى الأمر الملكى أن جميع العمال والفلاحين والمتعلمين والتجار فى الدولة وكل من يعتبر نفسه إيرانياً ويجب أن يعامل كإيرانى عليهم جميعاً الانضمام من الآن إلى هذا الحزب ومن يمتنع عن طاعة هذا الأمر إما أن يبقى عضواً فى الأحزاب غير الشرعية أو عليه بالذهاب إلى السجن أو ترك البلاد ، وله حق السفر إلى حيث يريد بدون دفع رسوم السفر .

وفجأة تبدل الحال . تنقب الانتهازيون ووجدوا مائدة ذات رواء وبهاء

فهموا عليها أملاً فى شغل المناصب العليا واكتساب الجاه . أصبح آهارى وزيراً للعدل وخان على رئيس جامعة تبريز ودماوندى وزيراً للبلاط .

تغير رئيس الجهاز . دخل التيمسار الفريق الجهاز مرة أخرى . أتى بإشراف وحماية العسكريين له . فوضت رئاسة الجهاز إلى فريق آخر . كل منهم أتى و فى صحبته أعوانه .

كان الحضرة العليا الهمايونية بذاته هو الذى عيتى ولم يكن لأحد أن يتجراً على مساسى . لكن لم يرجع إلى فى عمل . كانت كافة أمور الطلاب فى جميع العالم من الهند حتى أمريكا وكننا فى يدى فى الظاهر . لكنى لم أعد مرجعاً فى أى شأن . لم يكن أحد تحت إمرتى . كان كل واحد من سافاكى بلاد أوروبا وأمريكا وآسيا تابعاً لواحد من السفراء هو موضع ثقة الشاه وحزب البعث الإيرانى ولم يكن هؤلاء يسمحون لأحد بالتدخل فى أمورهم . أقبل بضعة من رؤساء الجهاز تصوراً منهم أنهم مجموعتى وقالوا أثناء موجة ارتفاع الأسعار المفتعلة أن الأسعار ارتفعت إلى حد أنهم لا يحتاجون إلى ملاليم مهنة العمل بالجهاز .

وقبل بداية عام (١٣٥٥ هـ ١٩٧٦ م) بأسبوعين أتى آهارى وزير العدل لمقابلتى .

كان الجو لا يزال بارداً ، ولا يزال يرى فى حديقة نياوران خطوط من الثلج . عريت الأشجار من أوراقها . كانت زهور البنفسج تطل واحدة بعد الأخرى برأسها من تحت التراب . كانت براعمها الملونة تبشر بقرب حلول الربيع . كانت الساعة هى السابعة بعد الظهر والشمس تختفى تحت أشجار الصنوبر .

سألنى قبل أن يجلس : ماذا حدث ؟ لماذا يتقلون الناس من مكان إلى آخر ؟ .

- أنت وزير ولا بد أنك تعلم ، من أين لى أن أعلم ؟ .
- اترك الدبلوماسية . يقال أن معالجة السافاكين للأمور كانت مرنة حتى الآن وأدت هذه المرونة إلى خروج المعارضين من جحورهم . إلى كان يريد أن ينطقنى . سكت . لم أعطه الفرصة .
- قل ، استمر فى كلامك . أنت تعرف أكثر منى .
- أنا أخاف منك .
- تخاف منى وأنت فى بيتى ؟ .
- فى النهاية أنت وكيل الجهاز .
- لكنى لا أضارع من أختاره الشاهنشاه قوة .
- من أين تعلم هذا ؟ بتقرير واحد مثلى تعلق رؤوسهم .
- دعك من هذا ، وقل ما عندك) .
- صدرت الأوامر بأن أحاكم بضعة أشخاص .
- من الجهاز ؟ .
- هم من الجهاز . أحدهم كان برتبة فريق أول . لابد أن يعيد دفع حسابه .
- يجوز أن أكون واحداً منهم ؟ .

- لا يا عزيزى لست منهم . لكنهما الوزيران الذى شهر أحدهم
مسدسه فى وجه الآخر . أمر الشاه بضرورة إثارة جلبة . لا بد من تهلة
الناقمين فى نهاية الأمر .

فسأله : ماذا تعرف عنى . نحن على صداقة مشتركة منذ نحو عشرين
عاماً حتى الآن . من تلك السنة التى كنا معا فى الحزب . صنعت فى
حقك معروفاً كبيراً . لم أخدعك مرة . كان حبس الأساتلة حيلة و لم
يكن بدافع عدائى لك . لم تسئ إلى مطلقاً فى حدود علمى . إذا كان
بعضهم يريد ضربى فمثلك عليه أن يرد إلى ما صنعت من معروف .
التمسار الفريق الذى تعرفه زوج مونيكا . . .

- ألا تعرف أنها لا تزال فاتنة حتى اليوم وتستلب القلوب . أقامت
دعوى على زوجها بسبب المال . دعوى تطليقها منه . امرأة غليظة وصلبة
تقول لك « لى نصف مالدك وإلا فضحتك » . ملفاتها فى المحكمة
تضخمت بالأوراق . ليس له شأن بك . من يريدون لك الشر لا يتركون
قضية رقية . أين أختك ؟

- ما أعلمه أنها ليست فى السجن . ربما تكون بالخارج . فى فلسطين .
فى أوروبا . ربما لا تكون أيضاً على قيد الحياة) .

- (لا ، حتماً هى على قيد الحياة وإلا ما تحرى عنها زملاؤك فى
الماضى وحالياً بهذا الشكل . إن أردت الحقيقة أنا لم أت إليك بسبب هذا
الموضوع) .

- أصبر .

أمرت (العريس) الذى كان خادماً لى كما كان يحرسنى بأن يحضر
للسيد الوزير الشاى والحليب . أظهرنا بعض الترحاب والبشاشة وأبعدت

(العريس) بمشوار طويل لكى نبقى بمفردنا . ولا يستطيع أحد أن يسترى السمع إلينا . من وقت أن اخترت لوكالة الجهاز وكنت أعيش فى طهران فى نياوران كان بضعة من الحراس يدورون على الدوام حول منزلى وفى حديقتي حتى لا أصاب بأذى من المعارضين . كان (العريس) أحدهم وكان يتمتع بالخبرة والتخصص فى أمورى وأمور عائلتي . وكان رجلاً ساذجا بريئا صرنا بعد مراسلته لى فى لندن يثق أحدنا فى الآخر . وكشف لى فى اليوم الأول من عودتي أن جهالنجير أمره بأن يبلغه كل يوم تقريراً عن تحركاتى . كان بإمكانه طبعاً أن يكتب أن وزير العدل جاء لزيارتي لكنى لم أكن أحب أن يعرف بخبايا أمورى . قلت للوزير لما خلا المجلس من الغرباء :

- أفض إلى بكل مافى قلبك . لا تخش فلن يسجل كلامنا بأى شكل ولن ينقل قط .

- الموضوع يتعلق بالفريق أول هارى ، رجل أحمق لا يخشى أحداً ولا يتورع عن شئ ، ومع أنه لا يزال يتزل بالسجن منذ بضعة أشهر إلا أنه يظن أنه الفريق أول ويصدر أوامره إلى عدة جيوش . كان ضابطاً دارساً خبيراً وظل رئيساً للمدارس العسكرية لسنوات ويعتبر من فاتحى أذربيجان المشهورين .

- أى تهمة ينسبونها له ؟ .

- لا يوجد دليل . القرائن كثيرة . كان يتولى لسنوات شراء الأسلحة من أمريكا ثم بناء على توصياته تبادل مقدار ضخيم من النفط وأسلحة أمريكية من كل نوع إلى حد أن الصحف الأجنبية ادعت أن إيران تفوق فى تسليحها بعد ألمانيا وإنجلترا كل بلاد حلف شمال الأطلنطى . نشرت

معلومات حول هذا الموضوع فى الصحف الفرنسية والروسية . لم يعرف أحد بهذه الصفقات غيره وواحد من زملائه بقى فى فرنسا ولم يعد إلى إيران . حتى الشاهنشاه نفسه . وأدى هذا التجاهل من جانبه للحضرة العليا إلى استياء حضرته، وعليه وقع هارى موضع الغضب وعليه أن يرفع القصاص منه .

- هل هو متهم بتهمة مالية ؟ .

- من أين له بهذه الأموال الضخمة إذن ؟ إننا نعدم الدليل ، ليس فى أيدينا قرينة وهذا الموضوع من أساسه لا يتعلق بالمحاكم المدنية ، ولا بد أن ينظر ويفصل فى المحاكم العسكرية . ولسوء الحظ فلأن حضراتهم لا يصلون إلى قوته ويخافون من أن محاكمته سوف تسبب لهم المشاكل حولوا الموضوع إلى القضاء المدنى ووقعت أنا فى مشكلة . فى أمريكا نفسها على وجه الدقة متهمون زملاء وتابعون له كذلك . طبعى أن صفقة بمئات الملايين من الدولارات لا تتم بغير رشاوى ويستفيد صناع الأسلحة بسبب هذه الصفقات أرباحاً عظيمة فلا يحبون أن تتهدد مصالحهم ولا يجروء بعد ذلك أحد على التعامل معهم . نشرت صحيفة أمريكية أن دولارين يعودان على الأمريكين عن كل دولار يدفعونه للنفط إلى الإيرانيين . ارتفعت أصوات المعارضة أيضاً ، فاعترض سيناتور بقوله إننا ندخل أنفسنا بدون علم فى مناقشات لا تتصل بنا من الأصل . تتهدد الأخطار المصالح الحيوية للبلاد المتسجة للنفط بدليل أننا نسلح إيران من أخصص قلعها حتى مفرق شعرها وليس من المستبعد أن تصل هذه التجهيزات إلى قوة من قوى المعارضة فى الخليج الفارسى أو غير ذلك . يتصور الشاهنشاه أن هذا النواح بهدف الدفاع عن الفريق أول . وهو نفسه متردد . أمر ذات مرة بوجوب إنهاء الأمر تماماً فحكمنا عليه بخمس سنوات بتهمة عدم الانضباط .

ثم ثارت جلبة جديدة من قبل أسرته وأصدقائه في المجترة وأمريكا .
فتحركت في الشاهنشاه الرأفة والرحمة فقال قسوتهم عليه جلدًا وليس من
الصالح أن يعاقب بمثل هذه القسوة . ترانى وقعت في مارق فطرات فكرة
على بالى الآن وأتيت لاستشارة صديق عشرين عاماً .

قال جملة الأخيرة بلهجة بريئة ومخلصة - أتيت لاستشارة صديق
عشرين عاماً .

- تحب أن أصب لك كأساً من الكونياك ؟) .

- لو كان في نخب تقوية صداقتنا وتشاركنى الشراب أيضا فبكل
ارتباح .

جئت بزجاجة الكونياك البللورية وصبيت كأسين وقرع كل منا كأس
الآخر وشربنا معاً .

- حسناً قل لى الآن رأيك - لم أفاتح فى هذا الموضوع إلا وزير
البلاط وهو من أصدقائى القدامى وهو أول من يعرف بهذا السر .

أود الاقتراح على الحضرة العليا أن يطلق سراح مجموعة من السجناء
فى عيد أول العام .

- هل تريد أن تأخذ من الشاهنشاه عفواً عاماً ؟ .

- وأى ضرر فى هذا . تصبح سمعة الشاهنشاه أفضل . سواء فى
خارج إيران حيث يدور الكلام كل يوم عن حقوق الإنسان ويكون هذا
وسيلة للدعاية لهذا الرأى القاتل إن إيران بلد ديمقراطى وتخطو فى هذا
السييل خطوات هامة خارج أو داخل إيران . لابد فى النهاية من سد
الطريق على الاستياء الشعبى . أنتم بالثلاثين إلى الستين ألف موظف
والثلاثة مليون جاسوس ونحن رجال الدولة بإعلان العفو العام الملكى .

- من أين أتيت بهذه الملايين الثلاثة من الجواسيس والستين ألف موظف سافاكى ؟ .

- هذه شائعات تنشر فى الصحافة الأجنبية خاصة عن طريق منظمة العفو الدولية .

- ما هدفك من هذا العفو العام ؟ ماذا تريد فعله ؟ .

- هذا سؤال وجيه . أولاً أن نستريح من شرور من هم قبل الفريق أهارى . ثانياً أن نفهم هؤلاء المشتبه فيهم الذين يعيشون مخففين أن يتخلوا عن الفتن ويقوموا بالتعمير والإصلاح ولن يزعجهم أحد - رقية منهم على سبيل المثال - التى لم يقل أحد حتى الآن إنها مذنبه - لم تقع منها جناية أو على الأقل لا نعلم ذلك . يمنحها العفو العام الفرصة للعودة إلى سابق حياتها وألا تضحي بنفسها من أجل حفنة من الناس . فى رأى أن هذا العفو العام ماء ينصب على إفساد مشعل الحرائق) .

- نحن أيضاً نفكر فى مناقشاتنا الخاصة والرسمية فى تشجيع الناس على الإخلاص للشاه وإزالة الاستياء العام . لكن لم ير أحد حتى اليوم أنه يمكن الوصول إلى الهدف بهذه الطريقة . أقول لك بصراحة إن هذا العفو العام الذى تنادى به يخالف سياسة الجهار تماماً إننا نشدد بالمادة رقم ١٣١٠ المعادية للشيوعية ونحدد الحبس المؤبد على الأقل بدل عشر سنوات سجن للمتهم بالعضوية فى حزب (توده) أو أتباع الماركسية اللينينية . كأنك تابعت بأمر الفريق أول وراعت فقط خاطر رفاهية رقية وتريد أن تحرق مدينة (قيصريه) من أجل منديل . كأنك لا تعلم أن البلاد فى حال من الاشتعال . ألم تسمع بأن كل مدينة تبريز كان على وشك الانقلاب رأساً على عقب فى إضرابات معدة لها بعناية ؟ ألا تعلم شيئاً عن إضرابات مصنع الأسمنت فى صوفيان وإيران ناسيونال هل تعرف يا أهارى أن بضعة أفراد

من الشعب ومثلهم من جنود السافاك قتلوا فى المصادمات مع الفدائيين والمجاهدين والمؤكسين الإسلاميين ؟ سمعت أيضا وقرأت عن مقتل رئيسهم فى التربع الماضى . سيدى الوزير أنت لست بالبتدى ولا بد أن وصل سمعك ماذا يجرى فى تكية (حسينية أرشاد) . هل تحب أن أسمعك أحد الأشرطة التى تصل يوميا بالثلاث من العراق لكى ترى أى تهم ينسبونها إلى الحضرة العليا والأسرة الملكية الشريفة الأصيلة ؟ ..

لم يدعنى الوزير أكمل كلامى .

- نعم سمعت . لكنك لا ترى إلا وجهاً واحداً للعملة ، ويجب أن تنظر إلى الوجه الآخر . ففى مقابلهم وقفتم أنتم والشاهنشاه والجيش . قال الشاه بنفسه إن أحداً لا يمكن أن يغاليه قوة . من هم الملاحدة ؟ الشيوعيون لا يرتكبون أدنى غلطة . تبعت (جبهة الحرية) حتى لم يبق يؤيدهم أكثر من سبعة . عندى سبعمئة ألف جندى . مرهم يدخلوا الميدان .

- هذا صحيح . لكنك فى النهاية تعلم أى أثر تحدثه هذه الأشرطة إذا وقعت فى أيدي هؤلاء العوام الذين هم كالأنعام . لا بد من الاعتراف بأن هذه الأشرطة تسبب من الاستياء أكثر مما يحاول الصحفيون حقنه للناس . أجل . إذا سقطت فى أيدي أتباع مصدق فكم من البلايا تظهر من الغيب . وهم يطالبون بالحرية ويطالبون بحقوق الإنسان . يتحدثون عن حل حزب البعث هذا الذى عقد الشاهنشاه عزمة عليه . هل تفهم معنى هذا ؟ فى هذه الحالة لا يصبح بمقدورى أن أمتلك فى نياوران منزلاً ولا حديقة وأنت يسيادة الوزير لا تستطيع أن تتكى على كرسى الوزارة .

- إذن فما هو الحل فى النهاية ؟ كل هذه الأمور التى تخصها تنهى

إلى نهاية هي أن النار تحت الرماد وأن هذه الجماعة يثيرونها بالاشربة والخطب والتوجيه الدينى والإعدام ويمدون السنة نيرانها بالاضرابات ومهاجمة المؤسسات الحكومية والمؤسسات الأمريكية .

صمت قليلا . رأيت أن هذا الحديث المنصب فى غاية الخطورة فلم أستطع أن أصبر : كأنك أيها الشاب لست راضيا عن عملك وتريد أكثر مما تملك . قل هذا الكلام إن جرات للتيمسار الفريق يفضح أمرك . أنت لا تدرك مبلغ مكره وخداعه . فى كل ليلة تهاجم جماعات من الجنود بيوت الناس وتقبض عليهم مدنيين أو أبرياء . يشلهم جميعا ويعجزهم . هل تظن أنه لا يتورع عن إلحاق الضرر بك وبرئيس ووزارتك يضربكم ويلقى بكم جميعا إلى حيث ينشر العرب الحصار أو فى داهية أحبط الوزير ولم ينطق بكلمة . صبيت له ولى كاساً آخر من الكونياك وقلت له :

- فى صحتك .

- (بالهناء والشفاء) .

كان يهم بالنهوض والذهاب . ربت على كتفه وقلت :

- كنت بلا قصد قاسياً . أنا أحبك مثل أخى وعلى ثقة من أننى لو وقعت يوماً فى مأزق فسوف تنقذنى منها أنت وأصدقائك الآخرون . قصدى هو ألا تقدم على أمر بدون ترو . العفو العام فكرة طيبة جدا . لكن ليس هذا هو الوقت المناسب . يجب أن تنتظر حتى تمر هذه الانتخابات الأمريكية وتنتهى رحلات الشاهنشاه إلى روسيا والولايات المتحدة ويطمئن من أن أحداً من اليسار لم يقم بأى خدعة . ويحقق النجاح فى توثيق صلته بالقادة الجدد الأمريكيين ، نجلس ثانية إذ ذاك لو سمحت الظروف ونتناقش حول من يجب أن نستشير ، والأفضل ألا نتحدث مع أحد مهما كان فى

هذا الموضوع، ويكفى هذا ناديت (العريس) جذب الستارة ما إن وصل .
كانت برودة الشتاء لاتزال محسوسة . قلت : - السيد الوزير هو ضيفنا
الليلة . مرهم بإعداد عشاء فخم لنا .

لم نتحدث بعد فى أى كلام جاد ولكى أخرجته من حالة اليأس والحزن
استفسرت منه عن أحوال أسرته . كنت أعلم أنه تزوج بفتاة شيرازية اسمها
(كلندام) سألته :

- لابد أنها من أصدقائك القدامى عهد إقامتك بشيراز .
- لماذا تسألنى وأنت عليم بكل شئ ؟
- هل كانت أيضا تابعة لحزب توده ؟
- لا ياسيدى تعرفت إلى أسرته فى شيراز . أرسلوا كلندام إلى أوروبا
وطلبوا منى بالاهتمام بها . بدأت من هنا صداقتنا .
- هل رزقتم بأطفال ؟
- طفل عمره الآن أربعة أعوام .
- أبقاه الله لكما .

أمضينا بقية السهرة فى هذه التفاضات . رفع سماعة الهاتف وطلب
سائقه وأوصلته حتى باب الحديقة سرت بعد ذلك بضع دقائق حول الخوض
ودخلت صالون الاستقبال وأدبرت المسجل على الشريط الذى سجلته
لحديثى معه خفية وقلت لنفسى :

- ما أشد بلاهته إنا فى فكر الكل وفى الكل - وهذا الصبى فى فكر
الكحول والياقة المنشاة .

استرخيت نصف ساعة على الكرسي وأعدت التفكير فى الموضوعات التى طرحتها مع أهارى . وردت فكرة إلى خاطرى ونهضت وعدت إلى الحديقة. رأيت الحراس الثلاثة نائمين فى غرفهم. كانت غرفة (العريس) مضاءة . طرقت بابها ودخلت كان جالساً خلف المكتب يكتب .

- تكتب تقريرك فى هذا الوقت من الليل ؟
- هذا واجب ولا بد من القيام به :
- أذهب ونم ، هناك متسع من الوقت فى النهار :
- لا أنا لا أذهب للنوم ما دمت مستيقظاً .
- فماذا يفعل هؤلاء الحراس إذن ؟
- هؤلاء رجال حمقى . يأخذون أجرهم، ولهذا فلا يهتمون بأمورنا .
- أنا لا أعرف ماذا سيحل بى لو نقصت شعرة من رأسك .
- هل ليس لديك أصلاً سرير هنا ؟
- آخر الليل بعد أن تمام أطل على متزلى أيضاً لفترة .
- أنت مكلف بالحراسة هنا وهناك معاً ؟
- أخذ أجراً مجزياً فى مقابل ذلك حين لا تكون فى المنزل تأتى أيام رقادى .
- لا تنسى أن تكتب تقريرك منذ متى وحتى متى بقى الوزير فى متزلى .
- اطمئن منذ أن لاحت طلعة الدكتور ييجن فى الإدارة وهو يحب أن يعرف كل شيء .
- ماذا لديك من الأخبار عن رقية ؟
- اطمئن بالأ من ناحية رقية. ليست هنا ، حتما بالخارج ، يقال إنها

وجدت في فلسطين . لم يجد جديد في منزل والدتكم .. لا يطل على
المنزل سوى السيد موسى وزوجته وطفله . أمك تتردد حيناً على المسجد
ومحل تلاوة الروضة . ومضى أسبوعان لم تخرج فيهما من المنزل . لعلها
أن شاء الله بصحة جيدة .

- على الله .

الحقيقة أنني وثبت لتنفيذ فكرة وردت إلى خاطري لالتحدث مع
(العريس).

- هل زوجتك على ما يرام ؟ كم عمر ابنك ؟

- يلعب إلى المدرسة ، يدعون لك .

- أريد أن أدعو ثلاثة من أصدقائي للعشاء هذا الشهر بمجرد أن تنتهي
البرودة . هل يمكنك أن تجهز ترتيبات ضيافتهم ؟

- أقوم بتنفيذ كل أمر تأمر به بعيني . أقول لامراتي أن تأتي إلى هنا
قبل الضيافة يوم وتحضر كل شيء .

- يمكنك أن تستعين بهؤلاء الحراس .

- ليس من فائدة من هؤلاء الحراس يا سيدى . هم سكارى على
الدوام . لا ينصتون إلا في الخناقات والفتونة . لحسن الحظ أن ليس هنا ما
يوجب عليهم إظهار فنونهم .

- مع هذا فالأفضل أن يظل واحد منهم مستيقظاً حتى الصباح ليحرس .

- كما تأمرون . أبلغ الدكتور جهانجير أنكم أمرتم بهذا .

كنت أريد أن أدعو إلى العشاء الثلاثة الذين ربيتهم كما حدث منذ
عشرين عاماً . ويصطحبون أسرهم معهم أيضاً . أسكرهم بالعشاء والخمر

والخلوى . كنت أظن أنى سأحصل على معلومات مهمة من الحديث مع خان على رئيس جامعة تبريز ، ودماوندى وزير البلاط كممثل المعلومات التى حصلت عليها من حديثى مع وزير العدل . يجب أن أجد طريقاً بأى حيلة فى النهاية إلى ما بداخل قلب الصديق .

لم تتم هذه الضيافة . لم أجد شيئاً لافتاً للنظر فى ملفاتهم . كان دماوندى مشغولاً فى شراء الأراضى والعقارات فى جيلان ومازندران . كان يتزلج فى الشتاء فى (آب على) . لم ترق له رئاسة جامعة تبريز وكان ينغص عليه حياته أن رفاقه الآخرين وصلوا الوزارة وهو قابع فى زاوية . كان يتمنى أن يصير محافظ خراسان ويتولى أمر الأماكن المقدسة . رأيت أنه لا تظهر كرامات من هؤلاء الأولياء . السبب الآخر لعدم حدوث هذا التجمع كان مرض أمى .

كنت أطل عليها كلما سنحت الفرصة . كنت أصطحب الأطباء إليها . عرضتها على أستاذ أمريكى كان يحاضر فى الجامعة . لم يكشف أى منهم لديها مرضاً محدداً .

أمسكت بذيل موسى جون : ماذا حدث لأمى ؟ يقول الأطباء أنها ليست مريضة بأى مرض وليست مريضة بالشيخوخة . هل عادت رقية إلى الظهور فسيبت قلقها ؟

- أنا صديقك المخلص . لا أتجرا على أن أوجه لك النصيح لكنى أقول الآن يجب أن تنقل نفسك من هذه الورطة .

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أن تأخذ إجازة شهرين أو ثلاثة وتأخذ معك أمك إلى مكان لا تكون فيه وحيدة وتبقى مستريحة بدون التفكير فى رقية . هنا تموت الما

وتعذب نفسها . تظن أنها ابتها كلما شخص في الحارة . لا يفترق الليل
عن النهار عندها . تصحو من نفسها وتلاحق أنفاسها . دائما في خوف .
لا معنى لأى شيء عندها غير رؤية رقية .

- ما قصدك من الشعر الذى رويته ؟

- الوضع فى متهى السوء يا سيدى .

- عاد موظفوا البنك إلى إثارة القلق .

- أنا لا أتحديث عن موظفى البنك . الجميع يتحدثون بصراحة عن
الأوضاع . يَسْتَبُون هذا التقويم الشاهنشاهى الجديد بآثاره السيئة جدا .
يقول الناس إنه تقويم المجوس يقولون إن الشاه كافر .

لم أرد أن أتركه يتجرا على ويواجهنى بكل ما آراه .

- موسى أتيت لأطمئن منك عن أحوال أمى .

- أمك متألة لنفس هذه الأسباب . وصل سمعها شيء عن رقية حتى
مرضت لهذا الحد .

- ماذا سمعت ؟

- فى حدود علمى أن أمك ليست هى تلك السيدة قبل شهر حين كانت
سعيدة هائلة . صارت فى غاية الاكتئاب ، ولهذا أقول لك أن تأخذها
وتنقلها من هذه الورطة .

ألقانى فى هم عظيم . لا قدر الله وحدث لها مكروه فسوف يقول كل
الناس خاصة رقية إننى أنا الذى رميت بها فى هذه البلية وتسببت فى قتلها .

وحيثما وجدتها وحيدة حادتها : - هلم يا أمي العزيزة نسافر معاً لبضعة أسابيع .

- لن أذهب إلى أي مكان . أنا باقية هنا حتى تأتي رقية .

- ومن أين تعلمين أن رقية آتية .

- أعلم هذا ورقية ستأتي قريباً .

هذا ما كانت تؤمن به فيما يخص أبنائها ، لذلك فلن يستطيع أحد قط أن يوهن من عقيدتها . طويت أصابعي داخل كفتي وقلت لنفسى هذه البنت سدد في طريقى بكل مكان كان موسى صادقاً في قوله ؛ كان الناس قد انفجروا . ولم يعد يفيد القبض عليهم . لم لا يمكن القبض على الجميع وتادييهم وإطلاق النار عليهم ، قبض على بضعة من الملات وأتباع الجبهة الوطنية ، لم يفد هذا شيئاً . كنا نخمد صوتاً ليتصاعد مائة صوت من أوروبا وأمريكا . كانت أعصاب الحضرة العليا مشدودة غضباً منهم .

في أواخر عام (١٣٥٦ هـ / ١٩٧٧ م) أعلنت الجبهة الوطنية عن نفسها . نشرت برنامجها في ١٢ مادة . كانت تطالب بحل السافاك . وإطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين . حرية الأحزاب والصحافة ونقابات العمال . كان من ضمن أهدافهم معاقبة من قاموا بأعمال التعذيب .

إذا كنت وأمثالي لا نتق في حماية الشاهنشاه لنا مائة في المائة لكان علينا في تلك الأيام أن نخلع أخفافنا ونلوذ بالفرار . كان الكثير ينقلون أموالهم إلى البنوك بالخارج . حوّل إلى أوروبا وأمريكا في خلال عام واحد طبقاً لتقرير رئيس بنك الصادرات والواردات حول منه وحده ٢٢٨ مليون دولار . كان هذا المبلغ طبقاً لتقرير سائر بنوك إيران يتجاوز ملياري دولار . فضلاً عن أن مقدار العملة الصعبة التي كان يسرقها حاشية الحضرة

العليا لم يدخل الحساب . كنت فى أواخر ذلك الشهر ليلة أن قصم الزمان ظهري ولن أنساها ما حييت . كان الثلج قد غطى الشوارع فى أطراف نياوران ، ولبت أشجار الصنوبر أكفانها البيضاء . كان هدير السيارات قد خفت ولم يعد يسمع غير الصوت الرقيق لاحتكاك العجلات بطبقة تبلغ العشرين حتى الثلاثين ستيومتراً من الثلج المجوف . تريضت نصف ساعة فى الحديقة . نظرت إلى مكتب (العريس) فكان لا يزال مضاءً . لم أحب أن يتظرني غير قادر على الخلود إلى النوم ، دخلت إلى المنزل وأقفلت الباب .

وفى منتصف الليل نهضت من نومى بمكالمة هاتفية من (العريس) وأخبرنى بأن زميله رأى امرأة محجبة وصلت منزل والدتى من فوق السطوح وأن (العريس) يتحدث من أوصاف قدها وطولها وطريقة قفزها من جدار لآخر أن هذه المرأة لا بد أن تكون هى رقية . ركب السيارة مفزوعاً وانطلقت مسرعاً إلى كلر كلانتر ولم تفتح أمى الباب رغم طرقي عليه . فصعدت السور وقفزت داخل الفناء وأيقظت أمى التى راحت فى سبات عميق لم تظهر أى ارتياح . أخذت تمجبنى على أسئلتى بهدوء . لم تعترف بما حدث . صممت على اصطحابها إلى منزلى . لم يفد هذا شيئاً بالغريزة ليس هذا المنزل مكاناً مأموناً فتعالى معى إلى منزلى . تعالى نرجع سوياً إلى مسكنى .

- لا يمكنك إلا أن تحملنى جثة هامدة من هذا المنزل .

- هنا لا أمان لك هنا .

- لماذا هل جئت بمصيبة جديدة ؟ .

- أى مصيبة .

- هذه التى ادعيتموها وذكرتموها فى الصحف ؟

وكانت تعرف المقالة التي نشرت في الجرائد ضد آيه الله . الشيء الوحيد الذي لم تكن تعرفه هو أن تلك الشتائم نشرت بتحريض التمييز الفريق بقصد ضرب المعارضين .

- أمى ، أى شأن لك بمثل هذه المواضيع ؟ .

- كيف لا يكون لى شأن بها ؟ ألسنت مهتمة بها ورقية كذلك ؟ لماذا لا أهتم أنا بها أيضاً ؟

لم تفلح محاولاتي مع أمى . لم يتبين هل كانت رقية نفسها الشبح الذي رآه زميل (العريس) فوق السطوح أم لم تكن هى . لكن الأمر الذي لا ريبه فيه هو أن علاقة كانت موصولة بين رقية ووالدتي . وصل سوء الأوضاع في البلاد إلى حد أن ظلال السياسة اليومية كانت تمتد إلى كل مكان وتنفذ في كل فجوة ، كانت أمى تحس بأن أحداثاً على وشك الحدوث غير أنها كانت ترى هذه الأحداث في صورة عودة ابتها إلى المنزل .

حين كان طلاب المدارس الدينية يتجمعون في قم ويهتفون (الموت للشاه) وكان التمييز الفريق بناء على قول الشيوعيين يجرى الدماء سيولا أيضاً صار معلوماً أن الحرب استعرت بين الشعب والسافاك . كنا نقف في ناحية ، وفي الناحية الأخرى وقف مؤيدو السلطة الدستورية والملاط والمجاهدون والفدائيون والانتحاريون بأرواحهم وملايين الشعب .

كان هذا لعبة قاتلة . حسبت جماعة من المسؤولين حساباتها وفكرت في حياتها وأموالها وجمعت فرشها وهربت . لاذ كثير من السافاكين بالفرار ورحلوا بأسرهم إلى أمريكا والمجلترا وفتحوا لهم أرصدة جديدة .

صحيح أنني كنت أفكر في نفس هذه الفكرة . لم أشعر بعذاب نفسي في أن أخلى ظهر الحضرة العليا واتجه إلى أوروبا مع أن معدل الثروة معى لم يكن بالحد الذي يمكنني من الحياة عمراً بفوائده . لكن الذي منعنى هو أمى

العليلة ورقية الهارية .

وسرعان ما علمت أن أختى هى رئيسة لإحدى المجموعات الثورية .

كانت مراسم العزاء تقام كل أربعين فى ذكرى مذبحه قم فى كل مدينة وقرية ، فكانوا يوصدون المدارس ويعطلون الأسواق وكانت إضرابات العمال فى المصانع علامة المقاومة الشعبية . توجه الشعب فى يوم الأربعين لذكرى مذبحه قم فى مدينة تبريز لإقامة العزاء . أقفل رئيس شرطة الحى السادس باب المسجد وفرق جمعهم . اعترض شاب اسمه (تاج على) على هذا الاعتداء ، شهر رئيس الشرطة بسبب حمله مسدسه فى وجهه وارداه فى الحال قتيلاً . واذاك قام الناس بتحطيم زجاج المحلات . مزقوا الوثائق فى البنوك . أطلق الجنود رصاصاتهم فى الهواء لتفريق الجموع . كان السافاكيون يكمنون فى زقاق وحذبوا إليهم رشاشاتهم . مات مائة وجرح أكثر من ستمائة إلى سبعمائة على الأقل .

وفى ربيع عام (١٣٥٧ هـ / ١٩٧٨ م) أضرب المساجين عن الطعام وقاسى أربعمائة وخمسون الجوع منهم . مات بضعة منهم . كانت الأشعار البديئة والكريهة المعادية للشاهنشاه تتغل من فم لآخر . حكى أمى بسبب كرهها للشاه عدو ابتها قصة صياد السمك للطفلة . . التى لم تكن تتحدث إذ ذاك وقصتها على موسى جون ضمن حديثه لى . أمراته لم يكن لديها أرز ولا زيت ولا فحم لكى تعد عشاءاً لزوجها . فألقى الصياد من فرط غضبه السمكة فى الماء . ما إن تحركت السمكة فى الماء حتى صرخت (يحيا الملك ، يحيا الملك) . وهكذا ثارت جموع الشعب . فلا عجب أن أشعلت النيران يوم ٢٨ مرداد (١٣٥٧ هـ / ١٩٧٨ م) فى سينما (ركس) فى مدينة عبدان وأيقن الجميع فى كل مكان بأن هذه الجريمة ارتكبتها السافاك . مات ستمائة إنسان خنقاً بدخان الحريق وتفحموا بناره . سألتنى أمى : هل كنت أيضاً فى عبدان ؟ .

كان السافاكليون يطلقون شائعات مفادها أن هذا التخريب قام به اتحاد
الحمير والسود أو الشيوعيين ورجال الدين .

بلغ السيل الزيد ووقع ما كان لا بد من وقوعه .

وليلة نفس اليوم الذى وقعت فيه مذبحة تبريز على يد الجنود
والسافاكين ومع أن عدد حراسى زاد من ثلاثة إلى خمسة انفتح بعد
متصفى الليل فجأة باب غرفتى وكسان (العريس) بصحبة رقية مع
بضعة من المسلحين واقفين على رأس سريرى . رأيت (العريس) أولاً .
كانت رقية خلفه وييدها مسدس . ومن ورائها بضعة من لابسى السواد
بأيديهم الرشاشات . أمرت أختى من كان زوجها لبضعة أيام (انطق ا)

- (سيدى رقية هانم طمأنتنى بأنه لن يرق دم . كنت خارجاً من
الحديقة وأريد قفل الباب من الخارج حين أمسك شخصان بكفى . وقع
قبلى الحارسان خارج الحديقة أسيرين . فتحوا قفل الباب ودخلوا الحديقة .
أمرت الحراس الثلاثة الباقين بناء على أوامر رقية هانم بتسليم أسلحتهم .
أنا عبد مأمور أطاعونى . أعتقلوا بعد ذلك الحراس الثلاثة وكانوا أنصاف
سكارى فى الجراج وأقفلوا بالقفل الباب عليهم ووقف يحرسهم شخص
يحمل رشاشاً أحضرونى معهم لأرسلهم إلى غرفتك .

نظرت مبهوتاً مشلولاً من الرعب إلى أختى . لم تكن هى تلك البنت
الجميلة اللطيفة التى كنت أعرفها . عيناها حمراوان ذابلتان من السهر،
وخداها اللذان برز عظامهما بهت لونهما وشفثاها زرقاوان مشققتان تبعث
حالة تفيض غيظاً وغضباً إلى وجهها . لم يفقد أنفها الذى فى حد القلم
شكله منذ طفولتها . كان التعصب والعناد والجرأة تنضح من كل حركاتها
حين أطمأنت من أنى عار من السلاح وأنا فى رداء النوم غمدت المسدس
فى غمده المعلق بحزام وسطها .

انتزع لابس السواد المرافق لها مسدسى من جيب ردائي المعلق فوق
الكرسى

- ألا تدعونى للجلوس ؟

- لم تكن تقصد الاستهزاء والسخرية . قلت :

- البيت بيتك . اجلسى حيثما تريدن

- ليس هذا بيتى . بيتى فى كلر كلاتنر . لم أرر أمى هذه الليلة .

اكننت تريد مقابلتى . ها أنا وأنت .

لم يتبق شىء إلا أن يغلبنى البكاء . كل أبهة جاهى ومقامى وراثتى
كأنه سقط عن جسدى كالثوب المتسخ . لم أكن أعلم أنى بهذا العجز .
كنت ظالماً وغدوت مظلوما . دار بخلدى أن قلبها يتراف بحالى . لكنى لم
أر منها أدنى رافة . قلت :

- بهذا الشكل ؟

هل كان بإمكانى أن أراك بطريقة أخرى ؟

- كنت أبحث عن أختى التى هى عمرى كله . لم أجذك فى أى مكان .

- لم تكن تبحث عنى ، كان خفراؤك هم الذين يبحثون عنى . لو
وجدونى ما وقع نظرك على . أنا مسلحة من مدة ولن استسلم ثانية للخداع
والمكر والظلم .

- ماذا ؟ .

- لأنى لن أقبل ثانية الظلم .

- أتيت هنا لمناقشتي في السياسة ؟
- لا ، أتيت هنا لأعرف منك الإجابة عن رسالتى لك بالفيديو .
- بالمسدس والرشاش بيدك ؟
- وهل كنتم تاتون تبحثون عنا بالنقل وسكر البنات والدلال والنعمة ؟
- ماذا تريدون منى ؟ مالا ؟
- لا ، لست بحاجة إلى المال . كانت ألف من القروش لها قيمة لدينا فى ذلك الوقت كآلف جنيه ، أما اليوم فنحن نعطي عشرات أضعافها لأمثالك لكن ينضموا إلينا ويشاركونا القتال .
- صمت أغمضت عيني . كأن فكرة اختلجت لحظة فى عقلى : استسلم ، من هذا العمود إلى ذلك فرج . فى صفوفهم مثلما هو فى خلقتنا النفاق والتملق والطمع والحسد وسوء الطبع والخداع وطلب الجاه وحب المال . القوة تؤدى إلى هذه المفاسد . وفجأة انبعث فى ناظرى منظر المخرجين القتل فى الصراع مع المجاهدين والفدائيين والماركسيين الإسلاميين . بأى قسوة حصدتهم التيمسار الفريق فى قم . لم يقطب جبينه حين هاجم الجنود منزل آية الله العظمى وقتلوا به بضعة أشخاص . تجلظ على وجوه القتل الكره والغضب والحقد . هل يمكن الاطمئنان إلى رفاق هؤلاء الفدائيين وأتباعهم ؟ رقية واحدة من هؤلاء .
- أساءت أختى فهم صمتى هذا . ظنت أننى أريد مصالحتها . تحرك فيها عرق المروءة والإنصاف فى النهاية هذه المرأة المسلحة هى من لحمى ودمى وأمرأة ولها قلب ولا يزال يجيش فى صدرها حب عهد الطفولة . أمرت الرجل المسلح والعريس بالوقوف عند الباب والانتظار بدأت الكلام بكلمة يا أخى :
- يا أخى لا تتردد . هذه الحكومة رائلة . سوف تتولى الأمر

ونعاملك باللطف ، لا بد أن تقرر الليلة

- إذا لم أقرر الليلة سوف يقتلوننى برصاصة ؟

- لا ، إن حياتك لها قيمة عندنا . لا يمكن أن يكون قتلك قصاصاً لمذبحة قم وتبريز . فسوف تذهب ويحل محلك كثيرون آخرون . لكن إذا انضمت إلينا سوف يعيد النظر كثير من الجلادين زملائك ويتركون أعمالهم وهذا فوز لنا . موتك لا يفيدنا مطلقاً ، أما حياتك فهي التى تفيدنا .

- إذا لم استسلم الآن توأ ، إذن فماذا تفعلون بى ؟

- لا شيء ، نغادر هذا المكان ونتركك على حالك . وبعد عدة أيام سوف تنشر جميع الصحف العالمية أننا أسرنالك بضع ساعات ولم نأخذ من مالك شيئاً ووهبنا لك الحياة وسوف يبينون كرمنا هذا دليلاً على اتباعنا الحق وطلبنا الحرية ويجلون أسلوب كفاحنا . أما ما سوف تقوله فى دائرتك فليس بذى أهمية . سوف يعتبرك الجميع خائناً ويرتابون فىك كشأن بعض أصحابك المشكوك فى أمرهم اليوم وهم يقومون بخدمتنا ، وأنت نفسك أكثر علماً بمن الذى أعنيه منهم .

ويقصد خداعها وعدتها بالتفكير فى اقتراحها الذى أوردته فى شريط الفيديو (أخى إن هذا هو آخر شروطى وخطواتى . أنت تعرف بنفسك أنك إذا اتصلت بما قلته وسمعته فوداعاً إلى الأبد . نحن متمسكون بكلامنا . إذا نكصت سوف تكون الحرب بيننا وخيمة العاقبة . أعلم هذا أيضاً ، أقول لك هذا لأننا على انفراد وأتركك . الذى يحترق لأجلك أكثر من الكل هو أنا . إذا كنت لا تسعد بتعذيب الآخرين وإيلاهم فقد تعودت على الأقل وجود التعذيب . لكنى لا أعلم إلى متى يمكننى تحمل المصيبة بهذه الفداحة . إنى لأرغب فى أن أكون بجوارك وجوار أمناء . أخرجتنى من منزلنا وهمت على وجهى

لم تستطع إتمام كلامها . عضت شفتها السفلى بأسنانها وأغمضت عينيها . مسحت بقبضتها دموعها . أردت السقوط على قدميها . رفعت يدها اليمنى وأشارت إلى بالاً أتقدم .

- لن تخرج من غرفتك حتى انقضاء نصف ساعة . نحتفظ بالحراس الستة جميعاً في الجراج . نضع قفلاً على باب المنزل . سنرمي بالمفتاح بداخل الحديقة من خلف الباب . وبعد نصف الساعة تقدم أنت وابحث عن المفتاح في المنزل والحديقة والجراج أخرج حراسك وأمر بأن يبلغ (العريس) بما حدث تفصيلاً .

مكثت وحيداً في مخدعي لمدة بضع دقائق . ارتديت ملابسى واتجهت إلى النافذة ورأيت فيما وراءها أكثر من خمس عشرة منقبة تحت إمرة رقية . أخلا الجميع بإشارة منها الحديقة . كانت اثنتان منهن تراقبان من فوق حافة السور النوافذ وباب العمارة وما إن وصل سمعى الصوت الخافت لمحرك الناقلة حتى هبطت المنقبتان من فوق السور ولم يعد يسمع صوت المحرك .

توجهت ليلاً بالسيارة إلى منزل والدتى . فى الطريق كنت مع نفسى فى جنال وأخذ ورد . كيف أواجه أمى ؟ اذا لم تكن مريضة لكنت كلمتها وكان لى الجرأة على توجيه اللوم لها فلماذا أخفت عنى معلوماتها فلم أقدر على الحيلولة دون وقوف أختى اليوم بمسلس فى مواجهتى وتهديدها لى . لم يكن اضطرابها ووهن شيخوختها يسمحان بهذا لى . تلكأت ساعتين فى شميران وفى المدينة . طرقت الباب حين أشرق النهار . كانت أمى فى بداية الصلاة ، قالت (الله أكبر) مرتين ثم فتحت باب المنزل . لم تكن مفزعة قط . كأنها كانت تعلم بكل ما حدث . سألتى هل رأيت رقية ؟

- من أين علمت بهذا ؟ .

- كانت ذكرت لى هى نفسها أنها ستأتى يوماً لرؤيتك .

- اذن كنت ترينها ؟

- أجل ، كانت على اتصال بى ، وحين كانت توقن من أنه ليس بالدار غريب كانت تأتى بنفسها

- وكنت لا تقولين لى شيئاً من ذلك ؟

- أمرتنى ألا أبوح بشيء لآى أحد . أشرت لك مراراً بأن رقية آتية .

- ألا تتركين أنك ترمين بنفسك وبها فى الخطر وكنت تفعلين ذلك فيما سبق ؟

- ماذا سيفعل بى أنصار الشاه ؟ أما رقية فهى واعية لنفسها .

- ألم تقدرنا موقفى ؟

- بلاشك كنت فى اعتبارنا . كنا ولازلنا نفكر فىك تماماً . كانوا سيخرجونك من عملك فكنت أنا ورقية نبحث لك عن عمل مجز تأكل منه الخبز الحلال

- بهذه البساطة ؟

حقاً رقية استحققت عقلها . رغم إصرار أمى على تناولى الإفطار عندها فلم أرض ، كانت تهتم بالذهب وشراء الخبز الطازج والبيض والجبن والحلوى الطحينية فلم أطعها .

ذهبت إلى مكتبى فى تمام الشامنة والنصف وكتبت تقريراً بما جرى لى بمتصف الليل وحملت هذا التقرير المكتوب إلى رئيس الجهاز وكان ضابطاً برتبة فريق إذ ذاك .

كان هذا الرجل من أغبياء الزمان . جعله الشاهنشاه على رأس الجهاز ليس لسبب الا لكيلا يتولى رئاسة الجهاز رجل سىء السمعة ولكى تسكن

ثائرة المعارضين . كان أخبر بالهاتف بتقرير (العريس) . قرأ بدقة ماكتبته وقبل أن يتخذ قرارا اتجه مباشرة إلى البلاط وأبلغ الشاه بما حدث . أنا على يقين من أن ما حدث كان مبرراً كافياً كثيرا لاقتناع الحضرة العليا بإقالتى من وكالة الجهاز . أقر هو نفسه لى بأن التيمسار الفريق أصر على أن يحل محلى ، لكن الشاه رفض فبقيت أنا فى منصبى . شاعت الولوجة فى الجهاز . لم يصابوا بمثل هذه الضربة القاصمة من بعد حادثة (مياهكل) حتى وقتذاك . اشتعلت الاعتقالات . كانوا يجدون فى إثر النساء فى بداية الأمر . لم يفصحوا عن أى معلومة بهذا الشأن للجرائد .

الأكثر إثارة للعجب أنه لم يتشر خبر عن هذه الحادثة فى الصحافة الأوروبية والأمريكية وفى رسائل الحزبيين ونشراهم أيضاً . ربما كان سبب ذلك أن جميع البلد كان يعيش فى حالة من الغليان وكانت تولد أحداثا تجعل تهديد أحد الوكلاء بمنزله اعوجاج ضئيل فى العجالات الضخمة لسيارة جهاز استخبارات إيران وأمنها ولم يكن بإمكانها اجتذاب اهتمام قواد البلد إليها .

استنبطت بعد مكاملة قصيرة أجريتها مع أهارى وزير العدل ودماوندى أنهما يجهلان أيضاً الواقعة حتى (العريس) عاد إلى عمله فى اليوم التالى وتولى حراستى بمنزلى ، غيروا حراس منزلى وزادوا من عددهم أعطونى سيارة مدرعة وصديرياً يقى من الرصاص وأحكموا جميع نوافذ بيتى بأسياخ حديدية وتمتع أغلب قواد الجهاز بنفس ترثيات الحراسة هذه .

ومع هذا فلم تكن تتخذ إجراءات تحول دون الثورة والفتن .

فى ١٩ أردى بهشت (١٣٥٧ / ١٩٥٨ م) قام الشعب بالمسيرات المعادية للحضرة العليا الشاهنشاهية ، مارسوا أعمال التخريب ، أشعلوا النار فى السيارات . هاجم الجنود منزلى رجلى دين بلرجه (آية الله)

وقتلوهما . انتزعت الحرية من أيدي أتباع السلطة الدستورية وكانوا يطالبون بالإصلاحات ووقعت قيادة الثورة في أيدي الأصوليين .

قام الملات والجيبة الوطنية وجميع المعارضين بالإضراب العام وأصدروا أوامرهـم باعتصام الناس بمنارلهم وفي المساجد . ظهرت المدن في صورة المقابر . فهم الشاء بحكمته تردى الأوضاع فأمر بعزل رئيس الوزراء وأحل مكانه واحداً آخر لاهمة له .

أخذ حزب البعث الموافقة على أن ينقسم إلى شعبتين .

دخل الحلبة أعداء إيران الخارجيون الذين كانوا يتربصون بها . شجع عملاء الأجانب المعارضين على الثورة والفتنة . ألقى الخطب في المجلس النيابي . انتقدت الجرائد علنا دكتاتورية الشاء . كتبت إحدى الجرائد بالخط العريض : لا بد أن يطلق سراح السجناء السياسيين . المهاجرون السياسيون يجب أن يكون بإمكانهم العودة إلى إيران . لابد من حل السافاك . عقد زعماء الجبهة الوطنية الذين كانوا حتى ذلك الوقت صامتين لقاءات صحفية علنية مع الصحافة الأجنبية وكانوا يعتبرون من اللازم تعاون كافة الجماعات حتى الشيوعيين .

وعد الشاهنشاه بعقد انتخابات حرة في العام التالي .

تجاوزت الاضطرابات والفوضى كل حد ومقياس . أطلق ضابط أبله النار على الناس في أصفهان . أتى رؤساء الوزارة ورحلوا ولم يأتوا معهم بتحفة . لم يكن لدى رئيس الوزراء شيء يعرضه أمام أعضاء المجلس النيابي إلا اعترافه بأنه لم يكن يعرف أصلاً ورياءه بل إنه لم يشرب معهم فنجاناً من الشاي .

كل هذه الممارسات الجاهلة زادت الشعب جرأة وشملت مظاهرات

الشوارع مئات الآلاف من المتظاهرين فى كل ركن من البلاد ، واشترك مليون شخص فى الاضرابات وفى النهاية تولت الحكومة العسكرية الأمر فى مدن إيران الإحدى عشرة .

وصلت الفوضى حد أن (الحمار لم يعد يعرف من هو صاحبه) ، لم يأبه الشعب بالقادة العسكريين وبدأت الاضرابات العامة .

فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر يور قام أكثر من مليون إيرانى بمظاهرة عظمى فى ميدان (حالة) . فك التيسار الفريق الذى كان يظن أنه سيقفز بوثة واحدة إلى رئاسة جهاز الأمن والاستخبارات الإيرانى لجامه وأصدر أوامره بإطلاق النار على الناس فقتل نحو أربعة آلاف إيرانى . سمي هذا اليوم (بالجمعة السوداء) . شب العصيان بكل معناه ، فقد الشاء والحكومة السيطرة على الأمور توقف عمال النفط عن أعمالهم ، جف معين دخل الحكومة . انضم إلى عمال النفط أيضاً العاملون بالوزارات تصور الحضرة العليا أن العلاقة بين الشعب وآية الله الخمينى إذا انقطعت فسوف تدار أمور الدولة . نصحه المستشارون الأغنياء هذه النصيحة وهى أن ينفى هذا المعظم من العراق . سافر الخمينى إلى فرنسا واستقرت جميع وسائل الإعلام لسائر بلاد العالم تحت تصرفه . أعلنت الجرائد العصيان بدورها . خرج من إيران أكثر من مليارى دولار من العملة الصعبة خلال شهرى مهر وآبان . كما أنه لم يعد أحد يدفع ضرائبه .

خلال هذا الهرج والمرج كان بعضهم يهتم بتجميل نفسه . أهارى بدوره يكذ ويكذب ويطبخ لنفسه حلواء ويعرض على المجلس النيابى قانون حرية الأحزاب وينصب الفخ . يدعو الشباب والطلاب الإيرانيين المهاجرين للعودة إلى الوطن بلا أدنى اهتمام بجرائمهم . لم يأخذ مشورتى هذه المرة كانت القطعة السارقة قد حسبت حساب أفعالها . علمت أنه يجمع متعلقاته

ليهرب من إيران . كان قد تذكر وقتها أن عليه أن يقلد طلاب الحرية .

لم يقعد التيمسار الفريق عاطلاً . حرص عددا من الأوياش على إشعال النار في دور السينما والبنوك والمؤسسات الاقتصادية حتى يلقي ببتعة ذلك على أعناق الثوار . لم يكن لطموحات التيمسار الفريق حد ولا حصر . بعد استقالة رئيس الوزراء الذي لم يشرب فنجان الشاي كان يتصور أن الشاهنشاه سوف يجعله خليفه له . والمعظم كان أعقل من أن يفوض الصلاحيات لسفك دم غبي .

حين رأى كبار الضباط أن رئيس الجهاز ورئيس الوزراء حكم عليهما بالسجن لمدة سبع عشرة سنة أثروا الفرار على القرار وكانت الطائرات تمتلئ يوميا بالمسافرين الأثرياء والسافاكين الذين كانوا يقومون بأعمال التعذيب .

كان بحوزتي نحو عشرين مليون تومان قبل أن يقال رئيسي وكنت أستطيع أن أؤمن مستقبلي بالاستيلاء على هذا المبلغ وتغييره إلى دولارات . كنت مصمماً علاوة على هذا المبلغ على بيع منزلي وحديقتي في نياوران واصطحب أمي إلى مكان آمن في العالم اعتزل فيه . كنت مستريحاً من الناحية النفسية . دخلت أولاً هذه المعركة بتأييد الشاهنشاه والآن ولم يعد بمقدوره الوفاء بعهوده فأنا بدوري ليس لدى وعد بأن اظل وفياً له . لم يظهر مشتر لمنزلي . من الذي كان خلال هذه الظروف العصبية مستعداً لشراء منزل وفي حي نياوران أيضاً .

لسوء الحظ صار تخطيطي هذا كله نقشاً على الماء ، فعين فاتحت أمي بخطتي هذه دون أن أذكر لها إشارة للعشرين مليون تومان ، بدا عليها أولاً السعادة ، يجوز ذلك ، وهذا ما أنقله بناء عن كلام موسى جون ، كانت تتصور أن بإمكانها السفر إلى كربلاء والإقامة بها . سألتني إلى أين تريد السفر بي ؟

- إلى أى مكان تحببته أنت
- هل تريد أن تسافر بى إلى فرنسا وتعيش بها حياتك ؟ بم أفيدك ؟
أحب أن أتشرف بزيارة ضريح حضرة الإمام الرضا
- لا يا أمى البلاد يعمها الاضطراب . صارت بلا صاحب ، ونفس الحال فى كل مكان تلهمين إليه ولا تفترق خراسان عن طهران
- اذن أذهب لزيارة قبر الإمام الحسين .
- حسناً ، اذن استعدى للسفر ، أسافر بك إلى كربلاء وآتى لرؤيتك وقتما تريدان
- وماذا نفعل مع رقية ؟
- تأتى إلينا رقية بعد نهاية الثورة
- ما معنى هذا ؟ تقول نحن نسافر ونتركها فى النار ؟
- هى تعرف الطريق جيداً وستصل إلينا .
- لا يا ولدى العزيز لن أخطو قدماً واحدة خارج هذه الدار بدون رقية .
- هل لك اتصال بها ؟
- أجل . لكنى لا أحب أن تأتى إلى فى كل وقت . حين تجد هى فرصة تأتى لتطل على
- لا بد من وجود من يبلغها رسالتك .
- كانت أمى مرتابة . كانت تتصور أنى أريد العثور على رقية .
- لا ، ليس لدى من يبلغها رسالتى .

كان عناد أمى يعسر قل أمورى . تصمم على ألا تتحرك خطوة بدون رقية .

- اذهب أنت بنفسك واعرث على رقية وليس وراءك الآن أى عمل .
تخبط شاهكم فى أمره فكان إذن كل تكبركم وغروركم هذا بلا مبرر .
سكبت شقائى على رأس (العريس) حين كان يقوم بالحراسة فى الزقاق .

- إذن فماذا تفعلون هنا ؟ رقية تأتى إلى هنا وتذهب وأنتم نائمون

- سيدى ليس الذنب ذنبى . لم يعد أحد يعبأ بالأمر . منذ أن طالبوا بحل السافاك فى الصحف ولا يعبأ أحد بعمله . كلهم يخشون الموت .
انقلب الدكتور ييجين إلى الحاج على ساوجى ، ارتدى ثياب عريف أول
كما كان وانضم إلى الثوار . الدكتور جهالنجير . اختفى تماماً . يقال إن
خاطى قتله الناس حين خرج مرة من داره . وفوق هذا فكل هؤلاء المخربين
مسلحون . من الذى يجرؤ على التصدى لهم .

كل هذه المعلومات كانت ضمن التقارير التى لم تكن لدى فرصة
لأقراها . كان الجهاز نفسه فى حال من الحل .

خطررت لى فكرة جديدة :

- إذا عثرت على رقية ، سوف أعطيك جائزة كبرى ، لكننى أريد
حية ، هى أختى ولا يجب أن تصاب بسوء .

- سيدى أنا خادمك ، نعم أعرث عليها فرصة

أتانى (العريس) تلك الليلة : سيدى اجعلنى مأموراً على السجن .
فأدخله وأنظر ضمن أى جماعة هى .

- ليست فكرة سيئة .

- نحن يا سيدى لا نعرف حتى الآن أين نبحث عنها . كما لا نعرف ما هى الجماعة التى تنتمى إليها

- ما الذى تريد القيام به ؟

- أحاول بصفتى حارسا أن اشترى ثلاثة من المجرمين لكى يتسللوا داخل صفوف المجاهدين أو الفدائيين أو الشيوعيين . ثم نرى ماذا سيحدث .

استمر تحري (العريس) هذا ثلاثة أسابيع ، وكانت أوضاع البلاد تزداد سوءاً يوماً بعد يوم . وكانت الفرص الثمينة تضيع هباء . كنت مشغولاً بكل أمور حياتى ، كانت أمى ورقية رهيتان فى شباكهما . وبعد شهر اتصل (العريس) بى هاتفياً :

رقية ليست من بين أى جماعة مخربة نحتجزها فى السجن . لم نعثر على أثر لها بين الجماعات التى أطلق سراحها . لم يكشف رجالنا عن أثر لها أيضاً . فلا بد أن تكون رقية من جماعة (الفدائيين) وهذه الجماعة مسلحة وتقودها امرأة لم يأت كلام (العريس) بأى جديد .

لم يعد عندى أمل فى أن أصل إلى نتيجة من هذا الطريق . لكن (العريس) كان متحمساً وصمم بسبب الجائزة التى وعدته بها على الاستمرار فى مساعيه . فطلبت وأعطيته مبلغاً من المال وشجعتة على الاستمرار فى عمله

كان الاضطراب يزد مع كل يوم يمر . كنت أرى من حولى يتناقصون . كان فى كل يوم أحد قواد البلاد يضع ذيله على كاهله ويهرب . لم يبق أحد من الأسيرة الملكية . كانت البلاد أصيبت بالشلل التام بسبب الإضرابات . لم يعد الشاء يستطيع إصدار أمر . بقى الوزراء

والمديرون العموميون عاطلين بلا عمل . كان الفراغ يبتلع كل مسمى . كانت الجماعات الكبرى والجماعات الأقل عددًا تتحد احداها مع الأخرى . صار الشعار اليومى هو الوحدة . اتفقت الجبهة الوطنية ورجال الدين على حل الملكية وإقامة حكومة إسلامية وعلى الاستفتاء العام بعد زوال الملكية .

قتل فى هذه الشهور من الفوضى والثورة عشرات الآلاف . كان جنونى وخوفى يزيدان هولاً مع كل طلقة تنطلق فى أى ناحية فى شهر المحرم تظاهر أكثر من ثلاثة ملايين فى طهران . كان الجنود ينضمون إلى المتظاهرين وكان المثقفون المترددون يهتفون (الحرية الاستقلال . الجمهورية الإسلامية) . انقسم قواد الجيش فرقتين بسبب ما يتوجب اتخاذه أهو الشدة أم اللين . أعلن أيضاً الخلاف فى الرأى فى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية . كان كل منهم يرى وجهة مختلفة . بعضهم كان يؤيد الشاه وآخرون كانوا يجهدون فى البحث عن وميط إلى الشوار . كان السفير يجيب بالإثبات وكان الوزير يجيب بالنفى والجميع فى دوار وذ هول كانت جماعة سعيدة بأن النظام الجديد سوف يصيب الشيوعيين بإثباط عظيم وكانت أخرى ومن ضمنها الحضرة العليا تعتبر الشيوعيين مسئولين عن كل هذه الحوادث وأن وكالة الاستخبارات الأمريكية تحميهم . حين اعتصم ثلاثون ألفاً من عمال مصنع الحديد بدأت حرب جديدة أيضاً وأيدتهم الصحف الهامة . لم يكن باستطاعه أحد الهروب من هذه الفوضى . قتل عديد من قواد الجيش برتب عالية . حل الفرع بأسرهم . كان انهيار الجيش قد بدأ . كان يعد تأييد النظام الملكى ذنباً كبيراً . أخذ الجنود فى الهرب من معسكراتهم والانضمام أفواجاً إلى الثوار . فى أوائل شهر (دى) انضم إليهم فريق من القوات الجوية خاصة وأن الطيارين أعلنوا عن تأييدهم للثوار حتى أن مطار (مهر آباد) العسكرى أقفل ولم يعد يستفاد به .

كان يمكن لتأييد الأمريكيين وعرب الخليج للشاه أن يوأسى حضرته بأن قواعد سلطته لم تسزلزل بعد لكن أنى لهذه القطرة الضئيلة أن تؤثر في أمواج الثورة المتلاطمة العاتية .

لم يعالج الأمر بالقبض على رئيس الوزراء الذي كان يعتبره الملات أساس جميع المصائب والإهانات التي لحقت برجال الدين والقبض على الرئيس السابق للسافاك .

فهم إطلاق سراح عدد من رجال الدين من السجن على أنه دليل على ضعف الشاهنشاه وأدى إلى تدعيم القوة المعادية للشاه . كانت في كل يوم تخرج مليارات العملة الإيرانية إلى الغرب . كم من فرصة ضاعت هباءاً !

حين أتجهت ذات صباح إلى الإدارة رأيت رئيسي الفريق الغبي الذي كان يتحكم معي في مفتاح خزانة العشرين مليوناً من التومانات قد لاذ بالهرب وليس في الخزانة شيك واحد . من يستطيع أن يصدق بأننى لم أحصل على نصيب من هذا النهب ؟ بعد ذلك حين كانت رقية نحاسنى تيقنت من أننى لم أستند من هذا المال قرشاً واحداً .

فكر الحضرة العليا في أن يفوض إلى رئاسة الجهار . كان (المعظم) أدرك أن بعض رؤساء الجيش يتلاعب بالحبلين معاً . كانوا يضربون ويلاقون معاً كان يتملقون الشاه ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض كانوا يفعلون عكس ما يقولون . في مثل هذه الأحوال وقعت قرعة الفأل على اسمى أنا المسكين .

استدعانى الشاهنشاه وكلفنى بأن أتولى هذا التكليف . كنت أشد جبناً من أن أقطع بإجابة شافية على هذا الفخار . وبما أن رئيس الوزارة العسكرية قد استقال من قبل وكان الشاهنشاه يبحث عن شخص يتولى الوزارة من الجبهة الوطنية فقد علقت قبولى لهذا التكليف على تولى رئيس الوزراء الجديد .

فهم حضرته بنفسه بأن هذا المنصب الجديد ليس عملاً مغرياً لى فلم يصر عليه .

فى يوم ١١ شهردى ١٣٥٧ فوضت الحكومة الجديدة إلى أحد قواد
الجهة الوطنية وكان من منجزاتها الهامة حل السافاك فنجوت من شر مهلك
مؤلم .

ثم حسمت عزمى على الرحيل مع أمى أو بدونها . مع رقية أو بدونها
بعت منزلى أو لم أبعه . قفلت حسابى بالبنك أو لم أقفل . تصل إلى
مدخراتى أو لا تصل : حين أعلمت أمى بهذا الأمر فقدت وعيها . غشى
عليها . كانت تضيع من يدي . لم استطع التحمل . كنت عقدت العزم
على الرحيل من إيران إلى المطار . لم يحدث هذا . بحثت عن موسى
جون . طلبت مساعدته . ذهبت أبحث عن طبيب . حملت أمى إلى
المستشفى . ضغطت على (العريس) انسدت أمامى الطرق من فرط
عجزى .

حين علم موسى بقرارى أنبنى بشدة وزاد جراته فقال لى كل ما أراد
قوله :

(عجباً ما أغربكم من أشخاص . تهربون أنتم أنفسكم واحداً وراء
الآخر وتركونا جميعاً ليقفل بعضنا بعضاً . أمك تموت ورقية تحارب
والرشاش فى يدها وأنت تهرب وتجرى . فأين أذهب أنا ؟ وماذا أفعل
بزوجتى وأبتى ؟ ليس فيك أدنى نخوة . أنا لا أستطيع بعد أن أرى
أمك . حياتى فى خطر . لا بد أن أتوارى . أنت تعرف جيداً ماذا تفعل
عجزت عن الرد . لم أكن أتخيل فى أى يوم مضى أنى سابلغ مثل هذا
العجز . كان معه الحق . قال ما قال وأراد الخروج من منزل والدتى .
وقفت أمامه :

-أجلس إذن ولنفكر معاً . هل تعلم أنهم سيقتلوننى اذا قبضوا
على ؟

- وهل سيسعدون بى ؟

- سوف يستغرق الأمر طويلاً حتى يصلوا إليك فى النهاية .
- لا ، ليس الأمر كما تتصور . أنت عندك سيارة مدرعة ويمكنك الهروب بها . لكنهم يستطيعون التخلص برصاصة واحدة منى وأنا بسيارتى اليكان المتهالكه .
- أولاً ليس لدى سيارة مدرعة ..
- عندك المال بدلاً منها ويمكنك شراء سيارة جديدة . لم تفكر قط كم كانوا يعطونك من مرتب ضخيم وأنا لم أكن أتقاضى أجراً يذكر
- ليس الآن وقت هذا الكلام يا موسى . ماذا يتحتم فعله ؟
- باح بغضبه ثم هدأ : يجب أن نجد رقية ثم عليك الاستعانة بها
- وكيف نجدها ؟
- (كنت زميلاً لأحد الطيارين . فأذهب وأبحث عنه اذهب لا بد أن واحداً منهم على اتصال بهذه الجماعات . هل رقية تعلم أنك وأنا كنا زملاء فى العمل ؟)
- من أين لى أن أعلم ؟
- لافائدة . لا بد من المخاطرة .
- الاضطرابات والفوضى والفرع وعدم الاستعداد أمام حوادث الهروب شنت كل ذلك حواس الجميع . أمى بالمستشفى تموت . يأس الأطباء . كانوا يوصون بنقلها إلى منزلها . يسيطر عليها قلقها على ابنتها . ليس فيها علة كبرت ويجب تركها لتمضى هادئة إلى نومها الأبدى . كيف أستطيع نقلها إلى منزلها ؟ لم يعد منزلى آمناً هو الآخر . كان نفس الحراس السابقون يأتون ويطلبون منى الهبات . كائى كسبتها من موائد القمار .

كل يوم وكل ساعة وكل ليلة كنت منتظراً أن يصلني خبر من (العريس) وموسى جون لكنهما فشلا هما أيضاً بدورهما . قتل الطيار صديق موسى فى الاشتباكات بين مؤيدى الثورة ومعارضيهما . فابتعد عن الموضوع وأخذ يجمع بساطه لكى يذهب بزوجته وطفله إلى أحد الأقاليم ويتوارى فيه فترة . كان العريس وحده الذى يسعى إلى أن يجد طريقاً إلى الفدائيين . كان يدرك أنه يخاطر بحياته لكنه كان مطمئناً إلى أن رقية لن تقتله .

كانت يدي معقودة . وكانت أحوال أمى تسير من سيء لاسوأ . فى مثل هذه الأحوال ظهرت يد من الغيب وفتحت بارقة أمل لى ولو لفترة سريعة على الأقل .

قبل تولى الوزارة الجديدة بثلاثة أسابيع عاد مع آلاف المهاجرين السياسيين إلى إيران فرزان الذى كان على اتصال برقية بالهاتف والمراسلات . كان هو يبحث أيضاً عن رقية . عشر العريس على فرزان . أخبره بمرض أمى التى تموت ولا بد من نقلها إلى منزلها وليس لديها من يعتنى بتمريضها وبأنى فى قزع شديد .

كانت حالة أمى فى هذه الأسابيع الأربعة تسوء بشدة . وتقدم خطوة خطوة مع الاضطرابات العامة . كان الثوار يهيتون أنفسهم ببرنامج من عشر مواد لتأليف جهاز حكومى . فى مظاهرة مكونة من بضعة مئات من الآلاف صدر قرار بأن يسلم المجلس النيابى والجيش والمجلس الملكى أنفسهم إلى الثوار . ذكر فى هذا الإعلان أن الحكومة الجديدة استقرت على هذا الهدف وهو إفساح الطريق أمام حكومة عسكرية من رعماء الجيش تؤيد الشاه . تهيأ رئيس الوزراء إلى السفر إلى فرنسا للتفاوض مع أية الله الخمينى فى هذا الشأن . لم يتم هذا الهدف . كان الخلاف يستعر كل يوم بين الضباط الكبار . أحد (البلطجية) الأمريكين كان قد أتى إلى إيران مكلفاً

بأمورية اصلاح أحوالها وإزالة الخلافات بين قواد الجيش من قبل رئيس الجمهورية الأمريكى ومع أن الشاهنشاه أصدر أمره بأن يطيع الجميع الأوامر الأمريكية ، إلا أنه لم يحقق شيئاً فوضع ذيله على كفه ووقف موقفاً صعباً .

اتحد اثنان من الضباط برتبة الفريق مع الثوار وعلى الفور ظهر المجاهدون والفدائيون والجماعات المسلحة الأخرى ومن بينهم الانتحاريون من مخابثهم وبدأت مذبحة ثورية وفي نفس ذلك اليوم هبط المطار آية الله . اشتعل الضرب بين الطيارين الذين كانوا يرقبون الأحداث على شاشة التليفزيون فاستغل معارضو الثورة الحرس الثورى ، فاشتعل القتال بين جميع الطيارين والحرس الثورى . كان الثوار على وشك الهزيمة حين فتحوا مخازن الأسلحة وسلحوا العامة وخلال يومين استولى الشعب على معسكر حربى وقسم شرطة ونقطة حراسة . فى يوم ٢٢ شهر بهمن أعلن الجيش وهو فى حالة من التفسخ عن حياده وسقطت الوزارة الجديدة .

فى نفس تلك الليلة ونفس ذاك اليوم كنت مع أمى بالمستشفى اتصل فى كل لحظة بالعريس وفرزان لكى أعرف متى سوف تأتى رقية لزيارة أمها . كانت أمى فى حالة الاحتضار . كانت تفتح عينيها حيناً وتحرك شفثيها بدون أن تخرج منهما صوت ، كأنها تسلم روحها . كلما كانت تغمض عينيها كنت أدفع نفسى هارباً لكى أتمشى فى فناء المستشفى . كنت أظن أن المستشفى هو أكثر المواضع أمناً ولم يعد لى غيره . كان (العريس) قد أنبأنى بأنهم هاجموا منزلى فى نياوران واحتلوه . لم يعد فى حوزتى شيء . ليس أمامى أى موضع أتجه إليه . كان كل أتباعى قد ركنوا إلى الفرار . ألغى البنك كافة الحسابات الرسمية والشخصية لرجال السافاك . هرب أهارى ودماوندى إلى أوروبا وأمريكا . قيل إن خان على اختفى . فروا جميعاً قبل رحيل الشاه . جميعهم الآن يهتفون بشعارات حب الوطن .

أمضيت ليلي ونهارى بجانب أمى . كنت حينما استسلم لسنة من النعاس فوق الكرسي بجوار سرير والدتى ، فانهض مذعوراً من النوم ، ثم تعود عيناى إلى الإغماض .

يوم ٢٣ بهمن الساعة الخامسة صباحاً اقتربت إلى المستشفى سيارة جيب عسكرية وارت نفسي خلف الباب معتقداً أنهم الجنود الثوار . هبط منها فرزان ورقية . كان أحد الطيارين من فترة مدرسة الشرطة يجلس وراء عجلة القيادة . احتضنتنى رقية وهى تبكى ، صافحت فرزان ، جرت أختى إلى حجرة أمى ، بقيت أنا وفرزان بمفردنا . كان أول كلمة خرجت من فمه : لا يجب أن تبقى هنا ، قتل الناس بالأمس ضابطاً برتبة فريق بالجهاز فى الشارع بقبضاتهم وركلاتهم وخناجرهم وهراواتهم قلت : لا بأس .

كذبت . وحزن قلبى ، لم أكن أحب أن أنهار .

ذهبت فى أثر رقية عند أمى . استردت أمى فجأة قوتها . كانت تريد النهوض من رقدتها أنت عمرضة وقالت : ماذا تفعلين يا أختى ؟

أسندت رأسها على صدر أمى قبلتها وشمته . خرجت أنا وفرزان من الحجرة . بلغ منا العجز مبلغه بسبب عدم نومنا . ذهبنا إلى الفناء ووقفنا لحظة نستشق الهواء . وفجأة نزل رجل مسلح من سيارة الجيب التى أنت برقية . أصاب قدمى برصاصة . أخرجت مسدسى ، انطلقت رصاصة أخرى بالقرب من أذنى جرى الطيار ناحية الحارس وأمر بإيقاف إطلاق النار . إذا لم يجر نحوه ما كنت عشت . سحبنى فرزان إلى داخل المستشفى . أحاط بى الممرضون والأطباء . فرق الطيار جمعهم ، مددوني على سرير متحرك . كان الدم يجرى من فخدى . قلت لفرزان : لا تقل شيئاً لرقية اتركها عند أمها بضع لحظات .

كان قد وصل إلى مسامعها صوت إطلاق النار وجلبة المستشفى . كانت

أمها تجود بآخر أنفاسها سبّلت عينيها وأنت إلى . أخرج الطبيب الرصاصة من فخدي وربط الجرح حين فتحت عيني بعد ساعتين أو ثلاث من نومي وإغمائي كانت رقية لا تزال بالمستشفى . لم تعد تحمل المسدس بوسطها . أمسكت يدي بيدها التحيفه والدافئة وكانت تنظر إلى حائرة . كانت تحدث نفسها ، كانت تظن أنني لارلت في حالة إغمائي .

- الثورة لها ضحايا . ضحينا نحن أيضا ، وثب أخى من القصر إلى هذه الوهدة .

فتحت عيني وقلت :

- هل صرت مشلولاً للأبد ؟

- لا ، يمكنك السير ولكن بعضا .

- من أين عرفت ؟

- تحدثت أنا وفرزان مع رئيس المستشفى . طلبنا . تمزقت أعصاب فخذك ولا يمكن التامها بعد هذا

- هل سأمكنك إذن فترة هنا مقعداً ؟

- هنا لا ، يرى رئيس المستشفى أنك لست فى أمان هنا . كل المرضى والمرضى يعلمون أنك كنت سافاكيا ، نشرت الصحف أسمك بالأمس . يمكن أن يقع المستشفى موضع هجوم الهائجين فى أى لحظة .

- إذن فماذا أفعل ؟

- ذهب فرزان وصديقه الطيار لكى يجدا لك مكاناً فى مستشفى « دوشان تبه » وهما على أمل أنهما سوف يسكنانك فيه

صمت كلانا . لم تكن رقية تعرف ماذا تفعل معى رغم أن حب

طفولتها لى كان ملتها . كيف كنت استطيع أن أطلب من أمى الميتة هذه المساعدة . أخذت يدها وقبلتها . لمست رقية يدها وجهى ونهضت من مكانها . كان الوقت قبل الظهر ، أنت الممرضة بالغذاء إلى . كان حساء الأرض ولم أشعر بشهية . لم تكن قدمى اليسرى تتحرك وكان موضع الجرح يؤلمنى بشدة ، تجاوزت الساعة الرابعة بعد الظهر . مضت ١٤ ساعة من وقت إصابتى بالرصاصة . أتى فرزان وكان يريد نقلى بسيارة نقل المرضى كان يجلس بها السائق والطيار . قبلت رقية وجهى وكانت تودعنى ، سألتها :

- رقى حبيبى هل سلتنى ثانية ؟

- لا أعرف . اذا شاء الله

أخذت يدها وضغطت عليها .

حملونى إلى مستشفى دوشان تبه . فى الطريق أياسنى فرزان تماماً :

- لا بد من أن تمكث عدة أسابيع فى المستشفى . سوف تختفى فى غرفة . يمكنك أن تمارس السير فى الليل فقط حين يسمع الطبيب ، وعدت رقية بأن أساعدك واتخذ من التدايير لتهجيرك من هذه الديار . أمضيت عدة سنوات فى المنفى وعشت مشرداً . وجاء الآن دورك ، الله هو الذى يعلم كم عليك أن تعيش فى المهجر اذا لمجوت من هذه الرصاصة ، فقط بشرط . هذا عهد قطعه لرقية وعليك أنت أيضا أن تقطعه لى .

-- (أى عهد ووعد ؟ ألا يكفى أنى أصبت بالشلل وصرت عاجزاً أسيراً لديكم ؟

- لا ، ما زالت ديونك كثيرة أمام الجرائم المنسوبة إليك .

- ماذا تريدون ؟ لا أملك مالاً ، خلوا روحى أيضاً وأريحونى .

- (يقولون أن عشرين مليوناً معتمدة وسرية للجهاز كانت تحت سيطرتك)

أقنعت فرزان بأننى لم أنهب من هذا المبلغ تومائاً .

- (أى شرط ؟)

- (عليك أن تعدنى بأن تعتزل فى ناحية من العالم اذا لمجوت بحياتك وأن تكتب بالتفصيل ما حلّ بك وكافة المصائب التى أنزلتها على رؤوس الآخرين وتضع ذلك تحت تصرف رقية)

- (هل سوف أرى رقية ثانية ؟)

- (لنر ماذا كتب على جبينك)

هذا هو مصيرى .

المشروع القومي للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت - أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانتيكار	ت - أحمد قزاد بلبع
٣ - القرائات المسروقة	جورج جيمس	ت - شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوفا	ت - أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت - محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت - سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت - يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت - مصطفى ماهر
٩ - التفكيرات البيئية	أنثرو س. جودي	ت - محمود هـ حمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت - محمد معصم وعبد الجليل الأزدي وعمر طي
١١ - مختارات	فيسواها شيمبوريسكا	ت - هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايريس فرانك	ت - أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت - عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان تويل	ت - حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت - أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت - بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت - محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت - طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت - نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يعنى طريف الحولى / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت - ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت - سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز حيورج جادامر	ت - سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت - بكر عباس
٢٥ - مشوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت - إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت - أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت - نخبة
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت - منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت - بدر العيب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانتيكار	ت - أحمد قزاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كايين	ت: عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت - مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت - أحمد قزاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر لکن	ت - حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الاسطورة والعداة	بول ب. بيكسون	ت - خليل كلفت

٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت - حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت - أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : ميرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت - محمد عبد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم قحى / مصود ملجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت - أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتايفيو پاث	ت - المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت - مارلين تادرس
٤٥ - التراث المقدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت - أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو بيرودا	ت - محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأنبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت - مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت - ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت - نوريس	ت - عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو انقول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت - محمد براءة وعثمانى الميود ويوسف الأنكى
٥١ - مسار الرواية الإسنانو أمريكية	داريو بياتوييا وخ. م بيباليستى	ت - محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التديعى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت - لطفى فطيم وعادل دمرdash
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت - مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى المسرح	ج - مايكل وانتور	ت - محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بواكنجهوم	ت - على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت - محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت - محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو عرسية لوركا	ت - محمد أبو العطا
٥٩ - المحيرة	كارلوس مونييث	ت - السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت - صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف - محمد الجوهري
٦٢ - لدّة النص	رولان بارت	ت - محمد حير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأنبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت - مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت - رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت - رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت - عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت - المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت - أشرف الصباغ
٦٩ - العلم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت - أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت - عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت - حسين محمود

٧٢ - السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمالوك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت حسن بيومي
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت أحمد درويش
٧٦ - جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولة . النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	يوريس أوسينسكى	ت سعيد القاسمى وباهر خلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت مكارم العمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بنكت أندرسن	ت محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميغيل	ميغيل دى أوباموبو	ت محمود السيد على
٨٣ - مختارات	عوتفريد من	ت خالد المعالي
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	محمية من الكتاب	ت عبد الحميد شبيحة
٨٥ - منصور الصلاح (مسرحية)	صلاح ركى اعطاي	ت عبد الرزق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال - د. د. د. د.	ت احمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	خلال - د. د. د.	ت ماحدة العناني
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال - د. د. د.	ت إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ - الطريق الثالث	فتوى جيدر	ت أحمد زابد ومحمد محيي الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية	ت محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسويستكا	ت محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح		
٩٣ - إسبانيا وأمريكا المعاصرة	كارلوس ميغل	ت مادية جمال الدين
٩٤ - محدثات العولة	عائيل هينرستون وسكوت لاش	ت عبد الوهاب علوب
٩٥ - الحب الأول والصحة	صمويل بيكيت	ت هورية العشماوى
٩٦ - مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويزو بايخو	ت سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٧ - ثلاث رنقات ووردة	قصص مختارة	ت إدوار الخراط
٩٨ - هوية فرنسا (مج ١)	هرمان برويل	ت بشير الساعى
٩٩ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت أشرف الصباغ
١٠٠ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت إبراهيم قنديل
١٠١ - مساعاة العولة	بول هيرست وجراهام توميسون	ت إبراهيم فتحى
١٠٢ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت رشيد منجد
١٠٣ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الحطبي	ت عز الدين الكتاني الإبريسى
١٠٤ - قبر ابن عربى يليه آباء	عبد الوهاب المؤيد	ت محمد بيبي
١٠٥ - أوبرا ماهوجنى	برتول بريشت	ت عبد الغفار مكاوى
١٠٦ - مخيل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت عبد العزيز شميل
١٠٧ - الأدب الأنتملى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعبور
١٠٨ - صورة الفنان في الشعر الأمريكى للعصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيتسون
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أرلين علوى ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادى پلانت
١١٤ - مسرحيات حصاد كونجى وسكان المستعم وول شويتكا
١١٥ - غرفة تخص المرأة وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنبل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإسلام جوريف فوجت
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نيلز الكسنر وفنابولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى
١٢٦ - فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان ياسنيت
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أنيس جاروت
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوند فرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فينرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥ - المخطوطة من تد. س. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحطة الفرنسية جوزيف ماري مواريه
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى
١٣٩ - باريسيات ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلقى الأنهار هيربرت ميمس
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التطور في البحث الاجتماعى ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاتدة كارلو جوانونى
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبه من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بلبع
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعى
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقى جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحى
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فويتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليس	ت : علي عبد الرؤوف البعبي
١٤٧ - خطبة الإدارة الطويلة	تامكرت دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إبريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي صوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسمر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج ليتمان	ت : ميرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرمان برودل	ت : بشير الساعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراغة	فيوليس فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى اسال والآن وأوديت فيرمو	ت : مى التمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكجوى	ت : عبد العزيز نقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان مودل	ت : بشير الساعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ريبيد هو كس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	مول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسماعلى	اليخاندرو كاسوبا وأنطونيو حالا	ت : ريدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكتيبة	يوحنا الأسوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع	جورجس مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكونير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ ن أفانا سيفا	ت : سهير المصايفة
١٦٦ - العلاقات بين الشعب والطائفة في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	راسدانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أنبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميفيل دلييس	ت : مسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيش	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التلفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مظاهرات من الشعر الهنقى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فستنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزْجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	القين كرنان	ت : بدر النيب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دي مان	ت : سعيد القانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازي السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد

(نحت الطبع)

الجانب الدينى للفلسفة	العولة والتحرير
الولاية	علم اجتماع العلوم
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان
الإسلام فى السودان	شتاء ٨٤
العربى فى الأدب الإسرائيلى	الشعر والشاعرية
ضحايا التنمية	ديوان شمس
المسرح الإسيانى فى القرن السابع عشر	مصر أرض الوادى
فن الرواية	الرافيل أو الجيل الجديد
ما بعد المعلومات	سحر مصر
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	الهيولية تصنع علماً جديداً
المهلة الأخيرة	مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى
عن التباب والفتران والبشر	

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤١٢٨ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (5 - 176 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

